سعد يوسف أبو عزيز

رجال ونساء حول الرسول ﷺ

قدم له
الشيخ حسن أيوب

دار الفجر للتراث
القاهرة


بسم الله الرحمن الرحیم

خلف الجامع الأزهر. القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ - ١٩٩٩

يطلب من دار الفجر

خلف الجامع الأزهر . القاهرة
ت: ٠١٠١٤٦٣١٢٣

تم الصف والتنضيد بـ

مؤسسة الهدى
إحياء تراث ـ ترجمة ـ طباعة
نشر ـ توزيع ـ أبحاث علمية

القاهرة - مصر
هاتف: ٥٨٧٣٩٤٢-٥٦١٩٠٤٦
٠١٠١٤٨١٩٧٤

سعد يوسف أبو عزيز

رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم

قدم له
الشيخ حسن أيوب

دار الفجر للتراث
القاهرة



تقديم

بقلم فضيلة الشيخ حسن أيوب

الحمد لله رب العالمين، عليه توكلت، وبه أستعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إليه يرجع الأمر كله فى الأولين والآخرين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، وحامل لواء الحمد يوم الدين.

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان فى كل حال وحين.

وبعد:

فإن الأخ الفاضل سعد يوسف أبو عزيز معروف بين إخوانه ومعاشريه بأنه محمود السيرة، سليم النهج، حريص على اتباع السُّنة ومحاربة البدعة، يحاول ما استطاع أن يقدم الخير والنفع والإرشاد لأى مسلم.

وقد دأب فى الآونة الأخيرة على تقديم بعض الكتب المفيدة النافعة الميسّرة سواء كانت هذه الكتب من تحقيقه وتعليقه على ما كتبه كاتبوها ومؤلفوها، وتخريج الأحاديث غير المخرجة فيها، أو كانت هذه الكتب من جهده وجمعه وتأليفه، وآخرها هذا الكتاب «**رجال ونساء حول الرسول**

ﷺ ، فقد اختار له مائة شخصية من الصحابة رضوان الله عليهم، وجمع الروايات والأحاديث والأحداث التى ساهمت فى إبراز هذه الشخصيات التى لا مثيل لها فى تاريخ الإنسانية بعد أنبياء الله ورسله كما قال ابن مسعود رضى الله عنه، وقد تبين من دراسة هذه الشخصيات الصفات والأخلاق التى تحلوا بها، وكانوا بسببها من خير أمة أخرجت للناس، وإن كل ما يذكر لهؤلاء المائة من فضائل وشمائل وأخلاق يدل على أن من لم تذكر أسماؤهم من الصحابة كانوا على نفس النهج، أخلاقا، وورعا وإيمانا وتقوى، والتزاما بكل آية من كتاب الله - سبحانه - أنزلت، وبكل صغيرة وكبيرة علموها عن رسول الله ﷺ، وإنا لنرجو أن يوفق الله المؤلف ليكتب عن عدد أكثر من صحابة رسول الله ﷺ، وفقه الله وسدد خطاه ونفع به وبأمثاله من شباب الإسلام الذين عز فى الناس أمثالهم. آمين.

حسن أيوب



بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الكتابة عن التاريخ الإسلامى، وتنقيح مروياته، وتحقيق تراثه، ليس أمرًا يسيرًا، والتعرض للخلافات التى دارت بين الصحابة الكرام تحتاج لعلم رصين، وأدب متين، نظرًا لدخول زوائد ضارة عكرت صفو الحياة، فأساءت الأدب، وحطت من شأن الأعلام، واغتر بها بعض الرِّعاع، فضلت الأفهام، وزلت الأقدام، واعتقدوا فى هذا التزوير المريب.

هذا، ولقد رغبت «دار الفجر للتراث» فى تقديم صورة حقيقية عن حياة الصحابة والصحابيات، مساهمة منها فى نشر الوعى الصادق، والفهم المستنير لهذا الدين وأتباعه.

فطلبت منى تصنيف هذا الكتاب **«رجال ونساء حول الرسول»**، وأحسست ثقل الإمانة، وعظم المسئولية، وفورًا لجأت إلى الله تعالى، وطلبتُ منه الإعانة، وحاولت جهدى تحقيق الروايات وأعلم من نفسى عجزى وتقصيرى، وحسبى أننى اجتهدت، والكمال عزيز، موقنا بقول القائل:

سَيَبْقَى الخَطُّ بَعْدِى فى الكِتابِ ... وتَبْلَى اليَدُ مِنِّى فى التُّرابِ

فَيَا لَيْت الذى يقرأ كِتابِى ... دَعَالِى بالخَلاصِ مِن الحِسابِ

والله وحده من وراء القصد.

كتبه/ سعد يوسف محمود أبو عزيز.



فضائل الصحابة رضوان الله عليهم

قال الله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختارنى، واختار لى أصحابًا، فجعل لى منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»[١]. الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

وعن أبى موسى الأشعرى، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «النجُّومُ أمَنَةٌ[٢] للسَّمَاء، فإذا ذهبت النجومُ أَتى السماءَ ما توعد، وأنا أمَنَةٌ لأصْحَابى[٣]، فإذا ذَهَبْتُ أَتَى أصحابى ما يُوعدون، وأصحابى أمَنَةٌ لأُمَّتى، فإذا ذَهَبَ أصحابى أَتَى أمَّتى ما يوُعدون»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: « تزالون بخير ما دام فيكم من رآنى وصاحبنى، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآنى وصاحَب من صاحبنى»[٥].

---

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى (٣/٦٣٢).

(٢) أمنة: معناه أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية، فإذا تناثرت، انفطرت السماء.

(٣) أى: من الفتن، والارتداد، واختلاف القلوب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم.

(٥) **حسن**: رواه ابن أبى شيبة، عن واثلة بن الأسقع. «روضة المحبين للعدوى ص ٩».

وقال ابن مسعود، رضى الله عنه: «إن الله عز وجل نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته، ثم نظر فى قلوب العباد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ، يقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حَسَنًا، فهو عند الله حَسَن، وما رآه المسلمون سيئًا، فهو عند الله سيئ»(١).

وقال عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما: «من كان منكم مُسْتَنًّا، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمَّة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رَبّ الكعبة»(٢).

وعن أبى راكة قال: «صليت مع علىّ، رضى الله عنه، صلاة الفجر، فلما انفتل(٣) عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد، قيد رمح صَلَّى ركعتين(٤)، ثم قلب يده، فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا، غُبْرًا، بين أعينهم كأمثال رُكَب المِعْزَى(٥) قد باتوا لله سُجَّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا(٦) كما يميد الشجر فى يوم الريح، وَهَمَلَتْ(٧)

---

(١) رواه أحمد، والبزار، والطبرانى فى «الكبير»، ورجاله موثقون. المجمع (١/١٧٧).
(٢) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٣٠٥).
(٣) انفتل: انصرف.
(٤) وفى الحديث: «من صلى الصبح فى جماعة، ثم قعد يذكرُ الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حَجَةٍ وعمرةٍ، تامة تامة تامة». **حسن**. (صحيح سنن الترمذى ٤٨٠).
(٥) هى ذات الشَّعْر من الغنم، والمعنى: أن آثار السجود ظاهرة على جباههم.
(٦) مادوا: أى يتحركون برءوسهم يمينًا وشمالاً من الخشوع.

أعينهُم حتى تبل ثيابهم، والله فكأن القوم[١] قد باتوا غافلين، ثم نهض فما رُئى بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق»[٢].

والإمام الحسن البصرى يصف أحوالهم:

قال رحمه الله: «والله لقد أدركت أقوامًا وصحبتُ طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شىء منها أدبر، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوله ثَوْب قط، ولا نصب له قِدْر، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل، فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجرى دموعُهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم، وكانوا إذا عملوا حسنة، دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة، أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا على ذلك، فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم فى أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت والله فى رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة»[٣] أ.هـ.

هؤلاء أصحاب النبى ﷺ، فمن ذا الذى يدانيهم فى إيمانهم، ويصل إلى إخلاصهم؟ **إنهم:**

«نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، ونظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، فأماتوا منها ما يخشَوْن أن يشينهم[٤]، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم

---

(٧) هملت: بكت.

(١) يقصد أصحابه الذين صَلّوا خلفه فى ذلك اليوم.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا، وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/٦)، والبداية والنهاية (٧٦/١).

(٣) الزهد للحسن البصرى ص ٣٠، ٣١. ط. دار الحديث.

(٤) يشينهم: أى يُعيبهم.

إياها فواتًا... خَلقت[1] الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين، يحبون الله عز وجل، ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره، ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه عملوا، وليسوا يَرَوْن نائلاً مع ما نالوا، ولا أمانًا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون»[2].

«وهم حُجج الله تعالى على خَلْقه، ألبسهم النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، وطهر أبدانهم بمراقبته، وكساهم حُلَلاً من نسج مودته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة، وأعينهُم إليه بالغيب ناظرة، قد أقامهم على باب النظر من قُرْبه، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته».



(١) خلقت: أي بَليتْ وانْدَرَسَتْ.

(٢) انظر: حلية الأولياء (١/ ١٠).

تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم

قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابى، فلو أنَّ أحَدكُم أنْفق مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أَحدِهم ولا نَصيفه»[١].

وقال ﷺ: «إذا ذُكِرَ أصحابى فأَمْسِكُوا، وإذا ذُكِرَ النُّجوم فأمْسِكُوا، وإذا ذُكِرَ القَدر فأمْسِكُوا»[٢].

وقال الإمام الذهبى، رحمه الله: «إنما يعرف فضائل الصحابة، رضى الله عنهم، من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع[٣]، ولا علمنا من الفرائض والسنن سُنَّة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم، أو سَبَّهم، فقد خرج من الدين[٤]، وَمَرَق من مِلة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحُبِّهم.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم. **المُدّ**: ربع الصاع، وهو يعدل، أى المد، حفنة بكفى الرجل المتوسط.

(٢) **إسناده حسن**: رواه الطبرانى بإسناد حسن. العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (٣٦/١).

(٣) لذلك سلط أعداءُ الإسلام سهامهم للطعن فيهم والحط من قدرهم، والله من ورائهم محيط.

(٤) يا ليت أقزام العصر يفهمون هذا، ويتقون ربهم فى أصحاب نبيهم ﷺ.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وَسَلِمَ من النفاق والزندقة والإلحاد فى عقيدته»[١] أ. هـ.

أخى القارئ: وبعد هذا التمهيد المبارك الذى قدمناه تذكرة ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧].

نسارع الخطى لنلتقى على الصفحات القادمة مع خير القرون الأولى المفضلة؛ لنتعرف على أحوالهم، وسيرهم، ونعايش من خلال التاريخ الصادق مشوار حياتهم، فإن لهم نعوتًا ظاهرة، وأعلامًا شاهرة، ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون، ويغبطهم الشهداءُ والنبيون.

«رجالٌ مؤمنون، ونساءٌ مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجْلَى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحَلى، وهممهم عند الثريا[٢] بل أعلى، تُحبهم بقاعُ الأرض، وتفرح بهم أملاكُ السماء، نسأل الله عز وجل التوفيق لاتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم»[٣].

والله تعالى وحده من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

المؤلف/ سعد يوسف أبو عزيز



(١) الكبائر للذهبى (ص ٢٧٦) كبيرة سب الصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) الثريا: النجوم.

(٣) صيد الخاطر (ص ١٦، ١٧).

القسم الأول

رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم

١ - أبو بكر الصديق

من هو:

هو: عبد الله بن أبى قُحافة، يلتقى مع رسول الله ﷺ فى «مُرَّة»[(١)].

قال مصعب بن الزبير: «أجمعت الأمة على تسميته بالصِّدِّيق»[(٢)].

وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: «جاء المشركون إلى أبى بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنه أُسْرِىَ به الليلة إلى بيت المقدس، قال: «أو قال ذلك؟»، قالوا: نعم، فقال: «صدق، إنى لأصدِّقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة»، فلذلك سُمِّى «الصِّدِّيق»[(٣)].

مولده:

ولد، رضى الله تعالى عنه، بعد مولد النبى ﷺ بسنتين وأشهر.

قال الإمام النووى، رحمه الله تعالى: «وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية، وأهل مشاورتهم، ومُحَبَّبًا فيهم، وأعلم لمعالمهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول». أ. هـ.

استقامته فى الجاهلية:

قالت عائشة، رضى الله تعالى عنها: «والله ما قال أبو بكر شِعْرًا قط فى

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢٧) بتصرف.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووى (٢/١٨١).

(٣) **إسناده جيد**: رواه الحاكم فى «المستدرك». قال السيوطى: إسناده جيد. تاريخ الخلفاء (ص٢٩).

جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية»(١).

وقالت: «لقد كان حرم أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية»(٢).

إسلامه:

عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، قال: «قال أبو بكر: ألستُ أحَقَّ الناس بها؟ أى الخلافة، ألستُ أول من أسلم؟ ألستُ صاحب كذا. ألستُ صاحب كذا؟»(٣).

قال الإمام السيوطى: وقيل: أول من أسلم علىٌّ، وقيل: خديجة، وجُمع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعلىَّ أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلمت من النساء، وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة، رحمه الله(٤).

فضائله:

إن فضائل «الصِّديق» رضى الله عنه، كثيرة تضيق عن الحصر، نذكر منها:

١ - قوله تعالى: ﴿**ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

وعن أبى بكر، رضى الله عنه، قال: قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(٥).

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن عساكر، وقال السيوطى: إسناده صحيح. تاريخ الخلفاء (ص ٣٢).

(٢) **إسناده جيد**: أخرجه أبو نعيم بسند جيد. قاله السيوطى. نفس المرجع.

(٣) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٨).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٣٤).

(٥) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

٢ – أول من صلى مع النبى ﷺ:

عن زيد بن أرقم، رضى الله عنه، قال: «أول من صلى مع النبى ﷺ أبو بكر الصِّديق»(١).

٣ – عتيق الله من النار:

عن عائشة، رضى الله عنها: «أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال: «أنت عتيق الله من النار» فيومئذ سُمِّى: عتيقًا»(٢).

٤ – سيد كهول أهل الجنة:

عن علىّ، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «أبو بكر وعمر سيدا كُهُول أهل الجنة من الأولين والآخرين، ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يَا علىّ»(٣).

٥ – وعن عبد الله بن حنطب: «أن النبى ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: «هذان منى السمع والبصر»(٤).

٦ – وأخرج أحمد وغيره عن علىٍّ، قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر».

قال الذهبى: «هذا متواتر عن علىّ، فلعن الله الرافضة ما أجهلهم»(٥).

صفحات مضيئة من حياته:

الموقف الأول: رجل يعلن إيمانه:

بينما كان كثير من أصحاب النبى ﷺ يستخفى بإيمانه إلى أن يُمَّكن اللَّهُ

(١) أخرجه ابن أبى خيثمة بسند صحيح. تاريخ الخلفاء (ص ٣٣).
(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٠٥).
(٣) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٧).
(٤) **صحيح**: رواه الترمذى. الصحيحة (٨١٤).
(٥) تاريخ الخلفاء (ص ٤٥).

لهم دينهم الذى ارْتَضَى لهم، وقف أبو بكر فى تَحدٍّ ليس له مثيل ليعلن إيمانه، ولو كره المشركون.

اسمع أيها القارئ لهذا الموقف: عن على بن أبى طالب، قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فذا يجبأه[١]، وهذا يُتلْتله[٢]، وهم يقولون: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟ قال: فوالله ما دنا مِنّا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجبأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّى اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم رفع علىٌّ بُرْدةً كانت عليه، فبكى حتى اخْضَّلتْ لحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبونى؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أَعْلن إيمانه»[٣].

الموقف الثانى: يوم بدر:

أخرج ابن عساكر، عن ابن سيرين، أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يوم بدر مع المشركين!! فلما أسْلم قال لأبيه: لقد أهْدفْتَ لى يوم بدر، فانصرفتُ عنك، ولم أقتلْك، فقال أبو بكر: «لكنك لو أهدفت لى لم أنصرف عنك».

قال ابن قتيبة: معنى أهدفت لى: أشْرفْتَ، ومنه قيل للبناء المرتفع: هدف[٤]. وفى هذا الموقف يتجلى إيمان أبى بكر، ويظهر معدن صدقه فى تقديم محبة الله ورسوله على كل ما سواهما.

والنبى ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحب إليه من نفسه،

(١) يجبأه: أى فجأة وبغته.

(٢) يتلتله: يحركه ويزعزعه من مكانه.

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٣٧).

(٤) تاريخ الخلفاء (٣٦).

وولده، وأهله، والناس أجمعين». رواه البخارى ومسلم.

ويقول أبو يعقوب النهرجورى: «كل من ادَّعى محبة الله تعالى ولم يوافق الله فى أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور»(١).

الموقف الثالث: يوم وفاة النبى ﷺ:

عن ابن عباس، رضى الله عنهما: أن أبا بكر، رضى الله عنه، خرج حين تُوفى رسول الله ﷺ، وعمر يكلم(٢) الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فقال: اجلس يا عمر، فتشهد، فقال: «أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حَيٌّ لا يموت، إن الله تعالى قال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾» [آل عمران: ١٤٤].

قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله عز وجل أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس كلهم، فما نَسْمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن شهاب: أخبرنى سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقرتُ حتى ما تقلنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات(٣).

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٥٢٤).
(٢) ومن أقواله: «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ تُوفىِّ، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات!!. قال هذا من وقع المفاجأة.
(٣) انظر: الحلية (١/٢٩).

الموقف الرابع: أيام الرِّدَّة:

«لم تمض أيام معدودات على وفاة الرسول، حتى اشتبك الإسلام فى صراع رهيب مع الوثنية التى عاودتها الحياة فجأة، والصليبية الرابضة فى شمال الجزيرة، تمنع الدخول فى الإسلام وتحبط دعايته بالقوة»(١).

قال الإمام الذهبى: «لما اشتهرت وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بالنواحى، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر لقتالهم، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: «والله لو منعونى عقالاً، أو عناقًا، كانوا يؤدونها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على منعها»، فقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أُمِرْت أن أقَاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فمن قالها عَصَمَ ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: «والله لأقَاتلن مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: «إلا بحقها». قال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفتُ أنه الحق». رواه البخارى ومسلم وغيرهما. أ. هـ.

وعقد، رضى الله عنه، الألوية للقتال على جميع الجبهات.

«ولم تشهد الصحراء فى حياة النبى ﷺ نفسه مثيلاً لهذه المعارك الطاحنة.

فقد اتسعت ميادينها، وتتابعت أمدادها، وفدحت مغارمها، وكثرت ضحاياها.

إلا أنَّ الرجال الذين رَّباهم محمد ﷺ على معرفة الحق والفناء فيه، صدقوا الله فى عملهم، ونهضوا كأعتى الأبطال بالأثقال الباهظة التى رموا بها.

---

(١) انظر: فقه السيرة للغزالى (٤٩٣).

وضربوا الوثنية في الجزيرة ضربة كسرت فقارها، واعتصرت روحها، فهمدت إلى الأبد، وطردوا الرومان عن الحدود»[١].

وكسروا شوكة المرتدين، فعاد مَنْ عاد إلى الإسلام، وهلك مَنْ هلك بعيدًا عنه، وما هى إلا سنوات قلائل، حتى كان الإسلام ملء البر والبحر، ملء السمع والبصر، بينما عاشت الأديان الأخرى على هامش الحياة.

الموقف الخامس: جمع القرآن:

أخرج البخارى، عن زيد بن ثابت، قال: «أرسل إلىَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبو بكر: «إن عمر أتانى، فقال: إن القتل قد اسْتَحَرَّ يوم اليمامة بالناس، وإنى أخشى أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاءَ فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإنى لأرى أن يجمع القرآن».

قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى، فرأيت الذى رأى عمر.

قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك شابٌ عاقل، ولا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبعْ القرآن فاجْمعْه، فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعلْه النبى ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعتُ القرآن أجمعه من الرِّقاع، والأكتاف والعُسُب وصُدُور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خُزيمة بن ثابت، لم أجدهما مع غيره ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ إلى آخرها

(١) انظر: فقه السيرة للغزالى (٤٩٣).

[التوبة: ١٢٨، ١٢٩]، فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى تَوفَّاه الله، ثم عند عمر حتى تَوفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها.

وأخرج أبو يعلى عن علىّ، قال: «أعظم الناس أجرًا فى المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين لوحين».

خوفه من تناول الحرام:

قال وهيب بن الورد: «لو قمتَ قيام السارية - عمود المسجد - ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام؟».

وقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام».

وتحكى السيدة عائشة، رضى الله عنه، عن أبى بكر، فتقول: «كان لأبى بكر الصديق، رضى الله عنه، غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشىء، فأكل منه أبو بكر.

فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت[١] لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنِّى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك هذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شىء فى بطنه. رواه البخارى.

الخراج: شىء يفرضه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم مما يكتسبه، وباقى كسبه يأخذه لنفسه[٢].

---

(١) الكهانة: ادِّعاء معرفة الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، والمشتغلون بها دجاجلة ونصابون يأكلون أموال الناس بالباطل، والذهاب إليهم محرّم قد يُفْضى للكفر.

(٢) قال محمد بن سيرين، رحمه الله: لم أعلم أحدًا استقاء من طعام أكله غير أبى بكر. رواه أحمد فى الزهد.

إنفاقه فى سبيل الله تعالى:

إن مواقف إنفاقه، رضى الله عنه، كثيرة، حَسْبُنا منها:

١ - قول الله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

قال الإمام القرطبى: «والأكثر أن السورة نزلت فى أبى بكر، رضى الله عنه»، فأىّ منقبة أعظم من هذه المنقبة، وأى وسام أغلى من هذا الوسام؟.

وعن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: «عَذَّب المشركون بلالاً»، وبلال يقول: «أحَدٌ أحَدٌ»، فمر به النبى ﷺ، فقال: «أحد، يعنى الله تعالى، ينجيك»، ثم قال لأبى بكر: «يا أبا بكر، إن بلالاً يعذَّب فى الله»، فعرف أبو بكر الذى يريد رسول الله ﷺ، فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلاً من ذهب، ومضى به إلى أميّة بن خلف، سَيِّد بلال، فقال له: أتبيعنى بلالاً؟ قال: نعم، فاشتراه فأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده، فنزلت: ﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾، أى سوف يعطيه فى الجنة ما يَرْضى(١).

٢ - وقال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يَدٌ إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعنى مالُ أبى بكر»(٢).

٣ - وعن عمر بن الخطاب، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت:

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧٨ - ٨٠).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٥).

مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا[١].

بكاؤه بين يدي مولاه:

عن عائشة، رضي الله عنها: أن النبي ﷺ، قال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناسَ من البكاء، فأمُرْ عمر فليصل بالناس، قالت: فقال: «مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، قالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقام لم يُسمع الناس من البكاء، فأمُرْ عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكُنَّ لأنتُنَّ صَواحِبُ يُوسُف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فقالت حفصة لعائشة: «ما كنتُ لأُصيبَ منك خيرًا»[٢].

زهده في الدنيا:

عن زيد بن أرقم، أن أبا بكر استسقى، فأتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى، وأبكى مَنْ حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظَنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنتُ مع النبي ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئًا، ويقول: «إليك عني، إليك عني»ولم أَرَ معه أحدًا، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئًا، ولا أرى معك أحدًا؟ قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها، فقلت لها: إليك عني، فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك» فخشيت أن تكون قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني»[٣].

---

(١) **حسن**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٢٠)، المشكاة (٦٠٢١).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٠٠)، ابن ماجه (١٢٣٢).

(٣) **إسناده جيد**: رواه الحاكم والبزار، وقال العراقي: إسناده جيد.

مأثورات من خطبه ومواعظه:

١ – عن يحيى بن أبى كثير، أن أبا بكر، رضى الله عنه، كان يقول فى خطبته:

«أين الوضاء[١] الحسنةُ وجوهُهم المعجبون بشأنهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور، ألْوَحا ألوحا[٢]، النجاء النجاء»[٣].

٢ – وعن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر، فقال: «أما بعد: فإنى أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾** [الأنبياء: ٩٠].

اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستضيئوا منه ليوم القيامة، وإنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غُيِّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم، فإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، ألوحا ألوحا، النجاء النجاء،

(١) الوضاء: أى الحسن والنظافة.

(٢) أَلْوَحَا: السرعة.

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/١٣٦).

إن وراءكم طالبًا حثيثًا أمره سريع»[١].

وصيته لعمر وهو على فراش الموت:

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ، دعا عمر، فقال له: «اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلةً حتى تُؤَدَّى فريضة، وإنما ثقلت موازين مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحقُّ غدًا أن يكون ثقيلاً، وإنما خَفَّتَ موازين من خَفَّتْ موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطلِ في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتَهم قلت: إنى أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وَرَدَّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقْنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتى، فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولَسْتَ تُعْجزه»[٢].

لقد أوضح في هذه الوصية الجامعة معالم الطريق الصحيح، الذى يجب أن يسير عليه جميع المسلمين حكامًا ومحكومين ﴿**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧]؟.

اللحظات الأخيرة فى حياته:

دروس وعبر:

عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات

(١) انظر: صفة الصفوة (١/١٣٦، ١٣٧).
(٢) انظر: الحلية (١/٣٦، ٣٧)، صفة الصفوة (١/١٣٧، ١٣٨).

فيه، قال: انظروا ماذا زاد فى مالى منذ دخلت فـى الإمـارة، فـابعثوا بـه إلى الخليفـة مـن بعـدى!!! فنظرنـا، فـإذا عبـدٌ نوبـىّ كـان يحمـل صبيانـه، وإذا ناضح[١] كان يسقى بستانًا له، فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرنى جّدى أن عمر بكى، وقال: «رحمة الله على أبى بكر، لقـد أتعـب مَـنْ بعـده تعبًـا شديدًا»[٢].

سبحان الله، تركـة الخليفـة: عَبْـدٌ وبَعَـير!! ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦].

وعن عائشة، رضى الله عنها، قـالت: «إن أبـا بكـر لمـا حضرتـه الوفـاة، قال: أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتـى فـلا تنتظـروا بى لغد، فإن أحـبَّ الأيـام والليـالى إلىَّ أقربُهـا مـن رسـول اللهﷺ ». رواه أحمد.

وعن عبادة بن قيس، قال: «لما حضـرت أبـا بكـر الوفـاة، قـال لعائشـة: اغْسلِى ثوبىَّ هذين وكفنينى بهمـا، فإنمـا أبـوك أحـد رجلـين: إمـا مكسـو أحسن الكسوة، أو مسلوب أسوأ السلب»[٣].

وأخرج ابن سعد وغيره، عن عائشة، رضى الله عنها، قـالت: «لمـا ثقـل أبو بكر تَمثَّلْتُ بهذا البيت:

لعمرك ما يُغْنـى الثراء عـن الفتـى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه، وقال: ليس كذلك، ولكن قولى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، انظـروا ثوبَـىَّ هذيـن فاغسلوهما وكفنونى فيهما، فإن الحىَّ أحْوَجُ إلى الجديد من الميت.

---

(١) الناضح: هو البعير الذى يستقى عليه.

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/١٣٨).

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد الزهد.

وأخرج ابن سعد عن عروة، والقاسم بن محمد، أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، فلما تُوفى حُفِر لـه، وجعـل رأسـه عنـد كتف رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله.

وأخرج ابن سعد، عن سعيد بن المسيب، أن عمر، رضى الله عنه، صلى على أبى بكر بين القبر والمنبر، وكبَّر عليه أربعًا.

قال أهل السِّيَر: «تُوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء بـين المغـرب والعشـاء لثمـان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين»[1]، رحمه الله ورضى عنه وحشرنا فى زمرته.

أبو بكر فى نظر على بن أبى طالب:

عن أسيد بن صفوان، قال:

«لَمَّا قبض أبو بكر الصِّديق رضى الله عنه، وسُجِّى عليـه، ارتجَّـتِ المدينـةُ بالبكاء كيوم قُبِضَ رسول الله ﷺ.

قال: فجـاء علـى بـن أبـى طـالب، رضـى اللـه عنـه، مستعجلاً مسرعًا مُسْتَرجعًا، وهو يقول:

اليوم انقطعت النُّبوة، حتى وقف على البيت الذى فيه أبـو بكـر، فقـال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلْف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه، وثقتـهُ وموضِـع سِّره ومشـاورته، وكنـت أول القـوم إسـلامًا، وأخلصهـم إيمانًـا، وأشَّدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظـم غنـاءً فـى ديـن اللـه عـز وجـل، وأحْوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكـثرهُم منـاقِبَ، وأفضلهـم سـوابق، وأرفعهـم درجـةً، وأقربهـم وسـيلةً، وأشبههم برسول الله ﷺ هَدْيًا وسَـمْتًا، وأشـرفهم منزلـة، وأرفعهـم عنـده،

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء (٨٥). وقـال الهيثمـى: رواه الطبرانى وإسناده حسن. المجمع (١٤٣٩٢).

وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء، صَّدقْت رسول الله حين كذَّبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سّماك الله فى تنزيله صِديقًا، فقال: ﴿**وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ [الزمر: ٣٣].

وآسَيْتَهُ حين بخلوا، وقُمْتَ معه فى المكاره حين قعدوا، وصحبته فى الشِّدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين، صاحبه فى الغار، والمنزَّل عليه السكينة، ورفيقه فى الهجرة، وخَلَفْتَهُ فى دين الله وأُمّتِهِ أحسن الخلافة حين ارتدّوا، فقمت بالأمر ما لم يَقُم به خليفةُ نبىٍّ، نهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسوله إذ وهنوا، كنت خليفة حقًا لن تنازع ولن تضارع رغمت المنافقين وكبتَ الحاسدين، قمت بالأمر حين فشلوا، فاتبعوك فهدُوُا، وكنت أخْفَضَهم صوتًا وأعلاهم فَوْقًا، وأقلَّهم كلامًا، وأصدقهم مَنْطِقًا، وأطوالهم صمتًا، وأبلغهم قولاً، وأكرمهم رأيًا، وأشجعهم نفسًا، وأشرفهم عملاً، كنت والله للدِّين يَعْسوُبًا[١]، أوَّلاً حين نفر عنه الناس، وآخرًا حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أبًا رحيمًا، صاروا عليك عيالاً، حملت أثقال ما عنه ضعفوا، ورَعْيت ما أهملوا، وعلمت ما جهلوا، وشَّمرت إذ ظلعوا[٢]، وصرت إذ جزعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، وراجَعُوا برأيك رشدهم فظفروا، ونالوا برأيك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابًا صَبًّا ولَهَبًا، وللمؤمنين رحمةً وأنسًا وحصنًا، طرت والله بغنائها، وفزت بحبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تفلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يزغ قلبك، فلذلك كنت كالجبال، لا تحركها العواصف ولا تزيلها القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: «أمَنَّ الناس عليه فى صحبتك

(١) اليعسوب: أمير النحل.
(٢) ظلعوا: أى ضعفوا.

وذات يدك»، وكنت كما قال: «ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر الله تعالى، متواضعًا فى نفسك، عظيمًا عند الله، جليلاً فى أعين الناس، كبيرًا فى أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوىٌّ حتى تأخذ بحقه، والقريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم، شأنك الحق والصدقُ والرِّفق، قولُك حُكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علمٌ وعزم، اعتدل بك الدِّين، وقوى بك الإيمان، وظهر أمرُ الله، فسبقت والله سَبْقًا بعيدًا، وأتعبت مَنْ بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فجلَلْت عن البكاء وعظُمت رزيتُك فى السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يُصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدِّين عَزًّا وحِرْزًا، وكهفًا، فألحقك الله عز وجل بنبيِّك محمدٍ ﷺ ولا حَرَمنا أجرك، ولا أضلَّنا بَعْدَك.

فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت(١).

أنا مولاىَ إمامٌ ضحكت ... من ثناى فضله أىُ الزُّمَرْ(٢)
صدَّقَ المُرْسَلَ إيمانًا به ... ولَحَا فى الله مَنْ كَانَ كَفَرْ
ثم بالغار له مَنْقَبَةٌ ... خَصَّهُ اللّهُ بها دُون البَشَرْ
ثانى اثنين وقَوْلُ المصطفى ... معنا الله فلا تبدى الحَذَرْ

فرضى الله عن الصديق وأرضاه.



(١) صلاح الأمة (٦/٣٩ - ٤١) نقلاً عن التبصرة (١/٤٠١ - ٤٠٣).
(٢) يقصد آية سورة الزمر، وهى قوله تعالى: ﴿والذى جاء بالصِّدق وصَّدق به أولئك المتقون﴾ [الزمر: ٣٣].

٢ - عمر بن الخطاب

هو: عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى، أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

كان إسلامه بسبب بركة دعاء النبي ﷺ.

فعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحبِّ هذَين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبُّهما إليه عُمر[١].

وهو أول من جهر بالإسلام.

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»[٢].

فضائله:

١ - قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه»[٣].

٢ - وعن عقبة بن عامر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر بن الخطاب»[٤].

٣ - وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «تتكلم الملائكة على

(١) **صحيح:** رواه الترمذي، وانظر المشكاة (٦٠٣٦).

(٢) **صحيح حسن:** تاريخ الخلفاء للسيوطي (١١٥) وقال: إسناده صحيح حسن.

(٣) **صحيح:** صحيح سنن الترمذي (٢٩٠٨) عن ابن عمر.

(٤) **حسن:** صحيح سنن الترمذي (٢٩٠٩). الصحيحة (٣٢٧).

لسانه»(١)، أى عمر، رضى الله عنه.

٤ – وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «قد كان يكون فى الأمم مُحدثون(٢)، فإن يك فى أمتى أحَدٌ، فعمرُ بن الخطاب»(٣).

٥ – وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أنّى أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمرُ بن الخطاب»(٤).

من أقوال الصحابة فيه:

١ – عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، قال: «إذا ذُكر الصالحون فحيهلا بعمر، ما كنا نبعد أصحاب محمد ﷺ أن السكينة تنطقُ على لسان عمر»(٥).

٢ – أخرج «البخارى» عن ابن مسعود أنه قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وقال أهل العلم: «لما أسلم عمر عزَّ الإسلام، وهاجر جهرًا، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها، وهو أول خليفة دُعِى بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين، وأول من جمع القرآن فى المصحف، وأول من

(١) **إسناده حسن:** أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» وقال السيوطى: إسناده حسن. انظر تاريخ الخلفاء (١١٩، ١٢٠).
(٢) محدثون: أى ملهمون.
(٣) **حسن صحيح:** صحيح سنن الترمذى (٢٩١٥).
(٤) **صحيح:** صحيح سنن الترمذى (٢٩١١). الصحيحة (١٤٠٥).
(٥) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: إسناده حسن. المجمع برقم (١٤٤٢٧).

جمع الناس على صلاة التراويح، وأول من عَس[1] فى عمله، وحمل الدِّرّة وأدَّب بها، وفتح الفتوح، ووضع الخراج ومصّر الأمصار، واستقضى القضاة، ودوّن الديوان، وفرض الأعطية، وحَجَّ بأزواج النبى ﷺ فى آخر حَجَّة حَجَّها»[2].

نزول القرآن بموافقته:

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: «وافقت رَبِّى عز وجل فى ثلاث. قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلَّى، فنزلت: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنَّ البَرّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه فى الغْيرة، فقلت: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ**﴾ [التحريم: ٥]، فنزلت كذلك». رواه البخارى ومسلم.

وموافقات عمر للقرآن أكثر من ذلك، قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين، ومن ذلك:

١ - أخرج مسلم، عن عمر قال: «وافقت رَبِّى فى ثلاث: فى الحجاب، وفى أسارى بدر، وفى مقام إبراهيم».

٢ - روى أصحاب السنن، والحاكم، عن عمر أنه قال: «اللهم بَيِّن لنا فى الخمر بيانًا شافيًا، فأنزل الله تحريمها».

٣ - أخرج الطبرانى، عن ابن عباس قال: «لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم، قال عمر: سواء عليهم، فأنزل الله: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ**﴾ الآية [المنافقون: ٦].

(١) عس: تفقد أحوال رعيته بالليل.

(٢) صفة الصفوة (١/١٤٣).

تعبده وخوفه من الله تعالى:

كان رضى الله عنه فى وجهه خطان أسودان من البكاء، وكان يحب الصلاة فى جوف الليل، وكان يقول: «لو مات جِدْىٌ بَطفّ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر».

وعن عبد الله بن عامر، قال: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض، فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتنى لم أُخْلق، ليت أمى لم تلدنى، ليتنى لم أكن شيئًا، ليتنى كنت نسيًا منسيًا.

وقال أسلم: كان عمر يصومُ الدَّهر!!

وقال ابن عمر: «سَرَد عمرُ الصيام قبل أن يموتَ بعامين[1]، إلا يَوْمَ الأضحى، ويوم الفِطْرِ، أوْ فى السَفَر!!».

وكان عمر يُصَلِّى من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان بآخر الليل أيقظ أهله، وقال: الصلاة، الصلاة! ويتلو: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[2] [طه: ١٣٢].

وعن أم سلمة: أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها، فقال: يا أمه، قد خِفْتُ أن يهلكنى مالى، أنا أكثر قريش مالاً، قالت: يا بُنى فأنفق، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ من أصحابى مَنْ لا يرانى بعد أن أُفَارِقَهُ» فخرج عبد الرحمن بن عوف، فلقى عمر فأخبره بالذى قالت أُمَّ سلمة، فدخل عليها عمر، فقال: بالله، منهم أنا؟ فقالت: لا ولا أُبرئ أحدًا بعدك»[3].

وعن الحسن، قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ**

(١) سَرَد الصيام: تابعه وواصل أيَّامه.

(٢) انظر: سيرة «عمر بن الخطاب» أحمد البلتاجى (ص ٢٥٣).

(٣) قال الهيثمى: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٤٤٤٩).

مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨]، فربا منها ربوة، عيد[١] منها عشرين يومًا.

وعن عبيد بن عمر، رضى الله عنه، قال: «صلى عمر بن الخطاب صلاة الفجر، فافتتح «سورة يوسف»، فقرأها حتى إذا بلغ: **﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [يوسف: ٨٤]، بكى حتى انقطع، فركع.

وعن عبد الله بن شداد، قال: سمعتُ نشيج[٢] عمر، وأنا فى آخر الصفوف فى صلاة الصبح، وهو يقرأ «سورة يوسف»، حتى بلغ: **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾** [يوسف: ٨٦].

وعن هشام بن الحسن، قال: «كان عمر يَمُرّ بالآية، فتخنقه، فيبكى حتى يسقط، ثم يلزم بيته، حتى يعاد، يحسبونه مريضًا».

وعن أنس قال: «كنت مع عمر، فدخل حائطا لحاجته، فسمعته يقول، وبينى وبينه جدار الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، والله لتتقين الله بُنىّ الخطاب أو ليعذبنك».

وكان يصلى بالناس العشاء، ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر[٣].

زهده:

كان رضى الله عنه متواضعًا فى الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديدًا فى ذات الله، يرقع الثوب بالأدم، ويحمل القِرْبة على كتفيه، مع عظيم هيبته، ويركب حمارًا عريًا، والبعير مخطومًا بالليف، وكان قليل الضحك لا يمازح أحدًا، وكان نقش خاتمه: «كفى بالموت واعظًا يا عمر»[٤].

(١) عيد: يعوده الناسُ فى بيته، يحسبونه مريضًا.
(٢) نشيج: صوت معه توجع وبكاء، وانظر: حياة الصحابة (٣/٢٦٠)
(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/٢١٥).
(٤) انظر: البداية والنهاية (٥/٢١٤).

ولما تولى الخلافة، قال: «لا يحلُّ لى من مال الله إلاَّ حُلتان، حُلَّة للشتاء وحلَّة للصيف، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين!!».

يا خالق هؤلاء الرجال سبحانك، يا تُرى ماذا فعل القرآن فى نفوس هؤلاء؟! أرْجع البصر أيها القارئ وتأمل حال «الخليفة» وما يكفيه من «الخلافة»، بارك الله فى دين ربَّاهم ونبىٍّ علَّمهم.

قال معاوية بن أبى سفيان: «أمَّا أبو بكر، فلم يرد الدنيا ولم تردْه، وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن».

وعوتب عمر، فقيل له: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق؟ فقال: «إنى تركت صاحبىَّ على جادة، فإن أدركت جادتهما، فلم أدركهما فى المنزل».

وكان يلبس وهو خليفة جُبَّة صوف مرقوعة بعضها بأدم، ويطوف بالأسواق على عاتقه الدِّرَّة[1] يؤدب بها الناس، وإذا مَرَّ بالنَّوى[2] وغيره يلتقطه ويرمى به فى منازل الناس ينتفعون به.

وكان فى عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزَّيت حتى اسودَّ جلده، ويقول: «بئس الوالى أنا إن شبعتُ والناس جياع!!» لله دَرُّك يا عمر.

صفحات مضيئة من حياته:

أعثرات عمر تتبع؟!

قال طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه: «خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتًا، فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء

(١) عصا كان يطوف بها.

(٢) نوى التمر. انظر البداية (٥/٢١٤).

مقعدة!! فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيكى؟ فقالت: إنه يتعاهدنى مُدَّة كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى، ويُخرج عنى الأذى[١]!! فقلت فى نفسى: «ثكلتك أمَّك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟»[٢].

بشر صاحبك بغلام:

شيء غريب، ونموذج فريد، هذا الذى نقدمه على هذه الصفحات، يقف القلم عاجزًا عن البيان، أنحن فى عالم الخيال، أم عالم الحقيقة؟ اقرأ:

قال أسلم: خرجت ليلة مع عمر، وهو أمير المؤمنين، إلى ظاهر المدينة، فلاح[٣] لنا بيت شَعْر فقصدناه، فإذا فيه امرأة تمخض[٤] وتبكى، فسألها عمر عن حالها، فقالت: أنا امرأة غريبة وليس عندى شيء، فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته، فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب: هل لك فى أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقًا وشحُمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها، وهو لا يعرفه، يتحدث، فوضعت المرأة غلامًا، فقالت أم كلثوم: «يا أمير المؤمنين، بَشِّر صاحبك بغلام» فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك، وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: «لا بأس عليك» ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف[٥].

احمله على ظهرى!!

قال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى «حرة واقم»[٦]، حتى إذا كنا «بصرار» إذا بنار، فقال: يا أسلم، هاهنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق

(١) الأذى: الفضلات التى تخرج من البطن.
(٢) انظر: البداية (٥/٢١٥).
(٣) لاح: أى ظهر.
(٤) تمخض: أتاها ألم الطَلْق والولادة.
(٥) انظر: البداية (٥/٢١٦).
(٦) الحرة: الحجارة السود البركانية، وحَرَّة واقم، عَلَم على واحدة منها.

بنا إليهم، فأتيناهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقِدْر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون(١)، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام، قال: ادنو، قالت: ادنَ أَوْ دَع.

فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصِّبية يتضاغون؟.

قالت: من الجوع. فقال: وأى شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر، فبكى عمر، ورجع يهرول إلى دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم، وقال: «يا أسلم، احمله على ظهرى» فقلت: أنا أحمله عنك، فقال: أأنت تحمل وزرى يوم القيامة؟ فحمله على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة، فألقى عن ظهره، وأخرج من الدقيق في القِدْر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القِدْر والدخان يتخلّل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار، وقال: ايتينى بصحفة، فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، والمرأة تدعو له وهى لا تعرفه، فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علىَّ، فقال: يا أسلم، الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت»(٢).

نعم يا أمير المؤمنين، وصدق رسول الله ﷺ إذا يقول: «خاب عبدٌ وخسر لم يجعل الله تعالى فى قلبه رحمةً للبشر»(٣).

استقامة الرعية من استقامة الراعى:

عن سعيد بن المسيب، رضى الله عنه، قال: قال عمر: «إن الناس لن

(١) يتضاغون: يتصايحون.

(٢) انظر: البداية (٥/٢١٦)، عمر بن الخطاب لابن الجوزى (٩٦، ٩٧).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو نعيم فى «المعرفة» وغيره وحسنه الألبانى. صحيح الجامع (٣٢٠٥).

يزالوا مستقمين ما استقام أئمتهُم وهُدَاتهُم»، وقـال: «النـاسُ بزمـانهم أشْـبَهُ منهم بآبائهم»[١].

عن جرير بن عبد الله البَجَلى، رضى الله عنه، قال: «إن رجلاً كـان مـع أبى موسى الأشعرى، وكان ذا صَوْتٍ ونكاية فـى العَـدُوِّ، فغنمـوا مغنمًـا فأعطاه أبو موسى بَعْض سَهْمه، ولم يُوَفِّهِ حَقّه.

فأبى الرجل أن يقبل حقَّه منقوصًا. فجلده أبـو موسـى عشـرين سَوْطًا، وحلق شَعْر رأسه!

فجمع الرجل شَعْره، ثم رحل إلى عمر، حتى قَدِم عليه فى مجلسه.

ثم ضَرَب بَشَعْرِه صَدْر عمر، وقال: «أما والله لولا النارُ لصنعتُ بعاملك ما صَنَعَتُ!».

ثم حكى له ما صنع به أبو موسى. فكتب عمرُ إلى أبى موسـى: «سـلامٌ عليك، أمَّا بعد: فإن فلانًا أخبرنى بكذا وكذا. فـإن كنـت فعلـت ذاك فـى ملأ من الناس، فأقسمتُ عليك إلاَّ قعدت له فى ملأ من الناس، حتى يقتصَّ منك، وإن كنت فعلت ذلك فى خلاءٍ، فاقْعُدْ له كذلك».

فقدِمَ الرَّجلُ بالكتَاب إلى أبى موسـى، فقـال لـه النـاس: «اعْـفُ عنـه!». فقال: لا والله لا أَدَعُهُ لأحدٍ من الناس.

فلما قعد أبو موسى لِيَقْتَصَّ الرَّجلُ منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء، ثم قال: «اللهمّ إنىِّ قَدْ عفوتُ عنه!»[٢] أ. هـ.

هذا هو الإسلام، ولا تعليق.

ومن مواعظه رضى الله تعالى عنه:

«أيها الناس: ألا إنمـا كنـا نعرفكـم إذ بـين أظهُرنـا النبـى ﷺ، وإذ يـنزل

---

(١) انظر: سيرة عمر للبلتاجى (٩٦).

(٢) سيرة عمر بن الخطاب للبلتاجى (٩٧، ٩٨).

الوَحْىُ، وإذ ينبئنا اللهُ من أخباركم.

ألا وإنَّ النبىَّ ﷺ قد انطلق، وانقطع الوَحْىُ!

ألا وإنَّما نقولِ بما نَعْرفكم.

نقول لكم: من أظهر منكم خيرًا ظَنَّنا به خيرًا، وأحببناه عليه.

ومن أظهر لنا شَرًا ظننا به شَرًا، وأبغضناه عليه.

سرائرُكم بينكم وبَيْن رَبِّكم.

ألا إنه قد أَتى علىَّ حين من الدَّهر وأنا أَحْسِبُ من قرأ القرآن يُريد به الله وما عنده، فقد خُيِّل لى بأَخَرَةٍ أن رجالاً قرءوه يُريدون به ما عند الناس.

فأريدُوا الله بقراءتكم، وأَريدُوهُ بأعمالكم.

ألا وإنِّى والله ما أُرسلُ عُمَّالى إليكم ليضربوا جلودكم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنَّتكم.

فمن فُعل به سوى ذلك فليرفَعهُ إلىَّ، فوالذى نفسى بيده لأقصَّنه منه[1].

فوثب عمرو بن العاص، فقال:

يا أمير المؤمنين، أفرأيته إن كان رجل من المسلمين على رعَّيته، فأدَّب بعض رعيته، إنك لتقصَّنه منه؟.

قال عمر: إى والذى نفسى بيده، إذَنْ لأقصَّنه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يَقُصُّ من نفسه.

ألا لا تضربوا المسلمين فتذُلُّوهم، ولا تمنعوهم حقوقَهم فتكفروهم ولا

(١) أى: لأعاقبنه بالمثل.

تنزلوهم الغياض فتضيِّعوهم»[١].

نصيحة عمر للرعية:

«أعْطوا الحقَّ من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضًا على أن تحاكموا إلىَّ، واعلموا أن صلاح الأمر فى ثلاث:

أداء الأمانة، والأخذ بالقُدْوة، والحكم بما أنزل الله.

وصلاح المال فى ثلاث:

أن يؤخذ من حق، ويُعْطَى فى حَقٍّ، ويُمْنَع من باطل.

وأعاهدكم على ألاَّ أجتنىَ شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم، إلاَّ من وَجْهه (أى: حق بيت المال).

ولكن علىَّ إذا وقع فى يَدى ألاَّ يخرج إلاَّ فى حَقِّه، (أى: يوزع بالعدل).

ولكم علىَّ أن أزيد فى عطاياكم، وأرزاقكم إن شاء الله.

ولكم علىَّ ألاّ أُلقيكم فى المهالك، ولا أُجَمِّركم فى ثغوركم[٢].

وإذا رغبتم فى البُعوث (أى: الحروب) فأنا أبو العيال حتى ترْجعوا إليهم.

فاتقوا الله - عباد الله - وأعينونى على نفسى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النَّصيحة فيما ولاَّنى الله من أمركم».

---

(١) منع عمر الولاة من عمل ثلاثة أشياء برعيتهم: منعهم أن يضربوهم حتى لا يذلوا وتذهب نخوتهم. ومنعهم أن ينقصوا حقوقهم فيكفروا بالعدل، وهو ميزان دينهم. ومنعهم أن يفرقوا جيوشهم قطعًا فى أرياف العدو، فيحصرهم العدو ويغدر بهم. (سيرة عمر بن الخطاب للأستاذ/ أحمد البلتاجى ص ٤٣).

(٢) **لا أجمركم فى الثغور**: أى لا أحبسكم المدة الطويلة فى الحروب بعيدًا عن أهلكم وبيوتكم، فلكل كتيبة مَوْعد تعود فيه.

طعام عمر فى عام الرمادة:

قال أسلم خادمه:

كان عمر إذا أمْسَى - فى عام الرمادة[(١)] - أتى بخبز وأَثَرده فى الزيت إلاَّ أنه نحر فى يوم جَزُورًا[(٢)] فأطعمها الناس.

وغرفوا له فإذا هو قدْرٌ من سَنام وكبد!.

فقال: مِنْ أين هذا؟

قالوا: مِنَ الجزور التى نَحَرْنا اليومَ!

فقال عمر: بخٍ بخٍ[(٣)]، بئس الوالى أنا إن أكلتً طِّيبًا، وأطعمتُ الناس كراديسها - أى عظامها - فأُتى بخبز وزيت، وجعل يكْسِرُه ويُثْرد[(٤)] فى ذلك الزَّيْت.

ثم قال لغلامه: ويحك يا يَرْفأُ!

احمل هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بالمدينة، فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام.

وأحسبهم مُقْفرين[(٥)] فضعها بين أيديهم.

فحمل إليهم يرفأ الطعام الطيب، الذى آثرهم به عمر على نفسه!.

التَّشدد على أهله عام الرمادة:

عن ابن عمر، قال:

كان إذا نهى عمر الناس عن شىء، دخل على أهله، فقال:

(١) وهى عام (١٨هـ)، وفيها انقطع المطر، فأجدبت الأرض وأشبهت الرَّمادة.

(٢) **الجزور**: الناقة.

(٣) أى: حَسَنٌ حَسَنٌ، على وجه السُّخرية.

(٤) **يثرد**: أى يصنع ثريدًا، أىّ فَتًا.

(٥) **مقفرين**: جائعين.

«إنىَ نَهْيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطيرُ إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هِبْتُم هابُوا، وإنى والله لا أوتَى برجلٍ منكم وقع فيما نَهْيتُ عنه الناس إلاَّ أضعَفْتُ له العقاب لمكانه مِنىِّ! من شاء فليتقدم، ومن شاء فليتأخر».

وقال ابن سعد:

نظر عمر فى عام الرمادة إلى بطيخة صغيرة فى يد طفل من أولاده، فقال: بخٍ بخٍ! يا ابن أمير المؤمنين، أتأكل الفاكهة وأُمَّةُ مُحَمدٍ هَزْلى؟ أى فى هزال من الجوع.

فخرج الصَّبىُّ هاربًا وبكى.

فقالوا: اشتراها الصَّبىُّ بِكفٍّ نَوَى[1].

وعن قتادة، قال:

كان «مُعَيقيب» خازنًا لبيت المال، فكنس بَيْت المال فوجد فيه دِرْهمًا فدفعه إلى صبىٍّ لعمر.

قال «معيقيب»:

ثم انصرفت إلى بيتى، فإذا رسولُ عمرَ قد جاءنى يَدْعونى.

فجئت فإذا الدِّرهمُ فى يده.

فقال: وَيْحكَ يا مُعيقيب! أَوَجَدْتَ[2] علىَّ فى نَفْسِك شيئًا؟! ما لك وما لى؟

فقلت: وما ذاك؟

---

(١) **النوى:** بذور الشجر كالنخل وغيره، أى اشتراها بشىء تافه، يتيسر لأمثاله.

(٢) **الموجدة:** الغضب، أى أبينى وبينك عداوة فأنت تنقم منى.

قال: أردت أن تخاصمنى أمَّةُ محمد ﷺ فى هذا الدِّرهم يوم القيامة!

(وَرَدَّ الدِّرهم إليه)(١).

شدة محاسبته لأهله:

قال عبد الله بن عَمر رضى الله عنهما:

اشتريتُ إبلاً وأرسلتُها إلى الحمي(٢) ترعى مثل إبل الناس، فلما سَمِنَتْ دخل عمرُ السُّوق، فرأى إبلاً سمانًا.

فقال: لِمَنْ هذه؟

قيل: لعبد الله بن عمر.

فجعل يقول: بخٍ بخٍ! ابن أمير المؤمنين! فجئت أسعى إليه، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟

قال: ما هذه الإبل؟

قلت: إبلٌ اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى، أبتغى ما يبتغى النَّاس. قال: ويقالَ: ارْعُوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسْقُوا إبل ابن أمير المؤمنين، ثم قال:

«يا عبد الله، اغْدُ على رأس مالِك، واجْعَلْ باقيهُ فى بيت مال المسلمين»(٣).

عمر وزوجته:

عن سعد بن أبى وقاص، قال:

قدِمَ على عمر مِسْكٌ وعَنْبَر من البحرين، فقال: عُمْرُ:

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب للبلتاجى (٦٠، ٦١).

(٢) **الحِمَى**: مرعى بظاهر المدينة.

(٣) أى: بع الإبل، وخذ منها رأس مالك، واجعل الباقى فى بيت مال المسلمين.

«والله لودِدْتُ أن أجدَ امرأةً حَسَنَةَ الوزن تـزِنُ لى هـذا الطِّيـب، حتـى أُفَرِّقهُ بين الناس».

فقالت له امرأته عاتكة: أنا جيدة الوزن، فَهَلُمَّ أَزِنُ لك.

قال عمر: لا.

قالت: وَلِمَ؟

قال: أخشى أن تأْخذيه هكذا فتجعليه هكذا.

«وأدخل إصْبَعَيْهِ فى صُدْغَيْـه»، وتمسـحين عُنُقَـكِ، فـأصيب فَضْـلاً عـن المسلمين.

عمر ومن شَوَّهته الحرب:

عن عبد الله بن عمر، قال:

بينا الناس يأخذون أعطياتهم بين يدى عمر، إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل فى وجهه ضَرْبَةٌ، فسأله، فأخبره أنها أصابتهُ فى غزوة مع المسلمين.

فقال عمر: عُدُّوا له ألف درهم، فأُعِطىَ الرَّجُل الألفَ.

فقال: عُدُّوا له ألفًا ثانية، فأعطى الرجلُ ألفًا أُخرى.

قال عمر له ذلك أربع مَرَّات، وكُـلُّ مَـرة يعطيـه ألـف درهـم، فاسـتحيا الرجلُ من كثرة ما يُعطيه، فخرج.

قال عبد الله: فسأل عنه عمرُ، فقيل له: إنا رأينا أنه استحيا من كثرة مـا تُعطيه فخرج.

قال عمر: «أما والله لو أنه مكث ما زلتُ أُعطيـه مـا بقـى منهـا درهَـمٌ، رَجلٌ ضُرب فى سبيل الله ضَرْبةً حَفَرتْ فى وجهه، فما أصنعُ له؟!»[(١)].

---

(١) سيرة عمر للبلتاجى (٧٣، ٧٤).

عمر وزوجة الرَّجل الشهيد:

عن جابر رضى الله عنه، قال: عَسَسْتُ مع عمر ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نار ضعيفة، تقدحُ أحيانًا وتنطفئ أحيانًا، فإذا بها صَوْتٌ حَزين، فقال عمر: أقيموا مكانكم، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة، فإذا عجوز تقول:

على محمد صلاة الأبرارْ   صلى عليه المصطَفْون الأخْيارْ
قدْ كُنتَ قَوامًا على الأسحَارْ   فليت شِعْري والمنايا أَطْوارْ

هل تجْمَعنيّ وحَبيبي الدَّارْ؟

فبكى عمر حتى ارتفع صوته، ومضى حتى انتهى إلى الخيمة.

فقال: السلام عليكم، كرَّرها ثلاثًا.

فأذِنتْ له فى الثالثة.

فقال لها عمر: أعيدى عليَّ قولك.

فأعادت عليه قوْلها بصوت حزين، فبكى عمرُ.

ثم قال لها: وعمر لا تَنْسيه رحَمك اللهُ.

فقالت:

وعَمر اغْفِرْ له إنَّك غَفَّار(١)

عمر يخطط لقوَّاده المعارك:

استغرقت معركة القادسية ثلاثة أيام، وكانت القادسية بابًا عبر منه الإسلام إلى العراق، وفارس، والشرق كله، فكانت معركة مصير بين العرب والمسلمين، والفُرْس المجوس.

(١) سيرة عمر للبلتاجى (٨٢، ٨٣).

واختار عمر لجيشه «سعد بن أبـى وقـاص»[(١)]، فخـرج مـن المدينـة سـنة (١٤هـ)، وعسكر بالقادسية من أرض العراق.

فاختار أرض المعركة بحيث تكـون بـين الصحـراء، وبـين الشـبكة المائيـة المعقدة من أرض العراق، وذلك حتى لا يتورط جيش المسـلمين فـى القتـال بأرض لم يألفْها، ولا مخاطرها.

وحيث يمكن إن دارت الحرب عليه أن يتراجع إلى الصحراء، فيكر ويفر، وهو أعرف الناس بمسالكها.

أما إذا دارت الحرب على الفـرس، فيكـون العـدو أمـامهم، والبحـر مـن ورائهم وتأخذهم سيوف المسلمين، فلا تبقى لهم باقيـة، وهكـذا تحقـق مـا توقعه ذلك القائد الملهم.

ونزل سعد بن أبى وقاص، رضـى اللـه عنـه، بالقادسـية، وانتظـر جيـش الفرس طويلاً، فلـم يحضـر لملاقـاة المسـلمين، فشـنوا الغـارات علـى نواحـى العراق، شماله وجنوبه ليستفزّوهم.

وضج الفرس بالشكوى إلى ملكهم «يَزْدَجِرْد» يطلبـون حمـايتهم، فطلـب من قائده «رستم» لقاءهم بالقادسـية، فتحـرك بجيشـه، وبـرزوا أمـام جيـش المسلمين.

واستمرت الحرب ضاريـة ثلاثـة أيـام، وانتهـت بانتصـار المسـلمين علـى الفرس انتصارًا ساحقًا.

وكانت معركة القادسية من معارك التاريخ الحاسمة، التى قصمت ظهـر الفرس، فلم يستردُّوا قواهم بعدها، حتى دالت دولتهم بعد هزائم متلاحقة.

كان عمر بن الخطاب، رضى الله عنـه، قـد زود سـعدًا ببعـض نصائحـه

---

(١) ستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى.

منها: «اسمع من أصحابك، وأشركهم فى الأمر، ولا تجتهد مسرعًا، بل اتَّئِدْ»[(١)].

واعلم أنها الحرب، لا يصلح لها إلا الرَّجلُ المكِيثُ الذى يعرفُ الفُرْصة، وإنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة، على قوم تجرءوا على الشر فعملوه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون، وأحرز لسانك، ولا تفشين سرك»[(٢)].

من وصاياه للجيوش المجاهدة:

قال حيوة بن شريح:

كان عمر إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله، ثم قال عند عقد الألوية:

«بسم الله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر.

قاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تُمثِّلوا[(٣)] عند القُدْرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد.

ولا تقتلوا امرأة، ولا هرمًا، ولا وليدًا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حُمَّة النهضات، وفى شن الغارات، ولا تغلوا عند المغانم[(٤)]، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا، وأبشروا بالإرباح فى البيع الذى بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم».

---

(١) أى لا تتعجل الأمور.

(٢) سيرة عمر للبلتاجى (١٦٩ - ١٧٢) بتصرف.

(٣) **المثلة:** تشويه الخِلقة.

(٤) **الغلول:** السرقة من المغانم.

ومن وصاياه لسعد بن أبى وقاص قائده:

وصى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص حين ولاه قيادة جيش العراق، فقال له:

«يا سعد، لا يغرنك من الله أن يُقال لك: خال رسول الله، وصاحبه، فليس بين النبى وبين أحد نسب إلا بطاعة الله.

فاصنع ما كان يصنع النبى، واترك ما كان يترك.

هذه موعظتى لك».

قصته مع جبلة بن الأيهم:

روى أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة، حين رغب فى الإسلام أقبل على المدينة فى موكب كبير، عليهم ثياب الوشى، وهو لابس تاجه.

ففرح عمر بقدومهم.

فلما جاء الموسم، موسم الحج، خرج للحج مع عمر، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من فَزَارة، فحل الإزار، فلطمه جبلة على أنفه فهشمه، وسال الدم.

فاستعدى الفزارى عليه عمر.

فقال عمر لجبلة: ما دعاك لأن تلطم هذا الفزارى؟

قال: إنه وطئ إزارى فحله.

قال عمر: أما وقد أقررت فإما أن ترضيه، وإلا فعل بك مثل ما فعلت به.،

قال جبلة: أيصنع هذا، وأنا مَلِك، وهو سُوقة؟

قال عمر: لقد سوى الإسلام بينك وبينه، فما تَفْضُلُه بشىء إلا بحسن العمل.

قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية.

قال عمر: إنه كذلك[١].

قال جبلة: أخرنى إلى غد، حتى أفكر فى الأمر يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ذلك لك.

فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه حتى دخلوا القُسطنطينية على هرقل، فتنصر جبلة وأقام عنده[٢].

وهكذا يضرب عمر بن الخطاب مثلاً رائعًا للحاكم العادل، وصدق سعيد بن سويد عندما خطب الناس بحمص فقال:

«أيها الناس، إن للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل.

الإمام الحسن البصرى يصف الإمام العادل:

كتب عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى، لما ولى الخلافة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن، رحمه الله:

«اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قَوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على

(١) أى أنت كذلك عزيز فى الإسلام ما دُمْتَ على الحق، والعدوان على الناس ليس من الحق.

(٢) سيرة عمر للبلتاجى (٢٣١، ٢٣٢).

إبله، الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنَّها من أذى الحرّ والقرّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرها، وربته طفلاً، تسهر لسهره، وتسكن لسكونه، ترضعه تارة وتفطمة أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى، وخازن المساكين، يربى صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟.

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذى أنت فيه، يكون فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك فى قعره فريدًا وحيدًا، فتزود له ما

يصحبك، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

واذكر يا أمير المؤمنين: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩، ١٠]، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولاذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك.

ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحىّ القيوم.

إنى يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى، فلم آلُك شفقة ونصحًا، فأنزل كتابى إليك لمداوى حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[١].

الحنين إلى الله:

وبعد رحلة مباركة قضاها «الفاروق» فى الإسلام، مَهّدَ له الأرض، ورفرفت راية التوحيد فى عهده على بلدان كثيرة منها:

(١) العقد الفريد (٣٥، ٣٦)، صلاح الأمة (٦/٢٥ - ٢٧).

«بصرى، ودمشق، والأردن، وبيسان، وطبرية، وفلسطين، والقدس، ومصر، وطرابلس، والعراق، والأهواز، ونهاوند، وخراسان، وغيرهم كثير» آن للمسافر أن يبلغ داره ويصل إلى غايته التى عاش من أجلها، ومات فى سبيلها.

قال الإمام ابن كثير، رحمه الله تعالى: «إن عمر، رضى الله عنه، لَمَّا فرغ من الحجِّ سنة ثلاث وعشرين، ونزل بالأبطح، دعا الله عز وجل، وشكا إليه أنه قد كبرت سنّه، وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد النبىِّ ﷺ، كما ثبت عنه فى «الصحيح»، أنه كان يقول: «اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتًا فى بلد رسولك»[١].

فاستجاب الله هذا الدعاء، وجمع بين هذين الأمرين: الشهادة فى المدينة النبوية وهذا عزيز جدًا، ولكنَّ الله لطيف بما يشاء، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسى الأصل، الرومى الدار، وهو قائم يصلى فى المحراب، صلاة الصبح، بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل ست ضربات، إحداهن تحت سرته، فَخَرّ من قامته، واستخلف «عبد الرحمن بن عوف» ورجع «العلج»[٢] بخنجره لا يَمُرّ بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة، فألقى عليه «عبد الله بن عوف» برنسًا، فانتحر نفسه لعنه الله، وَحُمل عمر إلى منزله والدَّم يسيل من جرْحه، وذلك قبل طلوع الشمس، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرِّونه بالصلاة فيفيق ويقول: «نعم، ولا حظ فى الإسلام لمن تركها»[٣]، ثم صلى فى الوقت[٤].

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٣/٣٠).

(٢) العلج: الرجل من كفار العجم.

(٣) **إسناده جيد:** رواه أحمد وغيره. الترغيب والترهيب للمنذرى (١/١٩٧).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٥/٢١٧) بتصرف يسير.

مسافر إلى الجنة:

تعالوا نعايش ساعة زفاف هذا العبد الصالح إلى جنة الخلد لحظة بلحظة، ولكن من الذى ينقل إلينا صورة حية من أرض الواقع للساعات الأخيرة قبل الرحيل؟ إنه: عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما، يقول: «لما طعن أبو لؤلؤة عمر طعنتين، فظن عمر أن له ذنبًا فى الناس لا يعلمه، فدعا ابن عباس، وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه، فقال: أحب أن نعلم عن ملأ من الناس كان هذا؟.

فخرج ابن عباس، فكان لا يمر بملأ من الناس إلا وهم يبكون، فرجع إليه، فقال: يا أمير المؤمنين ما مرْرتُ على ملأ إلاّ وهم يبكون كأنهم فقدوا اليوم أبكارَ أولادهم.

فقال: من قتلنى؟ فقال: أبو لؤلؤة المجوسى عبد المغيرة بن شعبة[1].

قال ابن عباس: فرأيت البشر فى وجهه، فقال: «الحمد لله الذى لم يبتلنى بأحد يحاجنى يقول: لا إله إلا الله»[2]، أما إنى قد كنت نهيتكم أن تجلبوا إلينا من العلوج أحدًا فعصيتمونى، ثم قال: ادعوا لى إخوانى، قالوا: من؟ قال: «عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص»، فأرسل إليهم، ثم وضع رأسه فى حِجْرى، فلما جاءوا، قلت: هؤلاء قد حضروا، قال: نعم، نظرت فى أمر المسلمين، فوجدتكم أيها الستة رءوس الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، ما استقمتم يَسْتَقِمْ أمرُ الناس، وإن يكن اختلاف، يكن فيكم.

فَلمَّا سمعته ذكر الاختلاف والشِّقاق ظننتُ أنه كائن، لأنه قَلمَّا قال

---

(١) قال بعض الأفاكين أن المغيرة هو الذى دَبَّر هذه الخطّة **«قُتِل الخَراصون»** ما أكذبهم.

(٢) وفى رواية: «الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يدى رجل يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجدة». البداية (٥/٢١٨).

شيئًا إلا رأيته، ثم نزفه الدم فهمسوا بينهم حتى خشيتُ أن يبايعوا رجلاً منهم، فقلت: إن الأمير حَيّ بعدُ ولا يكون خليفتان ينظر أحدهما إلى الآخر، فقال: «احملوني» فحملناه، فقال: «تشاوروا ثلاثًا، ويصلي بالناس صُهيب» قالوا: من نُشاور يا أمير المؤمنين؟ قال: «شاوروا المهاجرين والأنصار وسَرَاة من هنا من الأجناد» ثم دعا بشربة من لبن، فشرب، فخرج بياض اللبن من الجرحين، فعرف أنه الموت، فقال: «الآن، ولو أن لى الدنيا كلها لافتديت بها من هول المطلع، وما ذاك والحمد لله أن أكون رأيت إلا خيرًا».

فقال ابن عباس: وإن قلت، فجزاك الله خيرًا، أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعزّ اللهُ بك الدين والمسلمين، إذْ يخافُون بمكّة، فلمَّا أسلمت كان إسلامك عزًا، وظهر بك الإسلام، ورسول الله ﷺ وأصحابه، وهاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فَتْحًا، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين من يوم كذا ويوم كذا، ثم قُبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فوازَرْتَ الخليفة بعده على منهاج رسول الله ﷺ فَضَرْبتَ بمن أقبل من أدْبَرَ، حتى دخل الناس فى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم قبض الخليفة وهو عنك راض، ثم وُلِّيتَ بخير ما وُلِّى الناس، مَصَّر الله بك الأمصار، وَجَبَى بك الأموال، ونفى بك العدو، وأدخل الله بك على كل أهل بيت من توسعتهم فى دينهم، وتوسعتهم فى أرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئًا لك.

فقال: «والله إن المغرورَ من تَغُرُّونه»، ثم قال: «أتشهد لى يا عبد الله عند الله يوم القيامة؟»، فقال: نعم، فقال: «اللهم لك الحمد، ألصق خدى بالأرض يا عبد الله بن عمر»[١].

فوضعتُه من فخذى على ساقى، فقال: «ألصق خدى بالأرض» فترك

(١) كأنه تحرف عبد الله بن عباس إلى ابن عمر.

لحيته وخدّه حتى وقع بالأرض، فقال: «ويلك وويـل أمِّـك يـا عمـر إن لـم يغفر الله لك يا عمر».

ثم قُبض رحمه الله، فلما قبض أرسلوا إلى عبد الله بـن عمـر، فقـال: لا آتيكم إن لم تفعلوا ما أمركم به من مشاورة المهاجرين والأنصار وسَرَاة من هنا من الأجناد.

قال الحسن: وذكر له فعل عمـر عنـد موتـه، وخشـيته مـن رَبِّـه، فقـال: «هكذا المؤمن جمع إحسانًا وشـفقةً، والمنـافق جمـعٍ إسـاءةً وَغِـرَّةً، واللـه مـا وجدت فيما مضى ولا فيما بقى عبدًا ازداد إحسانًا ومخافةً وشفقةً منه، ولا وجدتُ فيما مضى ولا فيما بقى عبدًا ازداد إساءةً إلا ازداد غِرَّةً»[(١)].

مسك الختام:

لا أجد فى نهاية المطاف ونحنِ نودِّعِ أمير المؤمنين من كلمات إلا ما قال ابن مسعود: «إن عمر كان حصنا حصينًا على الإسـلام، يدخـل النـاس فيـه ولا يخرجـون، وإن الحصـن أصبـح وقـد انثلـم، فالنـاس يخرجــون منــه ولا يدخلون»[(٢)].

وقال: «وددتُ أنى كنت خادمًا لعمر حتى أموت»[(٣)].

وقال: «لو أن عمر أحبّ كلبًا كان أحب الكلاب إلىّ»[(٤)].

صدق والله ابن مسعود، وسلام على عمر بن الخطاب فى الخالدين.



(١) **إسناده حسن**: رواه الطبرانى فى «الأوسط». وقال الهَيْثمـى: إسـناده حسـن. المجمـع برقم (١٤٤٦٣).
(٢) رواه الطبرانى فى «الكبير». المجمع برقم (١٤٤٦٦) (١٤٤٧٩).
(٣) رواه الطبرانى فى «الكبير». المجمع برقم (١٤٤٦٦) (١٤٤٧٠).
(٤) رواه الطبرانى فى «الكبير» برقم (٨٨١٥).

٣ - عثمان بن عفان

هو: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ولد، رضى الله عنه، فى السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.

تزوج رقية بنت رسول الله ﷺ، وماتت عنده ليالى غزوة بدر، فزوجه الرسول ﷺ بعدها أختها أم كلثوم.

قال العلماء: «ولا يعرف أحد تزوج بنتى نَبىٍّ غَيْره، ولذلك سُمِّى ذا النورين. وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن».

وكان «طويل اللحية، حسن الوجه»[(١)] «من أجمل الناس»[(٢)].

عن عبد الرحمن بن عثمان القرشى: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهى تَغْسل رأس عثمان، فقال: «يا بُنَيَّة أَحْسِنى إلى أبى عَبْدِ الله، فإنه أشْبَهُ أصْحَابى بى خُلُقًا»[(٣)].

فضائله:

١ - عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، أى: الجبل، هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبى ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبىٌّ، أو صِّديق، أو شهيد»[(٤)].

---

(١) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى عن عبد الله بن شداد موقوفًا. المجمع (١٤٤٩٢).

(٢) قال الهيثمى: رواه عبد الله ورجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهى ثقة. المجمع (١٤٤٩٦).

(٣) **رجاله ثقات:** رواه الطبرانى ورجاله ثقات. المجمع برقم (١٤٥٠٠).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم والترمذى، وانظر: الصحيحة (٥٦٢/٢).

قلت: وهذا الحديث أعمّ من الحديث الذى ذكر «شهيدين»، وفيه معجزة من معجزات النبوة، فلقد اسْتُشهد عثمان، وعلى، وعمر، وطلحة، والزبير، رضى الله عنهم.

٢ - وعن أبى موسى الأشعرى قال: انطلقت مع النبى ﷺ، فدخل حائطًا للأنصار فقضى حاجته، فقال لى: «يا أبا موسى امْلِك علىَّ الباب فلاَ يْدخُلَنَّ علىَّ أحد إلا بإذن»، فجاء رجل فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ قال: «ائْذن له وبشِّره بالجنة»، فدخل وبشرته بالجنة.

وجاء رجل آخر، فضرب الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر، فقلت: يا رسول الله، هذا عمر يستأذن، قال: «افتَحْ له وبشِّرْه بالجنة»، ففتحت له ودخل وبَشَّرْتُه بالجنة.

فجاء رجل آخر فضرب الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان، قلت: يا رسول الله، هذا عثمان يستأذن؟ قال: «افتح له وبشِّره بالجنة على بَلْوَى تُصِيبُهُ»(١).

٣ - وعن عثمان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفر رُومة(٢) فله الجنة»، فحفرتها. وقال: «من جَهَّز جيش العسرة فله الجنة» فجهزتُهُ(٣).

٤ - وقال عثمان رضى الله عنه: «والله ما زنيتُ فى جاهلية ولا فى إسلام قَطّ»(٤).

---

(١) **صحيح:** صحيح سنن الترمذى (٢٩٢٧).
(٢) رومة: بئر.
(٣) **صحيح لشواهده:** رواه البخارى تعليقًا، وانظر: روضة المحبين (٢٠).
(٤) **صحيح:** رواه أبو داود، وانظر: روضة المحبين للعدوى (٢٠).

حياؤه:

عن عائشة، رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان جالسًا كاشفًا عن فخذه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عمر وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه.

فلما قاموا قلت: يا رسول الله، استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما، وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان، أرخيت عليك ثيابك، فقال: «يا عائشة، ألا أستحى من رجل، والله إن الملائكة تستحى منه»[(١)].

قلت: الملائكة تستحى من عثمان، رضى الله عنه، والنبى ﷺ يستحى منه!! أفلا يستحى الطاعنون فيه من الإفتراء عليه؟!.

وعن الحسن، رحمه الله، وذكر عثمان، رضى الله عنه، وشدة حيائه، قال: «إن كان ليكون فى البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب، ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صُلْبَه»[(٢)].

تعبده:

عن ابن عمر، رضى الله عنه، أنه قال فى قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ [الزمر: ٩]، قال: «هو عثمان بن عفان»[(٣)].

وكان رضى الله عنه لا يوقظ أحدًا من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يقظانًا، وكان يصوم الدهر، وكان يعاتب، فيقال: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا! الليل لهم يسترحون فيه[(٤)].

---

(١) أخرج مسلم الحديث فى باب «فضائل عثمان» بألفاظ مقاربة لهذه الرواية.

(٢) رجاله ثقات: قال الهيثمى: رواه أحمد، ورجاله ثقات. المجمع (٩/٨٢).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/٣٠٧). فائدة: قال ابن عباس: «من أحب أن يهّون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله فى ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه». تفسير القرطبى (١٥/٢١٤).

(٤) البداية والنهاية (٥/٣٠٧).

وعن الحسن، قال: قال عثمان: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنى لأكره أن يأتى علىَّ يوم لا أنظر فى المصحف» وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم[١] النظر فيه[٢].

وقتل رضى الله عنه والمصحف فى حجره.

وقال أنس ومحمد بن سيرين: قالت امرأة عثمان يوم الدار[٣]: «اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يحيى الليل بالقرآن فى ركعة!»[٤].

خوفه:

عن عبد الله بن الرومى، قال: «بلغنى أن عثمان، رضى الله عنه، قال: «لو أنى بين الجنة والنار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

وكان عثمان، رضى الله عنه، إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، فلا تبكى، وتذكر القبر فتبكى؟ فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»[٥].

---

(١) **يديم النظر**: يطيل النظر.

(٢) البداية (٥/٣٠٧).

(٣) **يوم الدار**: يوم هجوم الثوار عليه لقتله.

(٤) **قال الذهبى**: «وصَحَّ من وجوه، أن عثمان قرأ القرآن كُلَّه فى ركعة». [سير أعلام النبلاء، جزء (الخلفاء) ص ١٥٧]. وانظر: «التبيان» للنووى (ص ٥٧). **قلت**: وصح النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث. **قال ابن رجب**: «وإنما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك» أ.هـ. لطائف المعارف (١٩١).

(٥) **حسن**: رواه الترمذى، وقال الألبانى: حسن، صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٦١).

وقال هانى، مولى عثمان: سمعت عثمان ينشد على قبر:

فإن تنجُ منها تْنجُ من ذى عظيمةٍ   وإلاَّ فإنى لا إخالُك ناجيًا[١]

تواضعه:

عن الحسن، رحمه الله تعالى، قال: «رأيت عثمان، رضى الله عنه، نائمًا فى المسجد فى ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين»[٢].

رَدُّ السهام عن الخليفة عثمان:

أشاع المفترون على «ذى النورين» أمورًا مختلقة، وافتراءات مكشوفة، أرادوا بها طمس الحقيقة، والطعن فى ثالث الخلفاء الراشدين، وانبرى لهم العلماء قديمًا وحديثًا، فردُّوا سهامهم إلى نحورهم، وكشفوا زيفهم «والله غالب على أمره».

ومن هذا الافتراءات:

١ - قولهم: إنه - أى عثمان - لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان.

والجواب: أن عثمان، رضى الله عنه، دفع ديته من ماله بعد أن شاور الصحابة؛ لأنه ولى دم القتيل الذى لم يكن له ولى، وفقًا لقاعدة: «السلطان ولى من لا ولى له».

وفى بعض الروايات، أن ابن الهرمزان (القمازبان) عفا عن القاتل (عبيد الله بن عمر)، وروايات تؤكد أن الهرمزان خطط لقتل عمر[٣].

٢ - ومنها قولهم: إن عثمان وَلَّى أقاربه كعبد الله بن عامر، والوليد بن

---

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب برقم (٥١٧٧).

(٢) انظر: الحلية (١/٦٠).

(٣) انظر: تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى (٤/٢٣٩، ٢٤٠)، عثمان لمحمد حسين هيكل (٥١).

عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن أبى سرح، وعزل الصحابة.

والجواب: أن عبد الله بن عامر كان كثير المناقب، فتح خراسان، وأطراف فارس وسجستان وغير ذلك. وقال ابن تيمية عنه: «إن له من الحسنات والمحبة فى قلوب الناس ما لا ينكر»[١].

أما الوليد بن عقبة: فلقد ولاَّه عثمان؛ لأنه ابن عَّمة رسول الله ﷺ، ولقد ولاَّه الصِّديق قبل ذلك، وما يُروى أن القرآن فَسَّقَه فى قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فليس صحيحًا، فلقد كان عند نزول هذه الآية حَدَثًا صغير السن[٢].

أمّا اتهامه بشرب الخمر، فالصحيح أنها كانت مؤامرة خبيثة ضده، وليس هناك دليل صحيح يركن إليه المسلم لتصديق ذلك، ولقد حلف لعثمان رضى الله عنه أنه ما شربها، فقال عثمان: «نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار»[٣].

أما مروان بن الحكم: فهو رجل عدل، ويكفى أن له أحاديث فى الصحاح.

أمَّا توليته لعبد الله بن أبى سرح، وهو الذى ارتد بعد إسلامه، فلقد تاب وعاد وَحَسُن إسلامه، وجاهد جهاد الأبرار، ومات بين التسليمتين. ومعلوم أن الذنوب ليست مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة.

٣ - أما قولهم: إنه حرق المصاحف.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية (٣/١٨٩، ١٩٠) تحقيق/ محمد رشاد سالم.

(٢) انظر: العواصم من القواصم لأبى بكر العربى (٩٠، ٩١)، تحقيق/ محب الدين الخطيب.

(٣) انظر: إنصاف الخليفة عثمان من افتراءات صاحب الكشف والبيان (٤٣، ٤٤)، د. عبد الله جمال الدين.

فالجواب: قال على بن أبى طالب: «... فوالله ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، جَمَعَنا وقال: ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها، يلقى الرجلُ الرجلَ، فيقول: قراءتى خير من قراءتك وهذا يُجر إلى الكُفْر، فقلنا: ما الرأى؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان مَنْ بعدكم أشد اختلافًا، فقلنا: نِعْم ما رأيت»[١].

أمَّا قصة اختلافه، رضى الله عنه، مع ابن مسعود، رضى الله عنه، فيقول الدكتور طه حسين: «إن قضية الاختلاف بين عثمان وابن مسعود متكلفة ومصنوعة»[٢].

٤ - أما قولهم: إنه ضرب ابن مسعود، وعمار بن ياسر!!

فالجواب: أن ذلك إفك مفترى، فأين السند المتصل، والرواة العدول لثبوت ذلك؟ وعلى فرض ثبوت ذلك، فإن ابن تيمية يقول: «فإن قيل إن عثمان قد ضرب ابن مسعود وعمار، فهذا لا يقدح فى واحد منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة فى الجنة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، ولقد ضرب عمر، أبىّ بن كعب، بالدِّرَّة لما رأى الناس يمشون خلفه، وقال: «ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع»[٣].

٥ - أما قولهم: إنه رَدَّ طريد رسول الله (الحكم بن العاص)!!

فالجواب: قال ابن تيمية: «لم تثبت من الأصل، وليس لها إسناد».

٦ - أما قولهم: إنه أمر بنفى أبى ذر، رضى الله عنه، إلى «الربذة»!!

---

(١) انظر: منهاج السنة (٢٥٢/٦، ٢٥٣).
(٢) انظر: الفتنة الكبرى (١٦٢/١).
(٣) انظر: منهاج السنة (١٩٢/٣) ط أولى.

فالجواب: أن أبا ذر هو الذى اختار ذلك ووافق عليه عثمان[١].

الحصار الظالم:

أدَّت الافتراءات السابقة إلى: تحرك الثوار من أهل مصر، والكوفة، والبصرة، وتراسلوا، (وزُوِّرت) كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة، وعلى لسان طلحة والزبير، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين!! وأنه أكبر الجهاد اليوم.

وتحرك الثوار، وفرضوا حصارًا حول دار عثمان، ظل على الراجح أربعين يومًا.

وعن الحسن، قال: أنبأنى وثاب، قال: بعثنى عثمان، فدعوت له الأشتر[٢]، فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بُدّ، قال: ما هُنَّ؟ قال: يخيِّروك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم، فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت، فإن القوم قاتلوك. فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله[٣]، وأما أن أُقص لهم من نفسى، فوالله لقد علمت أن صاحِبى[٤] بين يدى، وقد كانا يعاقبان وما يقوم بيت بالقصاص، وأما أن تقتلونى، فوالله لئن قتلتمونى لا تحابون بعدى، ولا تصلون بعدى جميعًا، ولا تقاتلون بعدى جميعًا عدوًا أبدًا[٥].

وعن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: لما حُصر عثمان، أشرف عليهم

(١) انظر: العواصم (٧٣ - ٧٧).
(٢) من أمراء الثوار الذين خرجوا على عثمان رضى الله عنه.
(٣) قال النبى ﷺ لعثمان يومًا: **«يا عثمان إنه لعلَّ الله يُقَمِّصُكَ قميصًا، فإنْ أرادوكَ على خَلْعِهِ فلا تَخلعْهُ لهم»**. صحيح: صحيح سنن الترمذى (٢٩٢٣).
(٤) أى: أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما.
(٥) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٧١).

فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حِراء - أى الجبل - حين انتفض قال رسول الله ﷺ: «اثْبُتْ حِرَاء فليس عليك إلا نبىٌّ أو صدِّيق أو شهيد؟» قالوا: نعم.

قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال فى جيش العُسْرة(١): «من ينفقُ نفَقةً متقبَّلَةً؟ والناسُ مُجهدُونَ مُعْسِرون، فجهزتُ ذلك الجيش؟» قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رُومَة(٢) لم يكن يُشرب منها أحد إلاَّ بثمن، فابتعتها(٣)، فجعلتها للغنىّ والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عَدَّها(٤).

ولكن القوم صَمُّوا آذانهم، وسوَّلت لهم أنفسهم، وغلبت عليهم شقوتهم وأبَوْا إلا قتله!!

دعوة كريمة من الجنة: أفطر عندنا يا عثمان!!

عن مسلم بن سعيد، مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا ودعا بسراويل فشدَّها ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام(٥)، وقال: «إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، وأبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لى: اصبر فإنك تفطر(٦) عندنا القابلة»، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل، وهو بين يديه، واستسلم لقضاء الله عز وجل، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا.

(١) هو الجيش الذى اتجه إلى تبوك.

(٢) بئر اشتراها عثمان، رضى الله عنه، للمسلمين.

(٣) أى اشتريتها.

(٤) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (١٩٢٩)، وابن ماجه (١٠٩).

(٥) قال ابن كثير: «إنما لبس السراويل فى هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل». انظر: البداية (٥/٢٧٠).

(٦) وكان رضى الله عنه صائمًا يوم أن قُتل.

ولما عزم على أهل الدار فى الانصراف وترك القتال، تسوَّر الثوار عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه، وليس فيهم أحد من الصحابة، وضربوه والمصحف بين يديه، وكان فى نحو التسعين من عمره[١].

قال ابن كثير: وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وليس ذلك ببعيد، فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه»[٢].

وضربه أحدهم على يده، فقال عثمان: «إنها لأول يد خطت المفصَّل»[٣].

وروى ابن عساكر: أنه لما طعن قال: بسم الله، توكلت على الله، فلما قطر الدم، قال: سبحان الله العظيم.

وقال الأصمعى عن العلاء بن الفضل، عن أبيه قال: لما قتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقًا مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حقة[٤] فيها ورقة مكتوب فيها: «هذه وصية عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من فى القبور، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى»[٥].

ولما استشهد، رضى الله عنه، صلى عليه الزبير، رضى الله عن الجميع، ودفن «بحشّ كوكب»، شرقى البقيع. (البداية ٥/٢٨٠).

(١) قال قتادة: إن عثمان قتل، وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة. رجاله ثقات. رواه الطبرانى.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٧٣).
(٣) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى وحسَّن الهيثمى إسناده. المجمع (١٤٥٥٢).
(٤) حقة: وعاء من خشب.
(٥) رواه أبو يعلى، وعبد الله بن الإمام أحمد. انظر: البداية (٥/٢٧٠).

عدالة الله:

عن محمد بن سيرين، قال: «كنت أطوف بالكعبة، وإذا رجل يقول: اللهم اغفر لى، وما أظن أن تغفر لى، فقلت: يا عبد الله، ما سمعتُ أحدًا يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت لله عهدًا إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قُتل وضع على سريره فى البيت، والناس يجيئون يصلون عليه، فدخلت كأنى أصلى عليه، فوجدتُ خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته، وقد يبست يمينى. قال ابن سيرين: فرأيتها يابسة كأنها عود!!»[1].

وصدق القائل:

الله يدرى كل ما تضمر ... يعلم ما تخفى وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع ... خداع من يطوى ومن ينشر

يا ويلاه النار:

عن أبى قلابة، قال: «كنت فى رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: «يا ويلاه النار». قال: فقمت إليه، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًا لوجهه، فسألته عن حاله، فقال:

إنى كنتُ مِمَّن دخل على عثمان الدار، فلمَّا دنوت منه صَرَخَتْ زوجته[2] فلطمتها، فقال، أى عثمان: «ما لك، قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار»، فأخذتنى رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابنى ما تَرَى، ولم يَبْقَ من دعائه إلا النار. قلت له: بُعْدًا لك وسُحْقًا[3].

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٨١).
(٢) هى نائلة بنت الفرافصة، رضى الله عنها.
(٣) انظر: الرياض النضرة فى مناقب العشرة للطبرى (٥٠٧) تحقيق/ د. حمزة النشرتى.

وقال يزيد بن أبى حبيب: «إن عامَّة الذين ساروا إلى عثمان جُنُّوا»[1].

فنم قرير العين يا ذا النورين «والعاقبة للمتقين».



(١) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى وحَسَّن إسناده الهيثمى. المجمع برقم (١٤٥٥٣).

٤ - على بن أبى طالب

من هو:

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب، ابن عم النبى ﷺ، راية المهتدين، ونور المطيعين، وإمام العادلين، صاحب القلب العقول، واللسان السؤول، أقدمهم إيمانًا، وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فضائله:

١ - قال ﷺ: «من كنتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مولاهُ»[(١)].

٢ - وعن سعد بن أبى وقاص، أن النبى ﷺ قال لعلىّ: «أنت منى بمنزلة هارونَ مِنْ موسى، إلا أنه لا نبىَّ بعدى»[(٢)].

٣ - وعن على قال: لقد عهد إلىَّ النبى ﷺ، النبى الأمِّىّ: «أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[(٣)].

٤ - وعن حُبْشىّ بن جنادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علىٌّ منى وأنا منه، ولا يؤدِّى عَنِّى إلا علىّ»[(٤)].

٥ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خَيْرٌ منهما»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (٩٨)، الصحيحة (٤/٣٣٥).
(٢) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (٩٨)، صحيح سنن الترمذى (٢٩٣٣).
(٣) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٣٨)، ابن ماجه (١١٤).
(٤) **حسن**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٣١)، وابن ماجه (١١٩).
(٥) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (٩٦)، الصحيحة (٧٩٧).

٦ - وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: كان أبو ليلى يَسْمُرُ[١] مع علىٍّ، فكان يلبَسُ ثيابَ الصيف فى الشتاء، وثياب الشتاء فى الصيف، فقلنا: لو سألتهُ! فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلىَّ وأنا أرمدُ العين، يوم خيبر، قلت: يا رسول الله، إنى أرمدُ العين، فَتَفَل فى عينى، ثم قال: «اللهم أذهب عنْهُ الحَرَّ والبْردَ».

قال: فما وجدتُ حَرًا ولا بردًا بعدَ يَوْمئذٍ، وقال: «لأبعثَنَّ رجلاً يحبُّ اللَّهَ ورسولَهُ، ويحبُّه اللَّهُ ورسولُه، ليس بِفَرَّار». فتشوف له الناس، فبعث إلى علىّ فأعطاها إياه[٢].

٧ - وعن ابن مسعود، رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «النظر إلى علىٍّ عبادة»[٣].

مواقف من جهاده فى سبيل الله تعالى:

وقبل أن نقدم طرفًا من مواقف جهاده رضى الله عنه، أقول: إن الإسلام شرع الجهاد حماية للحق، وردًا للمظالم، وقمعًا للعدوان وكسرًا للجبابرة.

أمَّا تَخَرُّص المستشرقين من أهل الأديان الأخرى والادعاء بأن المسلمين جنحوا إلى القوة حيث لا مبرر لها، فذلك كله لغو طائش، وهو جزء من الحملة المدبرة لمحو الإسلام، واستبقاء أهله عبيدًا للصليبية والصهيونية، وما من أيام القتال فيهن أوجب على المسلمين من أيام يهدد فيها الإسلام وآله بالفناء، وتتآلب عليه شتى القوى، بل يصطلح ضده الخصوم الألداء، محاولين سحقه إلى الأبد.

---

(١) يَسْمُرُ: السمر والمسامرة: الحديث بالليل.
(٢) **حسن:** صحيح سنن ابن ماجه (٩٥) وحسَّنه الهيثمى فى المجمع (٩/١٢٢) بنحوه.
(٣) رواه الطبرانى والحاكم، وقال السيوطى: إسناده حسن. تاريخ الخلفاء (ص ١٧٢).
وضعفه ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/٤٧٣).

وقد وقع ذلك فى صدر الإسلام، ووقع فى هذه الأيام، فسقطت أوطان الإسلام فى أيدى لصوص الأرض، ثم رسمت أخبث السياسات للذهاب به رويدًا رويدًا.

وكيف تستنكر صناعة الموت فى أمة يتواثب حولها الجزارون من كل فج؟!»[١].

هذه مقدمة لابد منها، ونشرع فى المقصود:

الموقف الأول: يوم بدر:

فى بداية غزوة بدر برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فخرج للقائهم فتية من الأنصار، فنادَوْا: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبى ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علىّ»، فبارز عبيدةُ عُتبةَ، وبارز حمزةُ شيبة، وبارز علىٌّ الوليد.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وكذلك فعل علىٌّ مع خصمه، وأما عبيدة وعتبة، فقد جرح كلاهما الآخر، فَكَرّ حمزة وعلىّ بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه، واحتملا صاحبهما[٢].

وعن ابن عباس، أن عبيدة بن الحارث مات بالصفراء منصرفه من بدر، فدفنه رسول الله ﷺ هناك[٣].

الموقف الثانى: يوم الخندق:

خرج عمرو بن عبد ودّ، وهو مقنع بالحديد، أى مستتر، فنادى: من

---

(١) انظر: فقه السيرة للغزالى (٢٢٥) بتصرف.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١/٤١٦)، وأحمد وصححه الألبانى فى تخريج فقه السيرة (٢٤٣).

(٣) **حسن**: رواه الحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى، وحسنه الألبانى فى تخريج فقه السيرة (٢٤٣)، وضعف رواية: أنه مات وخدُّه على قدم النبى ﷺ.

يبارز؟ فقام عليٌّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، فقال: أنا لـه يـا نبـىَّ اللـه، فقال ﷺ: «إنه عمرو، اجلس».

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكـم التـى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلىَّ رجلاً؟ فقام علىَّ، رضى الله عنه، فقال: أنا يا رسول اللـه، فقـال ﷺ: «اجلـس»، ثـم نـادى الثالثـة، فقال: فذكر شعرًا(١). قال: فقام عليٌّ رضى الله عنه، فقال: يا رسول اللـه، أنا، فقال: «إنه عمرو».

فقال: وإن كان عمرًا، فأذن له رسول اللـه ﷺ، فمشـى إليـه حتـى أتـى وهو يقول:

لا تعجلـــن فقـــد أتـــاك مجيب صوتـك غـير عـاجز
فـــى نيـــة وبصـــيرة الصـدق منجـى كـل فـائز
إنـــى لأرجـــو أن أقيـــم عليـك نائحــة الجنـــائز
مـــن ضربـــة نجـــلاء يبقى ذكرهـا عنـد الهزاهـز(٢)

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليٌّ، قال: ابن عبد مناف؟ قـال: أنـا عليٌّ بن أبى طالب، فقال: يا ابن أخى مـن أعمـامِك من هـو أسـنُّ منـك، فإنى أكره أن أهريق دمك. فقال له عليٌّ: لكنى، والله، لا أكـره أن أهريـق دمك.

فغضب فنزل، وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو عليٍّ، رضـى اللـه عنه، مغضبًا، واستقبله عليٌّ بدرقته، فضربه عمرو فى درقته فقدَّهـا، وأثبـت فيها السيف وأصاب رأسه فشجَّه، وضربه عليٌّ علـى حبـل عاتقـه فسـقط،

(١) شعر قاله عمرو حينئذ.
(٢) نجلاء: واسعة. والهزاهز: الحروب والشدائد.

وثار العجاج[١]، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن عليًا قد قتله، ثم أقبل عليٌّ، رضى الله عنه، نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال له عمر ابن الخطاب، رضى الله عنه: هَلاَّ استلبته درعه؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ قال: ضربته فاتقانى بسوءته[٢]، فاستحييت ابن عمى أن أسلبه[٣]. أ.هـ.

الموقف الثالث: يوم خيبر:

إن اليهود لا يعتمدون على تسيير الجيوش فى الفضاء الرَّحب، تصيب ويصاب منها، إنهم يكرهون اللقاء فى تلك الميادين المكشوفة، ودينهم الذى لا ينفكون عنه: هو الكفاح من وراء الجدران[٤].

وفى يوم خيبر، كانت الراية مع علىٍّ بن أبى طالب، وتحصن اليهود فى حصونهم المشيدة، ولما بدأ القتال بين المسلمين واليهود، شن المسلمون هجومهم على الحصون، فبدأت تتداعى تحت وطأتهم حصنًا بعد حصن.

وخرج من حصون اليهود فارس يدعى مِرْحبًا، فنادى المسلمين: من يبارز؟ وهو ينشد:

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مُجرَّب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تُحَرَّب

فبرز له علىٌّ، رضى الله عنه، وهو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدره ... كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السَّندره[٥]

(١) العجاج: الغبار.
(٢) أى استقبله بعورته.
(٣) ذكرها ابن كثير فى البداية (٤/١٠٦) من طريق البيهقى عن ابن إسحاق.
(٤) انظر: فقه السيرة للغزالى (٣٦٣).
(٥) أى أقتلكم قتلاً واسعًا كبيرًا ذريعًا.

فضرب عليٌّ مرحبًا ففلق رأسه، وكان الفتح[1]، وسقطت كل الحصون، وانتصر المسلمون، ولقنوا اليهود درسًا لا ينسى، وهكذا نرى أن القرى الفاجرة تجر على نفسها الهلاك إن عاجلاً وإن آجلاً، والأمَّة التى تتكبر مع الحرية، تفقد امتلاكها لنفسها، لتقع فى إسار الآخرين.

علمه:

قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «أما تَرْضَيْن أن زَوْجتُك أقدم أمتى سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حِلْمًا»[2].

وأخرج ابن سعد، عن علىٍّ، رضى الله عنه، قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى مَنْ نزلت، إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً، ولسانًا صادقًا ناطقًا»[3].

وأخرج ابن سعد أيضًا وغيره، عن علىٍّ، قال: «سلونى عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليل نزلتْ أم بنهار، وفى سهل أم فى جبل»[4].

زهده:

عن على بن الأقمر عن أبيه قال:

«رأيت عليًا عليه السلام وهو يبيع سيفًا له فى السوق، ويقول: من يشترى منى هذا السيف؟ فوالذى فلق الحَبَّة لطال ما كشفت به الكرْب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته»[5]. أ. هـ.

---

(١) **صحيح**: ثبت فى صحيح مسلم وغيره. قال الألبانى: إن الأخبار كثيرة متواترة أن قاتل مرحب هو علىٌّ. التعليق على فقه السنة (٣٦٥).

(٢) قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى برجال وثقوا. المجمع برقم (١٤٦٦٩).

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء (١٨٥).

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء (١٨٥).

(٥) انظر: صفة الصفوة (١/١٦٧، ١٦٨).

إيه يا أبا الحسن، ما أجلّك، وما عند الله خير وأبقى، فصبرًا على لأوائها[١] والموعد الله.

طوبى للزاهدين فى الدنيا

موعظة تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب

عن نوف البكالى، قال: «رأيت عليَّ بن أبى طالب خرج ليلة، فنظر إلى النجوم، فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف، طوبى للزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطًا، وترابها فراشًا، وماءها طيبًا، والقرآن والدعاء دثارًا وشعارًا، فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام.

يا نوف، إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى أن مُرْ بنى بنى إسرائيل أن لا يدخلوا بيتًا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيدٍ من الآثام نقية، فإنى لا أستجيب لأحد منهم ولأحدٍ من خلقى عنده مظلمة.

يا نوف، لا تكن شاعرًا[٢] ولا عريفًا ولا شرطيًا ولا جابيًا ولا عَشَّارًا[٣]، فإن داود عليه السلام قام فى ساعة من الليل، فقال: يا لها من ساعة لا يدعو فيها عبدٌ رَبَّه إلا استجاب له فيها، إلا أن يكون عريفًا أو شرطيًا أو جابيًا، أو عشَّارًا أو صاحب عربطة[٤]، وهو الطنبور، أو صاحب كوبة، وهو الطبل، أو صاحب شاه، وهو الشطرنج[٥].

وصية أخرى تكتب بأحرف من نور

عن كميل بن زياد قال: أخذ عليٌّ بن أبى طالب بيدى، فأخرجنى إلى

---

(١) لأوائها: تعبها، أى الدنيا.

(٢) يقصد الشِّعر المذموم، الذى قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾، أما الشعر المستقيم فلا بأس به، فإن من الشعر لحكمة.

(٣) هو قاطع الطريق الذى يجبى عشور أموال المارة.

(٤) عربطة: أداه من أدوات المعازف.

(٥) انظر: البداية (٥/٤٩٦).

ناحية الجبَّان(١)، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس، ثم قال:

يا كُمَيْل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربانى، ومتعلم على سبيل النجاة، وَهَمَج رِعَاع اتباع كُلَّ ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو(٢) على العمل، والمال تنقصه النفقة. ومحبة العالِم دين يدان بها.

العلم يكسب العالِمَ الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وضيعة المال تزول بزواله.

مات خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة، هاه، إن هاهنا، وأشار بيده إلى صدره، علمًا لو أصبت له حملة، بلى أصبته لقنًا غير مأمون عليه.

يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق لا بصيرة له فى إحيائه، يقتدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك.

أو مفهوم باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، وليسا من دعاة الدين.

أقرب شبهًا بهما من الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدّوها إلى نظرائهم، ويزرعونها فى قلوب أشباههم، هجم

(١) الجبَّان: المقابر.

(٢) أى ينمو.

بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون.

صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه، هاه شوقًا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لى ولك، إذا شئت فَقُمْ»[1].

من وثيق عباراته ودقيق إشاراته:

كونوا ينابيع العلم، معادن الحكمة، مصابيح الليل، خلقان الثياب، جدد القلوب، تعرفون فى أهل السماء، وتخفون فى أهل الأرض، وتذكرون عند ربكم.

ألا إن الفقيه كل الفقيه الذى لا يُقَنِّطُ الناسَ من رحمة الله ولا يُؤمِنهُم من عذاب الله، ولا يرخص لهم فى معاصى الله، ولا يدع القرآن رغبةً عنه إلى غيره، ولا خير فى عبادة لا علم فيها، ولا خير فى علم لا فهم فيه، ولا خير فى قراءة لا تَدَبُّرَ فيها.

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حِلْمُك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة. ورجل يسارع فى الخيرات ويعمل فى الدرجات، ولا يقل عملاً مع التقوى، وكيف يقل ما يقبل؟.

وقال رحمه الله تعالى: احفظوا عنى خمسًا لو ركبتم الإبل فى طلبهن لما أصبتموهن ولأنضيتم الإبل قبل أن تدركوهن:

---

(١) انظر: حلية الأولياء (١/٧٩، ٨٠).

لا يَرْجُونَّ عبدٌ إلا رَبَّه، ولا يَخَف إلاَّ ذنبه، ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحى عالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

وقال رضى الله عنه: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحقّ من نفسك، وذكر الله على كُلِّ حال، ومواساة الأخ بالمال.

ومن خطبه رضى الله عنه:

عن رجل من بنى شيبان، أن على بن أبى طالب عليه السلام خطب فقال: «الحمد لله، أحمد وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق يزيح به علتكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون بعد الموت، وموقفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهى بين أهلها دُوَل وسجال، ولا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرها نُزَّالها، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور، إذا هم منها فى بلاء وغرور، أحوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها، وتقصمهم بحمامها، وكل حتفه فيها مقدور، وحظه فيها موفور.

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى، مِمَّن كان أطول منكم أعمارًا، وأشد منكم بطشًا، وأعمر ديارًا، وأبعد آثارًا، فأصبحت أموالهم هامدة من بعد نقلتهم، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة، الصخور والأحجار فى القبور التى قد بنى على الخراب فناؤها، وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة

موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان، على ما بينهم من قرب الجوار، ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى، وأظلتهم الجنادل والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتًا، وبعد نضارة العيش رفاتًا، فجُع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات، ﴿**كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وكان قد صِرتم إلى ما صاروا إليه من البلى، والوحدة فى دار المثوى، وارتهنتم فى ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحصِّل ما فى الصدور، ووقفتم للتحصيل، بين يدى الملك الجليل، فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحُجُبُ والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك ﴿**تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [غافر: ١٧].

إن الله عز وجل يقول: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم: ٣١].

وقال: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٩].

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه، حتى يُحِلّنا وإياكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد»[1]. أ. هـ.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أن عليًّا رضى الله عنه شيع جنازة، فلما وضعت فى لحدها عَجَّ[2] أهلها وبكوها، فقال:

---

(١) صفة الصفوة (١/١٧٠).

(٢) **العج**: هو رفع الصوت.

«ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم، وإن له فيهم لعودة، ثم عودة، حتى لا يبقى منهم أحدًا، ثم قام فقال:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعى ما عناها، وأبصارًا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، وإن الله لم يخلقكم عبثًا، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرصد لكم الجزاء، فاتقوا الله عباد الله وجدّوا فى الطلب، وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالقبر، وازدجروا بالنُّذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مُفظِعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياق المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها، ﴿**وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٦٩].

فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المنادى، وحشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجت الأفئدة، وبرزت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها.

عباد الله: اتقوا الله تقية من وَجِلَ وَحذِرَ وأبصر وازدجر، فاحتث طلبًا، ونجا هربًا، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقمًا ونصيرًا، وكفى بالكتاب خصمًا وحجيجًا، وكفى بالجنة ثوابًا، وكفى بالنار وبالاً وعقابًا، وأستغفر الله لى ولكم»[١]. أ. هـ.

(١) صفة الصفوة (١/١٧١، ١٧٢).

استشهاده رضى الله عنه:

وبعد رحلة مباركة قضاها علىٌّ، كرم الله وجهه، فى الإسلام مدافعًا عنه، باذلاً ماله، أتاه ما يُوعد من قضاء الله تعالى.

ومن معجزات النبوة، أن النبى ﷺ وصف له طريقة استشهاده!!.

فعن عمار بن ياسر، أن النبى ﷺ قال لعلىٍّ: «أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا علىُّ على هذه - يعنى قرنه - حتى تبتلَّ منك هذه من الدم، يعنى لحيته»(١).

وكان علىٌّ، كرم الله وجهه، يوقن بذلك.

فعن زيد بن وهب، قال: «قدم علىٌّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله يا علىُّ فإنك ميِّت.

فقال له علىٌّ، رضى الله عنه: «بل مقتول، ضَرْبة على هذا، يقصد قَرْنه، تخضب هذه، يعنى لحيته من رأسه، عهد معهود، وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى»(٢).

ساعة الزفاف إلى جنة الخلد:

قال الأصبغ الحنظلى: لما كانت الليلة التى أصيب فيها علىٌّ، كرم الله وجهه، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة، فقام علىٌّ يمشى، وهو يقول:

أشدُدْ حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم بسند صحيح.

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/١٧٤).

ولا تجـــــزع مـــن المـــوت إذا حَــلّ بُـواديكـــــــا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه.

وعن شيخ من قريش أن عليًا لما ضربه ابن ملجم قال: «فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة».

وعن محمد بن على أنه لما ضُرب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله»، حتى قُبض[1].

وغسّله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، رضى الله عنه.

بكاء معاوية، رضى الله عنه، عليه:

عن أبى صالح، قال: دخل ضرار بن ضمرة الكنانى على معاوية، فقال له: صف لى عليًّا، قال: أو تعفينى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لابد من وصفى له:

«كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العَبْرة[2] طويل الفكرة، يقلب كَفَّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه.

وكُنّا مع قُرْبنا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤة المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبُّ المساكين، لا يطيع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٤٧٩)، وانظر: البداية والنهاية (٥/٤٣٨).

(٢) العبرة: الدمعة.

سدوله، وغارت نجومه، يتمثل فى محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم[١] ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمعه الآن، وهو يقول: «يا ربنا، يا ربنا»، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: «أبي تغررت؟ أو إلىَّ تشوفت؟ هيهات هيهات غرى غيرى، قد بتتك[٢] ثلاثًا، فعمرك قصير، ومحلك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق».

قال: فَوكَفتْ[٣] دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله، وكيف وَجْدُك[٤] عليه يا ضرار؟ قال: وَجْد من ذُبح واحدها فى حجرها لا ترقأ دَمْعَهُا، ولا يَسكُن حَزنهُا. ثم قام فخرج[٥].

مسك الختام:

قال علىٌّ رضى الله عنه: «كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير، إنه ليس فى الطير شيء إلا وهو يستضعفها، لو يعلم الطير ما فى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب».



(١) السليم: اللديغ.
(٢) بتتك: طلقتك.
(٣) وكَفَتْ: سقطت.
(٤) الوَجْد: الحزن والكرْب.
(٥) رواه الطبرانى. البداية (٥/٤٩٥).

٥ – طلحة بن عبيد الله
شهيد يمشي على الأرض

من هو؟

هو طلحة بن عبيد الله، القرشى التَّيْمى المكى، أبو محمد، أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، أسلم على يدى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه. كان حسن الوجه، إذا مشى أسرع(١)، وكان من أغنياء الصحابة.

قال الذهبى: «كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذى فى الله، ثم هاجر، فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر فى تجارة له بالشام، وتألَّم لغيبته، فضرب له رسول الله بسهمه وأجْره»(٢).

فضائله:

١ – عن جابر، أن طلحة مَرَّ على النبى ﷺ، فقال: «شهيد يمشى على وجه الأرض»(٣).

٢ – وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَرَّه أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»(٤).

جوده:

عن سُعْدِى بنت عوف(٥)، قالت: دخل علىَّ طلحة، ورأيته مغمومًا،

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٥٦/١/٣).
(٢) **ضعيف**: رواه الحاكم، وضعفه الأرنؤوط فى تحقيق سير أعلام النبلاء (٢٥/١).
(٣) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (١٠٢)، الصحيحة (١٢٦).
(٤) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٤٠).
(٥) زوج طلحة، رضى الله عنه.

فقلت: ما شأنك؟

فقال: المال الذى عندى قد كثر وقد كربنى، أى أَغَمنى، فقلت: وما عليك؟ أقسمه، فقسمه حتى ما بقى منه درهم.

قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ فقال: أربعمائة ألف[1]. وكان رحمه الله يعرف بطلحة الخير لكرمه وكثرة جوده.

جهاده فى سبيل الله تعالى:

لقد أبلى طلحة، رضى الله عنه، بلاءً حسنًا فى الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، إلا بدرًا كما تقدم.

وكانت له يوم أُحُد اليد البيضاء، فثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ، ووقاه بيده فشلَّت إصبعاه، وجرح يومئذٍ أربعًا وعشرين جراحة، ويقال: كانت فيه خمس وسبعون، بين طعنة وضربة وَرَمية، وسَمَّاه رسول الله يوم أحد «طلحة الخير»[2].

وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحد، قال: «ذاك كله يوم طلحة».

وعن جابر، قال: لما كان يوم أُحُد، وولَّى الناسُ، وكان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً، منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبى ﷺ: «مَنْ للقوم؟»، قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت»، فقال رجل: أنا، فقال: «أنت»، فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «مَنْ لهم؟»، قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «أنت»، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله

(١) رجاله ثقات: ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/١٤٨)، وقال: رواه الطبرانى، ورجاله ثقات.

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/١٧٦)، والحديث ضعيف. والثابت: أن رسول الله ﷺ سماه «الفياض». قال الهيثمى: رواه الطبرانى وإسناده حسن. المجمع (١٤٨٠٣).

طلحة، فقال: «مَنْ للقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأَحَد عَشَر، حتى قُطِعتْ أصابعه، فقال: «حَسِّ»، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُلْت: بسم الله لرفعتك الملائكة، والناسُ ينظرون» ثم رَدَّ اللهُ المشركين[١].

وقد قال له رسول الله ﷺ يومئذٍ: «أَوْجَب طلحة»، وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان، فأراد أن ينهض، وهما عليه ليصعد صخرة هنالك، فما استطاع، فطأطأ له طلحة، فصعد على ظهره حتى استوى عليها، فقال: «أَوْجَبَ طلحة»[٢].

استشهاده:

وعلى الرغم من أن طلحة، رضى الله عنه، لم يستشهد فى غزوة أحد، إلا أن النبى ﷺ أخبر، وهو الصادق المصدوق، باستشهاده.

فعن طلحة، قال: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابىٍّ جاهل: سله عَمَّن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابى، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنى اطلعت من باب المسجد وعلىَّ ثياب خُضْر، فلمَّا رآنى النبى ﷺ قال: «أين السائل عَمَّن قضى نحبه؟»، قال الأعرابى: أنا يا رسول الله، قال: «هذا ممن قضى نحبه»[٣].

وتمر الأيام وطلحة بجوار النبى ﷺ فى كل موقف، وتُوفِّى رسول الله ﷺ وهو عنه راض.

فلما كانت قضية عثمان، اعتزل عنه، فَنَسبه بعض الناس إلى تحامل فيه،

(١) رواته ثقات: رواه النسائى، وقال الذهبى: رواته ثقات. سير (١/٢٧١).
(٢) انظر: البداية (٥/٣٤٤). ومعنى أَوْجب: أى وجبت له الجنة.
(٣) **حسن صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٤٢).

فلهذا حضر يوم «الجَمَل»[١]، واجتمع به علىّ بن أبى طالب، فوعظه فتأخر فوقف فى بعض الصفوف، فجاءه سهم «غرب»[٢]، فوقع فى ركبته، وقيل: فى رقبته، فمات، رضى الله عنه.

قال الذهبى: قاتِل طلحة فى الوزر، بمنزلة قاتِل علىّ[٣].

علىٌّ يترحم عليه:

عن طلحة بن مطرف: أن عليًا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، وقال: «ليتنى مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة»[٤].

وعن قيس بن عبادة، قال: «سمعت عليًّا، رضى الله عنه، يوم الجمل يقول لابنه الحسن: «يا حسن، وَددتُّ أنى كنتُ مِتُّ منذ عشرين سنة».

وعن علىٍّ قال: «بَشِّروا قاتل طلحة بالنَّار». [سير أعلام النبلاء ١/٣٧].



(١) الجمل: أى موقعة الجمل التى دارت بين على بن أبى طالب من جهة، وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى، وكان سببها المؤامرات على الدولة الإسلامية. راجع العواصم من القواصم.

(٢) غرب: لا يُدْرى راميه.

(٣) **إسناده حسن**: قال الهيثمى: رواه الطبرانى وإسناده حسن. المجمع (٩/١٥٠).

(٤) **إسناده جيد**: رواه الطبرانى، ورجاله ثقات، وقال الهيثمى: إسناده جيد. المجمع (٩/١٥٠).

٦ - الزبير بن العوام
أول من سل سيفه فى سبيل الله

من هو؟

هو: الزبير بن العوام بن خويلد، حَوَارِىُّ[(١)] رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأول من سلَّ سيفه فى سبيل الله[(٢)]، أبو عبد الله، رضى الله عنه، أسلم على يد الصِّديق، رضى الله عنه، وكان إسلامه بعد إسلام أبى بكر. كان رابعًا أو خامسًا، وكان كثير الإنفاق فى سبيل الله تعالى.

فضائله:

١ - عن الزبير، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى، فقال: «لكلِّ نبىٍ حوارىٌّ، وحوارىِّ الزبيرُ وابنُ عمتى»[(٣)].

٢ - وعن عروة، أن عائشة، رضى الله عنها، قالت له: «يا ابن أختى، كان أبوك، يعنى الزبير وأبا بكر، من «﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْحُ**﴾ [آل عمران: ١٧٢]»[(٤)].

---

(١) الحوارى: الناصر، وقيل: الخالص من كل شىء. ومنه سُمِّى أصحاب عيسى حواريين.

(٢) رجاله ثقات: رواه الطبرانى موقوفًا على عروة بن الزبير. وانظر: المجمع برقم (١٤٨٣٠).

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى، وقال الأرنؤوط: وهو كما قالا. سير (٤٨/١).

(٤) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (١٠١).

تحمله الأذى في سبيل الله:

قال يتيم عروة: هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عمه يُعلِّقه ويُدَخِّن عليه، وهو يقول: «لا أرجعُ إلى الكفر أبدًا»[(١)].

وعن عروة، قال: أسلم الزبير، ابن ثمان سنين، ونَفَحَتْ نَفْحَةٌ من الشيطان أن رسول الله ﷺ أُخِذَ[(٢)] بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام ابن ثنتي عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب، وقال: الغلامُ معه السيف، حتى أتى النبي ﷺ، فقال: «ما لَكَ يا زُبَيْر؟» فأخبره، وقال: أتيتُ أضرب بسيفي من أخذك!! فدعا له ولسيفه[(٣)].

قلت: فمن للإسلام الآن يا رجال، والدين تنتهك حرماته، وتستباح مقدساته، أين شباب الإسلام اليوم؟ أين غيرتنا وأين رجولتنا وقد اجتمعت كل قوى الأرض لمحو معالم الدين، وإذلال أهله؟!.

وعن هشام بن عروة، قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل، فقال: «ما من عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ، حتى انتهى ذلك إلى فرجه»[(٤)].

جهاده يوم بدر:

كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة، والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة.

جبريل يتشبه به:

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كانت على الزبير يوم بَدْرٍ عمامَةٌ

---

(١) رجاله ثقات: قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وقال: رجاله ثقات إلا أنه مرسل. المجمع: (١٥١/٩).

(٢) **أُخِذ**: أي اختطف.

(٣) رجاله ثقات: رواه أحمد وغيره، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. سير (٤٢/١).

(٤) **صحيح الإسناد**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٤٥).

صفراء، فنزل جبريلُ على سيماءِ الزبير»[١].

جهاده يوم بدر أيضًا:

قال على بن أبى طالب:

أشجع الناس: الزبير، ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

عن الزبير قال:

لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى إلا عيناه، وكان يُكنى: أبا ذات الكِرَش، فحملت عليه بالعنزة، فطعنته فى عينه، فمات، فأُخبرتُ أن الزبير قال:

لقد وضعت رجلى عليه، فكان الجهد أن نزعتها، يعنى الحربة، فلقد انثنى طرفها[٢].

وعن عروة:

أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير: ألا تشُدَّ فنشدَّ معك؟

قال: إنى إن شددت كذبتم.

فقالوا: لا نفعل.

فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين، ضربة على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر.

قال عروة: فكنت أدخل أصابعى فى تلك الضربات، ألعب وأنا صغير[٣].

---

(١) **صحيح الإسناد:** مرسل، رواه الطبرانى. المجمع (٦/٨٤).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٦٢، ٦٣).

جهاده يوم اليرموك:

قال الحافظ ابن كثير:

«قد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل مَنْ هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال الشجعان يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟.

فقال: إنكم لا تثبتون.

فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه، ثم جاءوا إليه مرة ثانية، ففعل كما فعل فى الأولى، وجرح يومئذ جُرحين بين كتفيه».

وقال ابن كثير فى موطن آخر:

«وخرج الزبير مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم».

جهاده يوم حنين:

ويوم حنين طاعن الزبير المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم، وكان قائد المشركين يراقب سير القتال، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارسًا واضعًا رمحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلفُ باللات والعُزى ليخالطنكم فاثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى مواضع المشركين وأبصرهم، قصدهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها».

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها، كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده، فأشفق عمر

من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: «إنى أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف». وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال»(١). أ. هـ.

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن بابليون، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون.

فقال: «إنما جئنا للطعن والطاعون».

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير:

«إنى أهب نفسى لله، أرجوا أن يفتح الله بذلك على المسلمين»، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سُوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس»(٢).

جهاده يوم أُحد:

عن عائشة، قالت: لما انصرف المشركون من أُحد، وأصاب النبى ﷺ

---

(١) قادة فتح مصر والشام (ص ٢٠٨، ٢٢٧)، صلاح الأمة (٣/٣٢٢، ٣٢٣).

(٢) قادة فتح مصر والشام (ص ٢٠٨، ٢٢٧)، صلاح الأمة (٣/٣٢٢، ٣٢٣).

وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يَرْجعوا، فقال:

«مَنْ ينتدب لهؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة؟»، فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين، فخرجوا فى آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال الله تعالى: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقَوْا عدوًا[١].

يوم الخندق:

عن عروة، أن ابن الزبير[٢] قال له: يا أبة، قد رأيتك تحملُ على فرسك الأشقر يوم الخندق، قال: يا بنىّ، رأيتنى؟ قال: نعم، قال: فإن رسول الله ﷺ لَيَجْمَعُ لأبيك أبويه، يقول: «ارم فداك أبى وأمى»[٣].

وفى الصحيحين، عن الزبير قال: جمع لى رسول الله ﷺ أبويه يوم قُرَيظة، فقال: «بأبى وأمى». صحيح سنن الترمذى (٢٩٤٣).

قلت: وفى هذا ردّ على من قال بأنه ﷺ خَصّ سعد بن أبى وقاص بذلك فقط.

جوده:

أخرج أبو نعيم فى الحلية (١/٩٠)، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: كان للزبير بن العوام، رضى الله عنه، ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء.

وقال ابن عيينة: «اقتسم مالُ الزبير على أربعين ألف ألف»[٤].

---

(١) **صحيح**: روى البخارى الجزء الأول منه، ورواه مسلم وابن ماجه وغيرهم.

(٢) هو عبد الله بن الزبير، رضى الله عنه؛ لأن عروة لم يَر رسول الله ﷺ.

(٣) رجاله ثقات: رواه أحمد (١/١٦٤) وغيره، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. سير (١/٥٠).

(٤) رجاله ثقات: أخرجه الحاكم (٣/٣٦١) وغيره. وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. سير (١/٦٥).

قلت: وهذا يَرُد على من يزعمون أن الإسلام يوصى أتباعه بالفقر، حتى تظل أمة الإسلام متسولة للشرق تارة وللغرب أخرى.

استشهاده، رضى الله عنه:

شهد الزبير يوم الجمل مع طلحة وعائشة، رضى الله عن الجميع، ولكنه انصرف عندما ذكَّره علىٌّ بن أبى طالب بما قال النبى ﷺ.

فعن أبى حرب بن الأسود الديلى، قال: شهدت الزبير خرج يُريد عليًّا، فقال له علىٌّ: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم؟»، فقال: أذْكُر، ثم مضى الزبير منصرفًا(١).

فلما انصرف، رضى الله عنه، لا يريد القتال، لقيه ابنه «عبد الله»، فقال: جُبْنًا، جُبْنًا، قال: قد علم الناس أنى لست بجبان، ولكن ذكَّرنى علىّ بشىء سمعته من رسول الله، فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تركُ الأمور التى أخشى عواقِبها   فى اللّهِ أحْسَنُ فى الدُنيا وفى الدِّينِ

وطعنه ابن جُرْموز، فقتله.

ودفن بوداى السباع، وجلس علىٌّ رضى الله عنه، يبكى عليه هو وأصحابه.

وعن زرّ، قال: استأذن قاتل الزبير على علىٍّ. قال علىٌّ: والله ليدخلن قاتل ابن صفية النار، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبى حواريًّا، وحوارى الزبير»(٢).



---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٣٦٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

(٢) **إسناده حسن**: رواه الحاكم (٣/٣٦٧)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى. وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. سير (١/٦١).

٧ - أبو عبيدة بن الجراح
أمين هذه الأمة

من هو:

هو أبو عبيدة بن الجَراح، القرشيّ الفِهْريُّ المكي.

أحد السابقين الأولين، وَمَنْ عزم الصِّديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر.

أسلم مع عثمان بن مظعون، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وثبت يوم أُحد.

فضائله:

١ - عن حذيفة، أن رسول الله ﷺ قال لأهل نَجْران: «سأبعثُ معكم رجلاً أمينًا، حَقَّ أمين» قال: فَتَشَّرفَ له الناس، فبعث أبا عبيدة بنَ الجَرَّاح[١].

٢ - وعن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال لأبي عبيدة بن الجَرَاح: «هذا أمينُ هذه الأمة»[٢].

٣ - وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجلُ أبو بكر، نِعْمَ الرجلُ عُمَر، نعم الرجل أبو عبيدةُ بن الجراح»[٣].

٤ - وقال أبو بكر الصديق وقت وفاة رسول الله ﷺ بسقيفة بني

(١) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم، وانظر: صحيح سنن ابن ماجه (١١٣).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٥٩). الصحيحة (٢/٩٦٢).

ساعدة: قد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين: عُمَرَ، وأبا عبيدة[١].

٥ - عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله.

فقال: تَمنَّوْا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه في سبيل الله. قال: تَمنَّوْا، قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جَوْهرًا أو نحوه، فأنفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تَمنَّوْا، فقالوا: ما تمنينا بعد هذا.

قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله.

قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة، فقال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قَسَمه[٢]، ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبل، فقسمه، ثم بعث بمال، يعني إلى أبي عبيدة، قال: انظر ما يصنع[٣]، فقال عمر: قد قلت لكم، أو كما قال»[٤].

٦ - وعن تميم بن سلمة، أن عمر لقي أبا عبيدة، فصافحه، وقَبَّل يده، وتنحَّيا يبكيان[٥].

صفحات مضيئة من جهاده:

يوم بدر:

لقد تجلى إيمان أبي عبيدة في غزوة بدر، وضرب مثلاً رائعًا في صدق

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٨).

(٢) أي قام بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين.

(٣) ففعل أبو عبيدة مثل صاحبيه.

(٤) رجاله ثقات: غير أبي صخر، وهو حميد بن زياد الخراط، فإنه مقبول. سير (١/١٤) الحاشية.

(٥) رجاله ثقات: لكنه منقطع. سير (١/١٥).

التوجه إلى الله وحسن الولاء لله سبحانه ولرسوله.

عن عبد الله بن شَوْذَب، قال: «جعل وَالدُ أبى عبيدة بن الجراح[١] يتصدى لأبى عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قَصَده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ**﴾[٢] [المجادلة: ٢٢] الآية.

قال الشيخ محمد الغزالى: فى هذه المعركة، أى بدر، التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف، وفى عصرنا هذا قاتل الشيوعيون مواطنيهم ومزقوا أغلى الأواصر الإنسانية فى سبيل ما يعتقدون، فلا عجب إذا رأيت الابن المؤمن يغاضب أباه الملحد ويخاصمه فى ذات الله[٣].

يوم أُحد:

أبلى أبو عبيدة، رضى الله عنه، يوم أُحد بلاءً حسنًا، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دَخَلتا من المغفر فى وَجْنَتى رسول الله ﷺ من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه، فَحَسُنَ ثَغْره بذهابهما، حتى قيل: ما رؤى هَتْمٌ قط أحسن من هتم أبى عبيدة[٤].

كرامة:

عن جابر، قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة بن الجراح

(١) هو عامر بن الجراح.
(٢) رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: وإسناده منقطع ورجاله ثقات. المجمع برقم (١٤٩٠٩).
(٣) انظر: فقه السيرة (٢٤٩).
(٤) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/٢٦٦).

نتلقى عيرًا لقريش، وزوَّدنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. قلت: كيف كنتم تصنعون بها؟.

قال: كنا نمصها كما يمص الصبى، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله، فانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه، فإذا هو دابة تُدْعى العَنْبَر.

قال أبو عبيدة: ميتة!! ثم قال: لا، بل نحن رُسولُ رسول الله ﷺ وفى سبيل الله عز وجل نقاتل، وقد اضطررنا، فكلوا، قال: فأقمنا عليها شهرًا، ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنًا، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع الفدرة كالثور، أو كقدر الثور.

ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم فى وقب عينه، وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامه، ثم رحل أعظم بعير معنا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمها وشايق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرجه الله عز وجل لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟»، فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله[(١)].

ومن مواعظه:

عن أبى الحسن عمران بن نمران، أن أبا عبيدة كان يسير فى العسكر، فيقول: «ألا رُبَّ مُبيِّضٍ لثيابه، مُدَنِّسٍ لدينه! ألا رُبَّ مُكْرِمٍ لنفسه، وهو لها مُهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات»[(٢)].

زهده:

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن الجعد فى مسنده (٩٥٢/٢، ٩٥٣) رقم (٢٧٤٢)، وهو عند البخارى ومسلم، وانظر: السيرة النبوية د. عبد المهدى عبد القادر (ص ٢٦، ٢٧).
(٢) انظر: الحلية (١٠٢/١)، الإصابة (٢٨٨/٥). وقال الحافظ: سنده مرسل.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قدم عمر الشام، فتلقاه الأمراءُ والعظماء، فقال: أين أخى أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك الآن، قال: فجاء على ناقةٍ مخطومةٍ بحبل، فسلَّم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا.

فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير فى بيته إلا سيفه، وترسه ورحله، فقال له عمر: لو اتخذت متاعًا، أو قال شيئًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل(١).

الرضا بالقضاء:

عندما انتشر طاعون «عمواس»، واستشهد به خلق كثير، وقف أبو عبيدة أمام قضاء الله كالجبل الأشم، والطود العظيم، لا تلين له قناة أمام أمواج البلاء، بل يشم منها رائحة الرضا والشهادة، وأعطانا درسًا فى حسن استقبال أمر الله تعالى، بالصَّبْر الجميل.

عن طارق بن شهاب، قال: «إن عمر كتب إلى أبى عبيدة فيِ الطاعون: إنه قد عَرَضَتْ لى حاجة، ولا غنى بى عنك فيها، فعَجِّل إلى. فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقى من ليس بباق، فكتب: إنى عرفتُ حاجتك، فحلِّلنى من عزيمتك، فإنى فى جندٍ من أجنادِ المسلمين، لا أرغبُ بنفسى عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب، بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأنه قد»(٢).

ومات أبو عبيدة بالطاعون، والموت به شهادة، وفرح أبو عبيدة لما ظهرت طعنة فى كفه، وقال: «والله ما أحب أن لى مكانها حُمْرَ النَّعَم»(٣)، رضى الله عنه.



---

(١) رجاله ثقات، لكنه منقطع: رواه ابن المبارك فى الزهد، وأحمد فى الزهد، وأبو نعيم فى الحلية (١/١٠١). سير (١/١٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٢٦٣)، بأطول مما هنا، وقال: رواته كلهم ثقات. انظر: سير (١/١٩).

(٣) رجاله ثقات: سوى شهر، فإنه مختلف فيه، أخرجه الطبرانى فى الكبير برقم (٣٦٤).

٨ - عبد الرحمن بن عوف
اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سَلْسَبِيلِ الجنة

من هو؟

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث.

أسلم قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وصلى رسول الله ﷺ خلفه فى غزوة تبوك. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.

وعن ابن سيرين، قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان اسمه فى الجاهلية: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الرحمن(١).

فضائله:

١ - عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «إن الذى يحنو عليكن بعدى لهو الصادق البار، اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة»(٢).

٢ - وعن عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ انتهى إليه، وهو يصلى، فأراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن مكانك، فصلى رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن(٣).

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٤٨٨٣).

(٢) رجاله ثقات: قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، ورجاله ثقات. المجمع برقم (١٤٨٩٨).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح. انظر: مجمع الزوائد برقم (١٤٩٠١).

٣ - وعن بُسْرة بنت صفوان: أن النبى ﷺ سألها: «مَنْ يخطُبُ أُمَّ كلثوم بنت عقبة؟»، قالت: فلان وفلان وعبد الرحمن بن عوف، فقال: «أنكحوا عبد الرحمن بن عوف، فإنه من خيار المسلمين، ومِنْ خيارهم مَنْ كان مثله»[(١)].

من جهاده:

عن ابن إسحاق: أن عبد الرحمن بن عوف كان ساقط الثَّنيتَّين، أهتم، أعسر، أعرج، وكان أصيب يوم أحد، فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها فى رجله فعرج[(٢)].

إنفاقه فى سبيل الله:

١ - عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «خياركم خياركم لنسائى»، فأوصى لهن عبد الرحمن بحديقة، قُوِّمَتْ بأربعمائة ألف[(٣)].

٢ - وعن قتادة، فى سبب نزول: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، قال: تصدق عبدُ الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار، فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء[(٤)].

خوفه وبكاؤه على بسط الدنيا:

عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: أن عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، أتى بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير، رضى الله

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى، وفيه يعقوب بن حميد، وسليمان بن سالم، وكلاهما وُثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٤٨٩٣).
(٢) رجاله ثقات: رواه الطبرانى. المجمع برقم (١٤٨٨٧).
(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣١١، ٣١٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.
(٤) انظر: الدر المنثور (٣/٢٦٢)، الطبرى (١٠/١٩٥).

عنه، وهو خير منى كُفِّن فى بُرْدة، إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا، أى ظهر، رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة، رضى الله عنه، وهو خير منى، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام[(١)].

عفافه عن المسألة:

قال عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه: «لما قدمنا المدينة، آخى رسول الله ﷺ بينى وبين سعد بن الربيع[(٢)]، فقال سعد بن الربيع: إنى أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالى، وانظر أى زوجتى هويتَ، نزلتُ لك عنها، فإذا حَلَّت[(٣)] تزوجْتَها، فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لى فى ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع.

فغدا إليه عبد الرحمن، فأتى بأقط وسمن، ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: «تزوجت»، قال: نعم، قال: «من؟»، قال: امرأة من الأنصار، قال: «كم سقت؟»، قال: زنة نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال له النبى ﷺ: «أوْلِم ولو بشاة»[(٤)].

قلت: وهكذا جمع أصحاب النبى ﷺ بين الدنيا والآخرة، فملكوا الدارين، إن الذين عاشوا فى هذه الحياة كسالى، ومردُوا على البطالة والتسول، ارتكبوا جناية فى حق أنفسهم وأولادهم، وأساءوا لأمتهم وملتهم، إن أصحاب النبى ﷺ علموا أن من كرَّس حياته للحق والخير، فعمله عبادة، وكل قطرة عرق تبذل فيه فهى آية جهاد، توضع فى موازين

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى.

(٢) ستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى.

(٣) **حلت**: أى انقضت عدتها.

(٤) **صحيح**: رواه البخارى (٢٠٤٨) فى البيوع.

المرء مع صلاته وزكاته، فالعمل هو وسيلة البقاء، والوسيلة تتبع الغاية فى شرفها وخِسَّتها[١].

هل يدخل عبد الرحمن الجنة حبوًا؟!!

زلت أقدام بعض الكتاب المعاصرين، نظرًا لغياب التمحيص الدقيق للروايات، واعتقدوا أن عبد الرحمن بن عوف سيدخل الجنة حبوًا؟! ليت شعرى، إذا كان هذا السيد الإمام سيدخل الجنة زاحفًا، فكيف يدخلها من هو أقل منه منزلة؟! ﴿نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

تحقيق الروايات الواردة فى ذلك:

الرواية الأولى: أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا، فأقرض الله تعالى، يطلق لك قدميك»... الحديث[٢].

الرواية الثانية: عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عبد الرحمن لا يدخل الجنة إلا حبوًا»[٣].

الرواية الثالثة: وهى رواية طويلة رواها الإمام أحمد، عن أبى أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت فيها خشفة بين يدى»، وفيها: «... وعرضت أمتى رجلاً رجلاً، فجعلوا يمرون، فاستبطأت عبد الرحمن بن عوف، ثم جاء بعد الإياس...» الحديث[٤].

---

(١) انظر: حقوق الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. للشيخ محمد الغزالى (ص ١٧٣).

(٢) **ضعيف**: أخرجه الحاكم (٣/٣١١) وصححه، ولكن الذهبى قال: خالد ضعفه جماعة. وقال النسائى: ليس بثقة. هامش سير (١/٨١).

(٣) **منكر**: أخرجه أحمد (٦/١١٥)، وقال: حديث منكر. سير (١/٢٦).

(٤) **إسناده واهٍ**: قاله الذهبى. سير (١/٧٧)، وفيه: على بن يزيد الألهانى، وهو ضعيف.

قلت: ومما سبق يتبين خطأ من ظن أن عبد الرحمن سيدخل الجنة حبوًا، وأن=

على فراش الموت:

وبعد حياة كريمة حافلة بالعطاء قضاها ابن عوف، رضى الله عنه، مجاهدًا بماله وسيفه فى سبيل الله تعالى، آن له أن يستريح، وعند الممات يحمد القوم التقى.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: «غشى على عبد الرحمن بن عوف فى وجعه، حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده، وجللوه، فأفاق يكبرِّ، فكبرَّ أهل البيت، ثم قال لهم: غُشى علىَّ آنفًا؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم، انطلق بى فى غشيتى رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بى حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم فى بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهرًا»(١).

أحوال الصحابة يوم موته:

١ - قال إبراهيم بن سعد: عن أبيه، عن جده، سمع عليًّا يقول يوم مات عبد الرحمن: «اذهبْ يا ابن عوفٍ، فقد أدركتَ صفوها، وسبقتَ رنقها»(٢).

٢ - وقال سعد بن إبراهيم، عن أبيه قال: رأيت سعدًا فى جنازة عبد الرحمن بن عوف، وهو بين يدى السرير، وهو يقول: «واجبلاه»(٣).

وتوفى رضى الله عنه وسنه خمس وسبعون سنة، وصلى عليه عثمان، رضى الله عن الجميع.



=الروايات التى ذكرت ذلك تتأرجح بين الضعف والوضع، والحمد لله تعالى.

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه الحاكم (٣/٣٠٧)، وقال البوصيرى: إسناده صحيح. هامش سير (١/٨٩).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه الطبرانى (٢٦٣) فى الكبير. والرنق: الكدر.

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/١/٩٦)، والحاكم (٣/٣٠٨).

٩ - سعد بن أبى وقاص
الأسد الرابض

من هو؟

هو سعد بن أبى وقاص مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف، الأمير أبو إسحاق القرشى المكى، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى.

وهو أول من رمى مع رسول الله بسهم(١).

قال ابن منده: أسلم سعدٌ ابن سبع عشرة سنة.

وعن سعيد بن المسيب: سمعت سعدًا يقول: «ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمت، ولقد مكثت سبع ليالٍ وإنى لثُلُثُ الإسلام»(٢).

فضائله:

١ - عن جابر، قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ، فأقبل سعد بن أبى وقاص، فقال النبى ﷺ: «هذا خالى فليرنى امرؤ خاله»(٣)..

٢ - وقال سعد بن أبى وقاص: قال رسول الله ﷺ: «اللهم استجب له إذا دعاك»، يعنى سعدًا(٤).

---

(١) رواه البزار والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح، غير أبى خالد الوالبى، وهو ثقة. المجمع برقم (١٤٨٥٩).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٣٧٢٦) (٣٧٢٧) فى الفضائل.

(٣) **صحيح:** أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/٤٩٨)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

(٤) **صحيح:** موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان. وقال الشيخ العدوى: صحيح. روضة

٣ - وقال سعد: فِيَّ نزلت: ﴿وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]. قال: نزلت فى ستة: أنا، وابن مسعود منهم، كان المشركين قالوا له: تدنى هؤلاء[1].

٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبى ﷺ قال: «أول من يدخل من هذا الباب رجلٌ من أهل الجنة»، فدخل سعد بن أبى وقاص[2].

صفحات مضيئة من جهاده، رضى الله عنه:

فى غزوة بدر:

عن سعد قال: «شهدت مع رسول الله ﷺ بدرًا وما لى غير شعرة واحدة، أى فى لحيته[3]، ثم أكثر الله لى من اللحى بعد.

وعن ابن مسعود، قال: «كان سعد يوم بدر يقاتل قتال الفارس والراجل».

وكان رضى الله عنه يرمى بالنبل بين يدى النبى ﷺ وأبلى فيها بلاءً حسنًا، فدعا له النبى ﷺ.

عن عامر الشعبى، قال: قيل لسعد بن أبى وقاص: متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر، كنت أرمى بين يدى النبى ﷺ فأضع السهم فى كبد القوس، ثم أقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وافعل بهم، وافعل، فيقول النبى ﷺ: «اللهم استجب لسعد»[4].

المحبين (٢٥).

(١) **صحيح:** رواه مسلم.

(٢) **إسناده حسن:** رواه أحمد. المجمع برقم (١٤٨٦٣).

(٣) وقيل: ما لى غير شعرة، يعنى: ما لى إلا ابنة واحدة، ثم أكثر الله لى من اللحى، يعنى من الولد. رواه البزار، والطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع (١٤٨٦٨).

(٤) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى وحسَّن الهيثمى إسناده. المجمع برقم (١٤٨٥١).

وفى غزوة أحد:

جاهد جهاد الأبطال، وثبت بين يدى رسول الله ﷺ يومئذ.

يقول سعد، رضى الله عنه: «ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلى، ولقد رأيته ليقول لى: «يا سعد ارم فداك أبى وأمى»، وإنى لأول المسلمين رمى المشركين بسهم»[(١)].

وفى رواية أنه قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال رسول الله: «ارم فداك أبى وأمى»، فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبتُ جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[(٢)].

ومن فضل الله على هذا الصحابى الجليل أنه رأى جبريل وميكائيل فى أرض المعركة.

عن سعد، رضى الله عنه، قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد».

قلت: وهذا الرواية، وهى كما ترى فى الصحيحين، إلا أننا وجدنا فى هذا العصر، من يكذب اشتراك الملائكة فى القتال، لماذا كذبوا؟! هل يستحيل ذلك عقلاً أو نقلاً؟! اللهم لا، إذن فلحساب مَنْ نقدم الأهواء والآراء على الثابت الصحيح من سنة النبى ﷺ، ولماذا هذا الهجوم المريب؟ وباسم من يتم تزوير المفاهيم، والله غالب على أمره.

يوم القادسية:

يوم مشهود فى حياة هذه الأمة:

كان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قد رشح سعد بن أبى وقاص فى

(١) **صحيح**: متفق عليه، وتقدم أن النبى ﷺ قال ذلك أيضًا للزبير، رضى الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٢) فى الفضائل: باب مناقب سعد.

أثناء خلافته لعمل بطولى ضخم، فقام به خير قيام، ذلك أن الفرس كانوا قد أزمعوا أن يوحِّدوا صفوفهم ليطردوا المسلمين من المناطق التى احتلوها، ونمى الخبر إلى عمر، فاستنفر الناس لقتالهم، عازمًا أن يتولى القيادة بنفسه، ولكن الصحابة أشاروا عليه بالبقاء لتصريف شئون المسلمين، واختيار قائد صالح لهذه المهمة الصعبة، وبعد تفكير وبحث عن هذا القائد، وقع الاختيار على سعد بن أبى وقاص»[1].

وأوصى عمر بن الخطاب سعدًا قائلاً: «إنى وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتى، فإنك تقدم على أمر شديد كربه، لا يخلص منه إلا الحق، فعوِّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل أمر عتادًا، وعتاد الخير، الصبر»[2].

وسار سعد بن أبى وقاص، فنزل القادسية[3]، وخرج جيش الفرس وعلى رأسهم القائد رستم، فى ثمانين ألفًا تتقدمهم الفيلة.

وقبل القتال: بعث سعد، رضى الله عنه، جماعة من السادات، منهم: النعمان بن مقرن، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معد يكرب، يدعون رستم إلى الله تعالى، فقال لهم رستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: لموعود الله إيانا، أخذ بلادكم وسبى نساءكم وأخذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك.

ودارت بعض الحوارات، وتمت بعض المراسلات واللقاءات منها لقاء ربعى بن عامر، رضى الله عنه، مع رستم، وكان فيه:

قال له رستم: ما جاء بكم؟ فقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان

---

(١) انظر: حياة الصالحين للأستاذ عبد المنعم قنديل (١/٩٤).

(٢) انظر: نفس المرجع (١/٩٥).

(٣) فى «ثلاثين ألفًا». البداية (٥/١٠٤).

إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضى إلى موعود الله، قالوا: وما هو موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أَبَى، والظفر لمن بقى، فقال رستم: قد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ يومًا أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فقال: ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر فى أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه، وبعد مشاورات انتهوا إلى اختيار القتال.

وذكر «سيف» أن سعدًا كان به «عِرْق النّسا» يومئذ، وأنه خطب الناس، وتلا قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وصلى بالناس الظهر، ثم كبر أربعًا، وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، ودار القتال، وسطر المسلمون آيات الجهاد، وعلت صيحات التكبير، وتطايرت رءوس المشركين، وقد ارتطمت بالأرض، وغطت دماؤهم النجسة الرمال، فولوا مدبرين، وسعد بن أبى وقاص يدير رحى المعركة، وهو متكئ على صدره فوق وسادة[1] لا يستطيع ركوب جواده من الدمامل التى أصابته، وقُتل رستم، وانهزمت الفرس، ولله الحمد والمنة، وكان عدد القتلى من الفرس عشرة آلاف.

فتح البيت الأبيض:

عن جابر بن سمرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُصْبة

(١) انظر: البداية (١١٢/٥).

من أمتى يفتحون البيت الأبيض، بيت كسرى»[١].

وفى رواية:

«لتفتحنّ عصابة من أمتى كنز آل كسرى الذى فى الأبيض»[٢].

أمضى سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، شهرين فى القادسية بعد المعركة، وكاتب عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فيما يفعل، فكتب إليه عمر بالمسير إلى المدائن عاصمة كسرى، وتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن، وسار المسلمون من نصر إلى نصر فى «برس»، وفى «بابل»، وفى «بهرسير»، وبذلك أصبح جيش المسلمين فى الصفة المقابلة للمدائن، وحاول سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، أن يؤمِّن عبور جيشه فى السفن، فلم يقدر على شىء منها؛ لأن الفرس ضموا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها، وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزَّبَد لشدة جريانه، وموجه متلاطم، وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفى ليلة من ليالى سعد، رضى الله عنه، رأى رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت، وقد أقبلت من المدِّ بأمرٍ عظيم.

عبور لا مثيل له:

فصدق الرؤيا، وعزم على عبور النهر، فجمع الجيش وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فيُناوشُونكم فى سفنهم، وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منهن فقد كفاكم أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وقد رأيت

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم.

من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعًا: عزم اللهُ لنا ولك على الرشد، فافعل.

وندب سعد، رضى الله عنه، الناس للعبور، ثم قال:

«من يبدأ ويحمى لنا الفراض لكيلا يمنعونا العبور».

فانتدب عاصم بن عمرو التميمى، وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد، رضى الله عنه، مع جيشه بعدهم، ففاجأوا أهل فارس بأمر لم يكن فى حسابهم.

قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ أسبانير: «قولوا: نستيعن بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

نجحت خطة سعد، رضى الله عنه، نجاحًا يذهل له المؤرخون، نجاحًا أذهل سعدًا نفسه وأذهل صاحبه سلمان الفارسى.

عامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليّه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب، تغلب الحسنات»[1]. فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُللت لهم والله البحور، كما ذلل لهم البر، أما والذى نفسى بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا، لم تَضِع منهم شكيمة فرس.

فطبقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثًا منهم فى البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه، كما قال سلمان، لم يفقدوا شيئًا، ولم يغرق منهم أحد، إلا رجلاً من بارق يُدعى غرقدة، زال عن ظهر فرس له

(١) دل ذلك على أن الذنوب هى سبب هلاك الأمم والشعوب.
والفراض: رأس الجسر.

شقراء، قال أبو عثمان النهدى:

كأنى أنظر إليها تنفض أعرافها عريًا والغريق طاف، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذه بيده فجره حتى عَبَرَ، فقال البارقى، وكان من أشد الناس: عجز الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع[1].

شكوى كذوب:

عين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، سعد بن أبى وقاص واليًا على الكوفة، ومرت الأيام، وشكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر، فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلى!! فقال سعد: أمَّا أنا، فإنى كنتُ أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ، صلاتى العَشىِّ لا أخرم منها، أركدُ فى الأولين، وأحذف فى الأخرتين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.

فبعث رجالاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة، إلا قالوا خيرًا، حتى أتوا مسجدًا لبنى عبس، فقال رجلٌ يقال له أبو سعدة: أما إذا نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل فى القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: « اللهم إن كان كاذبًا، فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن».

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء فى السكك، فإذا سُئل كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابتنى دعوة سعد[2].

وفى رواية: فما مات حتى عمى، فكان يلتمس الجدران، وافتقر حتى سأل، وأدرك فتنة المختار فقتل فيها[3].

---

(١) تاريخ الطبرى، وصلاح الأمة (٣/٥٣٤ - ٥٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٧٥٥) فى الأذان، ومسلم (٤٥٣) فى الصلاة وغيرهما.

(٣) المختار الثقفى الكذاب الذى ادعى الألوهية. انظر: تاريخ الإسلام (٢/٣٦٩ - ٣٧٧).

اعتزاله للفتنة:

لما نشبت الفتنة، وأطلت برأسها، اعتزلها جماعة منهم سعد بن أبى وقاص، قائلاً: «لا أقاتل حتى يأتونى بسيف له عينان ولسان، فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر»(١).

وعن عمر بن سعد، عن أبيه، أنه جاءه ابنه عامر، فقال: «أى بنى، أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأسًا؟ لا والله، حتى أُعطى سيفًا، إن ضربت به مسلمًا، نبا عنه، وإن ضربت كافرًا قتله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الغنى الخفى التقى»(٢).

قال الذهبى: «اعتزل سعد الفتنة، فلا حضر الجمَل ولا صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن، رضى الله عنه»(٣).

وعند الوفاة يقول: إن الله لا يعذبنى:

عن مصعب بن سعد أنه قال: «كان رأس أبى فى حجرى، وهو يقضى، فى النزع الأخير، فبكيت، فرفع رأسه إلىَّ، فقال: أى بنى، ما يبكيك؟.

قلت: لمكانك وما أرى بك، قال: لا تبك، فإن الله لا يعذبنى أبدًا، وإنى من أهل الجنة»(٤).

قال الإمام الذهبى: قلت: صدق والله، فهنيئًا له(٥).

---

(١) **رجاله ثقات**: رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح. المجمع (٧/٢٩٩).

(٢) **إسناده حسن**: أحمد (١/١٧٧)، الحلية (١/٩٤)، وقال الأرنؤوط: حسن. سير (١/١١٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٣/١/١٠٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

يدفن فى ثياب الجهاد:

ولا ينسى سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، قبل أن يفارق الدنيا أن يعطينا درسًا، وهو يتهيأ لملاقاة الملك الحق، سبحانه وتعالى، يا ترى بأى شيء يقابل ربه، إنه لا يجد إلا زى الجهاد، علامة الشرف، وعنوان الرجولة، وياليت قومى يعلمون.

عن الزهرى، أن سعد بن أبى وقاص لما احتضر، دعا بِخَلَقِ جبة صوف، فقال: كفنونى فيها، فإنى لقيتُ المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم(١). واسمعى يا أمة الإسلام.

وتوفى رضى الله عنه زمن معاوية بعد حجته الأولى، وهو ابن ثلاث وثمانين، وصلى عليه مروان، ودفن بالبقيع، رضى الله عنه.



(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وذكره الهيثمى فى المجمع (٣/٢٥)، وقال: **رجاله ثقات**، إلا أن الزهرى لم يدرك سعدًا.

١٠ - سعيد بن زيد

[... وسعيد بن زيد فى الجنة] حديث صحيح

من هو؟

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزَّى، القرشيّ العدوى.

أسلم قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدر.

عن عروة قال:

«سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قدم من الشام بعد ما رجع رسول الله ﷺ من بدر، فكلم رسول الله ﷺ، فضرب له بسهمه، قال: وأجْرى، يا رسول الله، زعموا؟ قال: «وأجْرُك»(١).

وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة(٢).

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال:

كان رسول الله ﷺ عاشر عشرة، فقال:

«أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلىٌّ فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وسعدٌ فى الجنة، وعبد الرحمن فى

---

(١) **إسناده حسن**: رواه الطبرانى. وانظر: المجمع برقم (١٤٨٧٦).

(٢) الإصابة (١٨٨/٤)، الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٨/٤).

الجنة»، فقيل له: من التاسع؟ قال: أنا[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلىٌّ فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»[٢].

كان والده زيد بن عمرو بن نفيل، ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام، قبل البعثة المحمدية، وساح فى أرض الشام يتطلب الدين القيم، فرأى النصارى واليهود، فكره دينهم، وقال: اللهم إنى على دين إبراهيم عليه السلام، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغى، ولا رأى من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، فقد شهد له النبى ﷺ بأنه: «يبعث أمة وَحْدَهُ»[٣]، وهو ابن عم الإمام عمر بن الخطاب[٤]، رأى النبى ﷺ، ولم يعش حتى بُعث[٥].

عن أسماء بنت أبى بكر، قالت: «لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مُسندًا ظهره للكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما فيكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى، وكان يُحيى الموءودة، يقول للرجل، إذا أراد أن يقتل ابنته: مِهْ! لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت، قال لأبيها:

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (١١٠).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى (٢٩٤٦)، المشكاة (٦١١٠، ٦١١١)، تخريج الطحاوية (٧٢٨).

(٣) **إسناده حسن**: بلفظ: يأتى أمة واحدة. رواه الطبرانى وغيره. المجمع (٩/٤١٧).

(٤) تزوج سعيد بن زيد فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وكان لهما قصة فى إسلام عمر مشهورة.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٢٦، ١٢٧).

إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها[١].

وكان يعيب على قريش، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟. رواه البخارى.

أما ولده سعيد، فلقد نال من العذاب نصيبًا بسبب إسلامه.

عن قيس بن أبى حازم قال: قال سعيد بن زيد: «لقد رأيتنى، وإن عمر، أى ابن الخطاب، لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم[٢]، ثم كانت له اليد الطولى بعد ذلك فى نصرة الإسلام، رضى الله عنه.

صفحات مضيئة من جهاده، رضى الله عنه:

لقد أبلى سعيد بن زيد، رضى الله عنه، بلاءً حسنًا، وجاهد فى سبيل الله تعالى جهاد الأبرار.

جهاده يوم أجنادين:

كان قائد الفرسان يوم أجنادين، وكان من أشد الناس، وهو الذى أشار على خالد بن الوليد ببدء القتال يوم أجنادين، لما رَمى الروم المسلمين بالنشاب، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلاً:

«علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج، وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست[٣] الخيل؟!».

فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال لهم:

(١) **صحيح**: رواه البخارى معلقًا (٣٨٢٨) فى المناقب، والحاكم ووصله وصححه (٣/٤٠٤) ووافقه الذهبى.
(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٣٨٦٢) باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.
(٣) **شمست**: امتنعت ظهورها عن الركوب.

«احملوا، رحمكم الله، على اسم الله»، وحمل خالد على الروم، وحمل المسلمون معه بأجمعهم، وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين على ميمنتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا ترشق نبالهم، وانطلق جيش المسلمين إلى الروم، فما صبر الروم لهم فواقًا[١]، وانهزموا هزيمة شديدة، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حَوى.

جهاده يوم اليرموك:

قال حبيب بن سلمة: «اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله درُّ سعيد، ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، لما نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه وثب فى وجوههم مثل الليث، فطعن بحربته أول رجل من القوم فقتله، وأخذ، والله، يقاتل راجلاً قتال الرجل الشجاع البأس، فارسًا، ويعطف الناس إليه»[٢].

دعاء وإجابة:

عن هشامٍ بن عروة، عن أبيه: أن أُروى بنت أويس ادَّعت أن سعيد بن زيد أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان، فقال سعيد: أنا ما كنت آخذًا من أرضها شيئًا بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «من أخذ شيئًا من الأرض، أى ظلمًا، طُوِّقه إلى سبع أرضين»، قال مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد: «اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها، واقتلها فى أرضها»، فما ماتت حتى عميت، وبينا هى تمشى فى أرضها، إذ وقعت فى حفرة فماتت[٣].

فانظر كيف يتهم الشرفاء بما ليس فيهم، وقد تجىء التهمة ممن هم أحق

(١) **الفواق**: ما بين الحلبتين من الوقت، والمراد الزمن القصير.

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٤١/١)، وصلاح الأمة د. سيد العفانى (٣٥٦/٣، ٣٥٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦١٠) (١٣٩) فى المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض.

بها وأهلها، وكم من مجرمين خارج القفص، وكم تَعَرَّض الأبرار لسهام الماكرين، ولكن الله خير الماكرين، وسوف يكون الجزاء رادعًا فى النهاية، ﴿وقد خاب من افترى﴾ [طه: ٦١].

ومما يتعزى به الأبرياء علمهم بأن رسولهم ﷺ لم يسلم من غمزات الشياطين، شياطين الإنس، ففى غزوة حنين تبجح ناس، فقالوا عن قسمته ﷺ: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله!! [(١)].

وتوفى سعيد، رضى الله عنه، سنة إحدى وخمسين، ودفن بالمدينة، ومات بالعقيق، وغسله، سعد بن أبى وقاص، ونزل سعدٌ وابن عمر فى قبره، وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنة، والله أعلم.

عن يحيى بن سعيد، قال: أخبرنى نافع، عن ابن عمر، أنه استصرخ على سعيد بن زيد يوم الجمعة، بعدما ارتفع النهار، فأتاه ابن عمر بالعقيق، وترك الجمعة[(٢)].

قلت: وهذه كرامة أخرى، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»[(٣)].



(١) انظر: الحدود فى الإسلام. د. محمود عمارة (ص ١٤٨)

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى برقم (٣٩٩٠) فى المغازى، والحاكم، ورجاله ثقات. سير (١٣٩/١).

(٣) قال الألبانى: أخرجه أحمد (٦٥٨٢ - ٦٦٤٦)، والترمذى، وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله وغيرهما، فالحديث بمجموع طرقه **حسن أو صحيح**. أحكام الجنائز (٣٥).

١١ - حمزة بن عبد المطلب
أَسَدُ اللّهِ وأَسَدُ رَسُوله

ضيفنا على هذه الصفحات واحد من العظماء الذين تحيا القلوب بذكرهم.

من هو؟

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام البطل، أسد الله، وسيد الشهداء، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أسلم، فعزَّ به رسول الله ﷺ والمسلمون فى السنة السادسة من النبوة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[1].

فضائله:

١ - عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب»[2].

٢ - وعن سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، قال: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحد بين يدى رسول الله ﷺ ويقول: «أنا أسد الله»[3].

بداية إسلامه:

إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا، يسَّر له أسبابه.

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/١٩٥).

(٢) **حسن بمجموع طرقه**: رواه الحاكم فى المستدرك، وانظر: فضائل صحابة النبى للعدوى (٢٧).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه الحاكم فى المستدرك. فضائل الصحابة للعدوى (٢٧).

عن محمد بن كعب القرظى، قال: كان إسلام حمزة، رضى الله عنه، حَمِيَّة، وكان رجلاً راميًا، وكان يخرج من الحرم، أى المكى، فيصطاد، فإذا رجع مرَّ بمجلس قريش، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة، فيمر بهم، فيقول: رميت كذا وكذا، وصنعت كذا وكذا، ثم ينطلق إلى منزله.

فأقبل من رميه ذات يوم، فلقيته امرأة، فقالت: يا أبا عمارة، ماذا لقى ابن أخيك، تقصد رسول الله ﷺ، من أبى جهل بن هشام، شتمه وتناوله، وفعل به وفعل، ولم يكن حمزة رضى الله عنه قد أسلم، فقال: هل رآه أحد؟ قالت: إى والله، لقد رآه أُناس.

فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم، فاتكأ على قوسه، وقال: رميت كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس، فضرب بها بين أذنى أبى جهل، فدق سنتها، ثم قال: خذها بالقوس وأخرى بالسيف، أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله.

قالوا: يا أبا عمارة، إنه سب آلهتنا، ولو كنت أنت، وأنت أفضل منه، ما أقررناك وذاك، وما كنت يا أبا عمارة فاحشا(١).

وفى رواية: أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصفا فآذاه، وكان حمزة، رضى الله عنه، صاحب قنص وصيدٍ، وكان يومئذٍ فى قنصه، فلما رجع قالت له امرأته، وكانت قد رأًت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ: يا أبا عمارة، لو رأيت ما صنع، تعنى أبا جهل، بابن أخيك!.

فغضب حمزة، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته، وهو معلق قوسه فى عنقه حتى دخل المسجد، فوجد أبا جهل فى مجلس من مجالس قريش، فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه فشجه، فقام رجال من قريش إلى حمزة

---

(١) رواه الطبرانى مرسلاً ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٤٦٠).

يمسكونه عنه، فقال حمزة: دينى دين محمد، أشهد أنه رسول الله، فوالله لا أنثنى عن ذلك، فامنعونى من ذلك إن كنتم صادقين.

فلما أسلم حمزة، عزَّ به رسول الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعض أمرهم، وهابت قريش، وعلموا أن حمزة، رضى الله عنه، سيمنعه[١].

قال حمزة، رضى الله عنه، هذا الكلام، وتزامن معه نزول رحمة الله تعالى عليه، فشرح الله صدره للإسلام، وانضوى تحت لواء الحق، وصار يضرب به المثل فى كل زمان ومكان.

وكان إسلامه صدمة قاسية، وصفعة قوية لقريش، أكدت أن الدين الجديد سيأخذ طريقه إلى الانتشار دون أن يقف فى طريقه أى عائق.

ثم مضت الأيام، وهاجر النبى والمسلمون إلى المدينة، وهناك بدأ النبى ﷺ يكوّن الدولة الإسلامية، ولم يمض غير قليل، حتى وقعت غزوة بدر، وكان حمزة بطل هذه الغزوة.

صفحات مضيئة من جهاده:

أول لواء عقده رسول الله حين قدم المدينة لحمزة، رضى الله عنه.

جهاده فى غزوة بدر:

كان أول وقود المعركة، الأسود بن عبد الأسد المخزومى، وكان رجلاً شرسًا سيئ الخلق، خرج قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم[٢]، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه.

فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه، فلمّا التقيا ضربه حمزة، فأطَنَّ قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره

(١) رواه الطبرانى مرسلاً، ورجاله ثقات. المجمع برقم (١٥٤٦١).
(٢) كان المسلمون قد بنوا حوضًا خلف الجيش ليشربوا منه.

تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبر يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه، أى أجهزت عليه، وهو داخل الحوض[١].

وكان هذا أول قتل أشعل نار المعركة.

المبارزة:

خرج بعد ذلك ثلاثة من خيرة فرسان قريش، كانوا من عائلة واحدة، وهم عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فلما انفصلوا من الصف طلبوا المبارزة، فخرج إليهم من شباب الأنصار، عوف ومعوذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: أكفاء كرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بنى عمنا.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علىُّ». فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: أنتم أكفاء كرام، فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علىٌّ الوليد[٢].

فأما حمزة وعلى، فلم يمهلا قرنيهما أن قتلاهما، وأما عبيدة فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم كر علىٌّ وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة، وقد قطعت رجله، فلم يزل صمتا حتى مات بالصفراء بعد أربعة أو خمسة أيام من وقعة بدر، حينما كان المسلمون

(١) انظر: الرحيق المختوم (١٩٦).

(٢) وفى رواية لأبى داود: أن عبيدة بارز الوليد، وعلىٌّ بارز شيبة، وحمزة بارز عتبة. صحيح سنن أبى داود برقم (٢٣٢١).

فى طريقهم إلى المدينة[1].

وقتل حمزة، رضى الله عنه، عددًا من المشركين، وكان معلمًا بريشة نعامة.

عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال لى أمية بن خلف: يا عبد الإله، من الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره يوم بدر؟ قلت: ذاك عم رسول الله ﷺ، ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل[2].

يقاتل بسيفين يوم أحد!!

عن عمير بن إسحاق، قال: «كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحد بين يدى رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: «أنا أسد الله وأسد رسوله»[3].

صورة حية من أرض المعركة:

القتال دائر، وحمزة رضى الله عنه، يحصد رقاب المشركين بسيفه حصدًا، وكان وَحْشى بن حرب قد خرج فى هذه الغزوة لمهمة واحدة، هى قتل حمزة، ولئن ظفر بها ليعتقن جبير بن مطعم رقبته ليصير حُرًّا.

«ووقف وحشى خلف شجرة وفى يده حربته يرصد حركات حمزة وسكناته وصوت جبير بن مطعم يداعب خياله: إن قتلتَ حمزة عم محمد بعمى[4] فأنت عتيق. إنها رمية من حربته تستقر فى قلب حمزة، ثم يسترد بعدها حريته، فطفق يتبع حمزة، رضى الله عنه، بعينه فى كَرّه وفَرّه، إنه

(١) انظر: الرحيق المختوم (١٩٦).

(٢) قال الهيتمى: روه البرار من طريقين فى إحداهما شيخه «على بن الفضل الكرابيسى»، ولم اعرفه، وبقية رجالها رجال الصحيح، والأخرى ضعيفة. المجمع برقم (٩٩٧٦).

(٣) أخرجه الحاكم (١٩٦/٣) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله إلى قائله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٤٦٣).

(٤) كان حمزة رضى الله عنه، قتل عمه فى بدر.

يحصد الناس بسيفه، ويمشى إليهم كالأسد قد كشر عن أنيابه، ينقض على فريسته، وإن هى إلا ضربة واحدة، فيتركه كأمس الدابر، وهو يقول: «أنا أسد الله وأسد رسوله».

وضرب حمزة رجلاً ضربة أطاحت برأسه، فانكمش وحشى، وهو فى مكمنه، فحمزة قتل ثلاثين من قريش وحده، ولو التفت ناحية الشجرة وخطر له أنه يتربص به لانقض عليه انقضاض الصاعقة، وقتله قبل أن يستمتع بحريته.

وهز وحشى الحربة فى يده وصوبها إلى حمزة، وقبل أن يطلقها كان حمزة قد التفت إلى سباع بن عبد العزى، فقال له: أقبل يا ابن مُقَطِّعةِ البُظُور[1].

وكانت أمه «أم أنمار» مولاة شريق والد الأخنسْ خَتّانة بمكة، وكان سباع يعادى الله ورسوله، وكان من المكذبين، فشد حمزة عليه ورفع سيفه وهوى به، فإذا بسباع فى مثل لمح البصر يسقط على الأرض وقد سالت دماؤه يلفظ آخر الأنفاس.

وتقاصرت نفس وحشى، فقد كان سباع تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة.

وملأ الخوف قلب وحشى، وبات يخشى أن تنتهى المعركة بهزيمة قريش دون أن ينال من حمزة، فيظل يرسف فى العبودية، فجعل يرصده فى غدواته وروحاته بين صفوف المشركين لعل فرصة تسنح له يقتل فيها حمزة ويسترد حريته.

وكر خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل[2] وفرسان قريش على

(١) البظور: جمع بظر، وهى اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان.
(٢) لم يكن خالد وعكرمة رضى الله عنهما قد أسلما بعد.

المسلمين مرة أخرى، فإذا بالنبال تتطاير من الرماة الذين أسندوا ظهورهم إلى جبل أُحد لتستقر فى أعين الخيل أو فى رقاب الفرسان وصدورهم، فانجفل الفرسان مرتدين ليتفرقوا فى الوادى وليصبحوا هدفًا لأسياف حمزة وعلىّ والزبير وأبى دجانة وصناديد المسلمين.

وارتفعت الأصوات تجلجل عند أُحد، والمسلمون يهتفون: أمت، أمت، وقد استبشروا بنصر الله، والمشركون يهتفون: يا للعزى يا لهبل.

والنسوة من قريش يحمِّسْنَ الرجال بالدفوف، وأقبل حمزة وقد شهر سيفه ليقاتل بين يدى رسول الله ﷺ، ويقول: «أنا أسد الله...».

فبينما هو كذلك، إذ عثر عثرة وقع منها على ظهره، فانكشفت الدرع عن بطنه، فلاحت لوحشى الفرصة التى كان يرصدها مذ نشب القتال فى بطن أحد، فهز حربته ثم دفعها عليه، فإذا بها تنفذ من تحت سرته لتخرج من بين رجليه.

وندت من حمزة صرخة مكتومة، ونظر فرأى وحشى خلف الشجرة، فحمل نفسه حملاً لينطلق إليه يريد أن يقتل ذلك العبد الحبشى الذى غدر به، ولكنه عجز عن مواصلة السير فوقع على الأرض.

ورفع رأسه لينظر، فإذا بجبل أُحد يدور فى الفضاء، وإذا بالمدينة البعيدة يطبق عليها الظلام، وإذا بأصوات المسلمينَ التى كانت تدوى كالرعد: أمت أمت، تَخفُتْ، ولم يعد يرى بعينيه، ولكنه يرى ببصيرته أول يوم أعلن فيه إسلامه، يوم أن ذهب إلى أبى جهل وشجه بقوسه، وهو فى مجلسه عند الكعبة لما سمع أن أبا جهل قد أساء إلى ابن أخيه.

وكان يرى صناديد قريش يوم بدر لما كانوا يتهاوون جثثًا هامدة تحت ضربات سيفه البتار، وغاب عن الدنيا بينما كانت أصوات عذبة تنسحب فى أذنيه تبشره بجنات عرضها السماوات والأرض، فإذا بأساريره تنبسط،

وإذا بروحه تعود إلى ربها آمنة مطمئنة.

وجاءه وحشى، وقد سكن روعه، فأخذ حربته ثم انتحى إلى العسكر، ولم يكن له فى شىء حاجة غَيْرَهُ[١].

ثم أسلم وحشى بعد ذلك وحسن إسلامه، وقدم المدينة على رسول الله ﷺ، وندع له المجال يحدثنا عن الحوار الذى دار فى هذا اللقاء.

يقول وحشى: قدمت المدينة على رسول الله ﷺ، فقال: «وحْشى؟»، قلت: نعم، قال: «اجلس، فحدثنى كيف قتلت حمزة»، فحدثته، فقال: «ويحك! غَيِّبْ عني وجهك، فلا أَرَيَنَّكَ»، فكنت أتنكبُ[٢] رسول الله ﷺ حيث كان، حتى قُبِضَ.

فلما خرج المسلمون إلى مُسيلمة، الكذاب، خرجت معهم بحربتى التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس، نظرت إلى مسيلمة وفى يده السيف، فوالله ما أعرفه، وإذا رجل من الأنصار يريده من ناحية أخرى، فكلانا يتهيأ له، حتى إذا أمكننى، دفعت عليه حربتى، فوقعت فيه، وشد الأنصارى عليه، فضربه بالسيف، فربُّك أعلم أينا قتله، فإن أنا قتلته، فقد قتلتُ خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وقتلتُ شر الناس[٣].

وكان المشركون قد مَثَّلوا بحمزة، رضى الله عنه.

عن أنس قال: لما كان يوم أحد، وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدِع وَمُثِّل به، فقال: «لولا أن تجد صفية فى نفسها، لتركته حتى يحشره

(١) انظر: محمد رسول الله والذين معه (٢٧ - ٣٠) غزوة أحد للأستاذ/ عبد الحميد جودة السحار.

(٢) تنكب فلان عنا، أى مال عنا وتجنبنا.

(٣) **إسناده قوى**: إلى وحشى. أخرجه ابن هشام (٢/٧٠ - ٧٣)، والبخارى فى المغازى (٤٠٧٢).

الله من بطون السباع والطير»، وكفن فى نمرة إذا خمِّر رأسه، بدت رجلاه، وإذا خمرت رجلاه بدا رأسه، ولم يُصلِّ على أحد من الشهداء، وقال: «أنا شهيد عليكم»، وكان يجمع الثلاثة فى قبر، والاثنين، فيسأل: أيهما أكثر قرآنًا، فيقدمه فى اللحد، وكفن الرجلين والثلاثة فى ثوب(١).

وفى رواية: وجدوا حمزة قد بُقر بطنه، واحتمل وحشى كبده إلى هند، بنت عتبة، فى نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر(٢).

وعن ابن عمر، قال: سمع رسول الله ﷺ نساء الأنصار يبكين على هلكاهن، فقال: «لكن حمزة لا بواكى له»، فجئن، فبكين على حمزة عنده، إلى أن قال: «مروهن لا يبكين على هالك بعد اليوم»(٣).

فائدة:

ثبت فى الصحيحين من حديث عقبة، أن النبى ﷺ صلى على قتلى أُحد صلاته على الميت، فهذا كان قبل موته ﷺ بأيام.

قال الإمام ابن القيم: والصواب فى المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها لمجىء الآثار لكل واحد من الأمرين، وهذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهى أليق بأصول مذهبه»(٤).

كرامة بعد الموت!!

عن جابر، قال: لما أراد معاوية أن يجرى عينه(٥) التى بأُحد، كتبوا إليه:

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٣/١٢٨)، وأبو داود فى الجنائز (٣١٣٦)، وحسنه الأرنؤوط.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٧٩).

(٣) **سنده قوى:** أخرجه أحمد (٢/٨٤)، وانظر تحقيق: الأرنؤوط على سير أعلام النبلاء (١/١٧٣).

(٤) انظر: تهذيب السنة لابن القيم (٤/٢٩٥).

(٥) عينه: أى عينًا من ماء أجراها. المسحاة: هى مجرفة من حديد. صفة الصفوة

إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء، فكتب انبشوهم. قال: فرأيتهم يحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام!! وأصابت المسحاة طرف رِجْل حمزة، فانثعبت دمًا.



(١/١٩٨).

١٢ - البراء بن مالك

قتل مائة نفس من الشجعان مبارزة!!

كما أن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فهو سبحانه أعلم كيف يختار لنبيه ﷺ حواريه وصحابته.

مَنْ البراء بن مالك؟

إنه البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ، وأخو خادم النبي ﷺ، أنس بن مالك، شهد أُحُدًا، وبايع تحت الشجرة.

قال الذهبي: وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة[١].

وكان عمر بن الخطاب يكتب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم[٢]!!

إذن هو لا يبحث عن النصر فقط، ولكنه يبحث عن الشهادة، ويستعجل مجيئها. طراز فريد، قلما يجود الزمان بمثلهم، رضي الله عنه.

وكان البراء لا يهتم بمظهره قدر اهتمامه بمخبره الذي هو محل نظر الرب سبحانه فَتَحْتَ أسماله البالية، تسكن العظمة.

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»[٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٩٦).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٩١)، وإسناده مرسل. حياة الصحابة (٢/١٢٨).

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٨٥٣)، وقال: حديث حسن صحيح، ووافقه

والأشعث: البعيد العهد بالدهن والتسريح والغسل، والطمر: الثوب الخلق. لا يؤبه له: لا يُعرف ولا يعلم به لقلة شأنه. لأبره: لصدقه وجعله بارًا غير حانث.

مواقف بطولية من صنع الإسلام:

فى عهد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، ارتد من ارتد من الناس، وأطلت الفتنة برأسها، وتحركت كالسيل الجارف تريد محو معالم هذا الدين المبارك، فانتفض أبو بكر وعقد الألوية واستعان بربه الواحد الأحد، فأخمد الفتن، وظهر أمر الله وهم كارهون، وكانت موقعة اليمامة، التى دارت رحاها بين المسلمين وجيش مسيلمة الكذاب، من أقوى المعارك التى دارت بين جند الرحمن وجند الشيطان، وفى هذه المعركة سطر البراء بن مالك أروع المواقف فى حياة أمته وملته.

عن أنس، قال: إن خالد بن الوليد قال للبراء، رضى الله عنهما، يوم اليمامة: قم يا براء، قال: فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة»، ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقى البراء، رضى الله عنه، محكم اليمامة «قائد جيش مسيلمة»، فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف محكم اليمامة، فضرب به حتى انقطع[١].

وعند البغوى، عن البراء، رضى الله عنه، قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له: حمار اليمامة، رجلاً جسيمًا بيده سيف أبيض، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر[٢]، فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفى،

الأرنؤوط.

(١) انظر: حياة الصحابة (٢/١٢٧).

(٢) انقعر: أى قطع من أسفله.

فما ضربت به ضربة، حتى انقطع[١].

وعن ابن إسحاق، قال: زحف المسلمون إلى المشركين، حتى ألجئوهم إلى الحديقة، وفيها عدو الله مسيلمة، فقال، أى البراء: يا معشر المسلمين، ألقونى عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله مسيلمة[٢].

وفى رواية، أنه جلس على ترس، فقال: ارفعونى برماحكم، فألقونى إليهم، فرفعوه برماحهم، فألقوه من وراء الحائط، فأدركوه قد قتل منهم عشرة[٣].

وانتهت المعركة بانتصار ساحق للمسلمين، ورغم جهاد البراء وتعرضه للمخاطر لينال شرف الشهادة، إلا أنه لم يظفر بها فى هذه الموقعة. ﴿**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾ [الرعد: ٣٨].

ومع هذا فلقد كان على علم ويقين بأن الله لن يحرمه شرف الاستشهاد، فالله تعالى لا يخيب رجاء من دعاه.

عن أنس، قال: دخلت على البراء، وهو يتغنى، ويُرنم قوسه، فقلت: إلى متى هذا؟ قال: أترانى أموت على فراشى؟ والله لقد قتلت بضعًا وتسعين[٤].

وتمر الأيام، ويدور قتال عنيف بين المسلمين والفرس فى موقعة «تستر»،

---

(١) انظر: الإصابة (١/١٤٣).
(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/١٣٨).
(٣) رواه البيهقى (١/٤٤) وإسناده مرسل. هامش حياة الصحابة (٢/١٢٨).
(٤) **إسناده صحيح**: رواه ابن سعد فى الطبقات (٧/١/١٠)، الأرنؤوط. سير (١/١٩٨).

ولما اشتد القتال، وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا فى المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: «أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبيى ﷺ»، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدًا(١).

وعلى أرض المعركة، وفى ساحة الشرف، سقط البطل شهيدًا، وقد روى الأرض بدمائه الزكية، يفوح منها شذًى أطيب من المسك، ونال المشتاق ما تمناه، وظهرت آثار السعادة على محياه، وفى وجدانه يرن صدى آيات الله تعالى: ﴿**ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].



(١) انظر: صفة الصفوة (١/٣١٧، ٣١٨).

١٣ - عبد الله بن مسعود

أقرب الناس برسول الله هَدْيًا وسَمتًا

من هو ابن مسعود؟

إنه الإمام الحبر[١]، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلى المكى المهاجرى البدرى، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.

أسلم قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد كلها.

وكان صاحب سِرِّ[٢] رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر.

وكان يشبه بالنبى ﷺ فى هَدْيه وسَمْته، وكان خفيف اللحم، نحيل البدن، دقيق الساقين.

وكان من أجود الناس ثوبًا، ومن أطيب الناس ريحًا.

وولى قضاء الكوفة وبيت المال لعمر وصَدْرًا من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع، وهو ابن بضع وستين[٣].

فضائله:

١ - عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن

---

(١) وكان ابن عباس رضى الله عنهما يسمى: حَبْر الأمة.

(٢) واشتهر حذيفة بن اليمان، رضى الله عنه، بأنه صاحب سِرِّ رسول الله.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٦١)، صفة الصفوة (١/٢٠٨).

من أربعة: من ابن مسعود، وأبيٍّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»(١).

٢ - وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي، أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»(٢).

٣ - عن عبد الرحمن بن يزيد قال: أتينا حذيفة، فقلنا: حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هديًا ودَلاً فنأخذ عنه ونسمع منه، قال: كان أقرب الناس هديًا ودَلاً وسمتًا برسول الله ﷺ ابن مسعود، حتى يتوارى منا في بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن ابن أم عبد هو أقربهم إلى الله زلفًا(٣).

٤ - وعن عبد الله بن مسعود، أن أبا بكر وعمر بشراه، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»(٤).

٥ - يَرْحمك الله إنك غُلَيِّمٌ معلَّم: كانت بداية معرفة عبد الله بن مسعود برسول الله ﷺ لها قصة:

عن ابن مسعود، قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْط، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: «يا غلام، هل من لبن؟»، قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟»، فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبنٌ، فحلب في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٩٥)، الصحيحة (١٨٢٧)، والحديث في الصحيحين.

(٢) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٩٢)، ابن ماجه (٩٧).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٩٩٤).

(٤) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (١١٤)، الصحيحة (٢٣٠١).

للضرع: اقلص، فقلص.

زاد أحمد، أى فى رواية، قال: ثم أتيته بعد هذا، ثم اتفقا، فقلت: يا رسول الله، علمنى من هذا القول، فمسح رأسى، وقال: «يرحمك الله إنك غُلَيمٌ معلَّم»[(١)].

وفى رواية: فأسلمت وأتيته[(٢)].

٦ - وعن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ**﴾ الآية [المائدة: ٩٣]، قال رسول الله ﷺ لى: «أنت منهم»[(٣)].

٧ - وعن أبى الأحوص، سمعت أبا مسعود، أى البدرى، وأبا موسى حين ماتِ عبد الله بن مسعود، وأحدهما يقول لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟ قال: لئن قلت ذاك، لقد كان يؤذن له إذا حُجبنا ويَشْهَدُ إذا غبنا[(٤)].

قلت: وفضائله كثيرة غير ما قدمنا، ولقد أطلنا النفس فى تعدد فضائله؛ لأن ابن مسعود، رضى الله عنه، لم ينج من ألسنة السوء فى عصرنا، من أقوام تخصصوا فى تزوير المفاهيم والنيل من الرموز الإسلامية، ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾ [البروج: ٢٠].

علمه، رضى الله عنه:

١ - عن أبى مسعود البدرى، قال: ما أعلم النبى ﷺ ترك أحدًا أعلم

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/٣٧٩)، وصححه الذهبى فى سير أعلام النبلاء (١/٤٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/٤٦٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥٩) فى الفضائل، باب فضائل عبد الله.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٦١)، (٢٤٦٣) فى فضائل الصحابة، فضائل عبد الله بن مسعود.

بكتاب الله من هذا القائم، يعنى ابن مسعود(١).

٢ - وعن مسروق قال: قال عبد الله، رضى الله عنه:

والله الذى لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. رواه البخارى.

٣ - وعن أبى وائل، عن عبد الله، أنهم ذكروا قراءته، فكأنهم عابوه، فقال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنى أقرؤهم لكتاب الله»، ثم كأنه ندم، فقال: ولست بخيرهم(٢).

ساقه فى الميزان أثقل من جبل أُحد:

عن علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، قال: أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود، فصعد شجرة يأتيه منها بشىء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله، فضحكوا من حُمُوشَةِ ساقيه - أى من نحافتها ودقتها - فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل فى الميزان يوم القيامة من أُحد»(٣).

الرسول يبكى أمام ابن مسعود:

عن عبد الله، قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ القرآن»، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: «إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى»، فقرأت عليه سورة النساء،حتى بلغت: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] فغمزنى برجله،

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٦١) (١١٣) فى فضائل الصحابة.

(٢) رجاله ثقات: وأخرجه بنحوه البخارى رقم (٥٠٠٠). وانظر هامش سير أعلام النبلاء (١/٤٧٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/١١٤)، وانظر المجمع (٩/٢٨٨).

فإذا عيناه تذرفان[١].

عمر يدافع عن ابن مسعود:

عن أبى وائل أن ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل، فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك، قال: إنَّ بساقى حُمُوشة، وأنا أَؤمُّ الناس، فبلغ ذلك عمر، فجعل يضرب الرجل، ويقول: أتردُّ على ابن مسعود؟[٢].

قلت: فعل عمر هذا إجلالاً للعلم واحترامًا للعلماء، وكم من رءوس اليوم تطاولت على علماء الأمة تحتاج لمن يقرعها لتتأدب.

أحواله مع القرآن:

عن عون بن عبد الله، عن أخيه عبيد الله، قال: كان عبد الله إذا هدأت العيون، قام فسمعت له دويًا كدوى النحل.

وعن زياد مولى ابن عياش، قال: كان ابن مسعود حسن الصوت بالقرآن.

وعن زيد بن وهب، قال: رأيت بعينى عبد الله أثرين أسودين من البكاء.

تواضعه:

قال عبد الله: لو تعلمون ذنوبى، ما وطئ عقبى اثنان، ولحثيتم التراب على رأسى، ولوددت أن الله غفر لى ذنبًا من ذنوبى، وأنى دعيت عبد الله ابن رَوْثَة[٣].

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم والترمذى.
(٢) **رجاله ثقات:** نسبه الحافظ فى الإصابة إلى البغوى. هامش سير (١/٤٩٢).
(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣١٦).

وعن القاسم بن عبد الرحمن، أن ابن مسعود كان يقول في دعائه: خائف مستجير، تائب، مستغفر، راغب، راهب.

جهاده فى سبيل الله تعالى:

بدأ جهاده، رضى الله عنه، فى مكة عندما جهر بالقرآن.

عن يحيى بن عروة، عن أبيه، أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة، بعد النبى ﷺ عند البيت، وقريش فى أنديتها قرأ سورة ﴿**الرحمن علم القرآن**﴾، فقاموا إليه فضربوه(١).

وشهد رضى الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد مواقف كثيرة، منها اليرموك وغيرها، وهو الذى قتل أبا جهل يوم بدر بعدما أثبته ابنا عفراء.

عن أبى عبيدة، قال: قال عبد الله: انتهيت إلى أبى جهل، وهو صريعٌ، وهو يذبُّ الناس بسيفه، فقلت: الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله، قال: هل هو إلا رجلٌ قتله قومه، فجعلت أتناوله بسيف لى، فأصبت يده، فَنَدَرَ سيفه، فأخذته، فضربته به حتى بَرَد، ثم خرجت حتى أتيتُ النبى ﷺ، وكأنما أقلَّ من الأرض، فأخبرته، فقال: «والله الذى لا إله إلا هو»، قال: فقام معى حتى خرج يمشى معى حتى قام عليه، فقال: «الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة»(٢)، ومات الطاغية تحت حذاء ابن مسعود.

من مواعظه رضى الله عنه:

عن عبد الرحمن بن حجيرة، عن أبيه، عن ابن مسعود أنه كان يقول: إذا قعد يذكر: إنكم فى ممر من الليل والنهار فى آجال منقوصة، وأعمال

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٤٥، ٢٤٦).
(٢) **رجاله ثقات**: وأخرجه أحمد وأبو داود مختصرًا، والبخارى بنحوه (٣٩٦٢).

محفوظة، والموت يأتى بغتة، فمن زرع خيرًا فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرًا، فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فإن أُعطى خيرًا فالله أعطاه، ومن وُقِى شرًا، فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة[١].

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية[٢].

وقال رضى الله عنه: ما منكم إلا ضيف وماله عارِيَّة، فالضيف مرتحل، والعارِيَّة مؤداة إلى أهلها.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، علمنى كلمات جوامع نوافع، فقال له عبد الله: لا تشرك بالله شيئًا، وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل فأردده عليه، وإن كان حبيبًا قريبًا[٣].

ومن مواعظه أيضًا:

قال رضى الله عنه:

«إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدى هدىُ الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قلّ وكفى خير مما كثر وأهلى، ونفس

(١) رواه أحمد. صفة الصفوة (٢١٥/١).
(٢) انظر: صفة الصفوة (٢١٨/١).
(٣) انظر: صفة الصفوة (٢١٩/١، ٢٢٠).

تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقى فى القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جمّاع الإثم، والنساء حُبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنَّوْح من عِلْم الجاهلية، ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دبرًا، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة جمه، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرَّزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وُعِظ بغيره، والشقى من شقى فى بطن أمه، وإنما يكفى أحدهم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكره، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يتولَّ الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه»(١).

وعن أبى إياس البجلى، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول:

«من تطاول تعظمًا خفضه الله، ومن تواضع تخشعًا رفعه الله، وإن لِلْمَلَك لَمَّة، وللشيطان لَمَّة(٢)، فَلُمَّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله»(٣).

وعن المسيب بن رافع، قال: قال عبد الله بن مسعود:

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢١٦).

(٢) **اللمة:** هو المسّ والشيء القليل.

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٢١٧، ٢١٨).

«إنى لأبغض الرجل أن أراه فارغًا ليس فى شىء من عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة»[١].

وعنه، رضى الله عنه، قال:

«مادمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له»[٢].

وعنه، رضى الله عنه، قال:

«كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس[٣] البيوت، سُرُج الليل، جدد القلوب خلْقان الثياب[٤]، تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الأرض»[٥].

وعنه، رضى الله عنه، قال:

«والله الذى لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شىء أحوج إلى طول سجن من لسان»[٦].

وعنه قال:

«من استطاع منكم أن يجعل كنزه فى السماء حيث لا يأكله السوس ولا يناله السُرّاق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه»[٧].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢١٧، ٢١٨).
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٢١٧، ٢١٨).
(٣) **حلس البيت**: كساء يبسط تحت حر الثياب، وفى الحديث: «كن حلس بيتك»، أى لا تبرح.
(٤) يقال: ثوب خلق، أى بال.
(٥) انظر: صفة الصفوة (١/٢١٨).
(٦) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٠، ٢٢١).
(٧) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٠، ٢٢١).

وعنه قال:

لا يقلدّنّ أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، وإن كنتم لابد مقتدين، فاقتدوا بالميت، فإن الحى لا تُؤمن عليه الفتنة»[١].

وعنه قال:

«يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أدّ أمانتك، فيقول: من أين يا رب؟ قد ذهبت الدنيا، فتمثل على هيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها هوت وهوى فى إثرها أبد الآبدين»[٢].

وعنه، رضى الله عنه، قال:

«لا تكونن إمّعة، قالوا: وما الإمعة؟

قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطّنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر»[٣].

لقاء الله تعالى:

وبعد عُمْر مبارك قضاه عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه فى الإسلام، ساهم فى إقامة صرح الدين، وهدم بنيان الباطل، جاءه الموتُ، فلقد آن الرحيل ليلحق بالأحبة، وعلى فراش الموت يزوره الخليفة عثمان، ويدور هذا الحوار:

عن أبى ظَبْية قال: مرض عبد الله، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى، قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربِّى، قال: ألا آمر لك بطبيب؟

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٠، ٢٢١).
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٠، ٢٢١).
(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٠، ٢٢١).

قال: الطبيب أمرضنى، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لى فيه(١).

ثم أوصى، رضى الله عنه، الزبير بن العوام أن يصلى عليه، وفاضت روحه إلى خالق الأرواح سبحانه، لتستقر هناك، ﴿**فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، ودفن فى البقيع، فوداعًا سيدى، أذكرنا عند ربك يا إمام ولنكن من بالك.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٩٨).

١٤ - عبد الله بن عباس

ربانى هذه الأمَّة

من هو؟

إنه حَبْرُ الأمَّة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب.

صحب النبى ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا(١).

وعن ابن عباس، قال: «تُوفِّى النبىُّ ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة، وقد ختنت»(٢).

النبى ﷺ يُخْبِرُ بمَوْلده!!

عن ابن عباس، قال: «حدَّثتنى أم الفضل بنت الحارث قالت: بينا أنا مارَّة والنبى ﷺ فى الحِجْر فقال: «يا أمَّ الفضْل» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «إنك حَامِلٌ بغلام» قلت: كيف وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء؟ قال: «هو ما أقول لكِ، فإذا وضعتيه فأتينى به» فلما وضعتُه أتيتُ به النبىَّ ﷺ فسمَّاه عبد الله وألباه(٣) بريقه، قال: «اذْهَبى به، فَلَتَجدْنَهُ كَيِّسًا» قال: فأتيت العباس فأخبرته، فتبسم، ثم أتى النبىَّ ﷺ، وكان رَجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبى ﷺ قام إليه فقبَّل مَا بين عينيه وأقعده عن يمينه، ثم قال: «هذا عَمِّى، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُبَاهِ بعمِّه» فقال العباس: بعض القول، يا

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣٢).

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٣٤).

(٣) أى: حَنَّكه بريقه ﷺ.

رسول الله، قال: «ولم لا أقول وأنت عَمِّى، وبقيةُ آبائى، والعَمُّ وَالِدٌ»(١).

فضائله:

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

ضمنى النبى ﷺ إلى صدره وقال: «اللهمَّ علِّمه الحكمة»(٢).

٢ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال:

كان رسول الله ﷺ فى بيت ميمونة فوضعتُ له وضوءًا من الليل، قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبدُ الله بن عباس فقال: «اللهم فقِّهه فى الدِّين، وعلِّمْه التأْويل»(٣).

٣ - وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «نعم تُرْجمان القرآن ابنُ عباس»(٤).

٤ - وعن مجاهد، قال: «كان ابن عباس إذا فَسَّر الشىء رأيت عليه نورًا»(٥).

٥ - وعن شقيق، قال: كان ابن عباس على الموسم، أى موسم الحج، فخطب فافتتح سورة النور، فجعل كلما يقرأ ثم يفسِّر، فقال شيخ من الحِيِّ: «سبحان الله ما رأيت كلامًا يخرج من رأس رجل لو سَمِعتْه التُرْكُ

(١) **إسناده حسن:** رواه الطبرانى، وقال الهيثمى: إسناده حسن. المجمع برقم (١٥٥١٤).

(٢) **صحيح:** صحيح سنن الترمذى (٣٠٠٤). وفى رواية «.. وتأويل الكتاب». صحيح ابن ماجه (١٣٦).

(٣) **حسن:** أحمد فى المسند، وقال الشيخ العدوى: حسن. فضائل صحابة النبى ٦٥.

(٤) **صحيح:** رواه ابن أبى شيبة، وقال الشيخ العدوى: صحيح. فضائل صحابة النبى ٦٥.

(٥) **صحيح:** رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الفضائل، وقال الشيخ العدوى: صحيح. نفس المرجع.

لأسلمت»[١].

وكان رضى الله عنه جميلاً طيب الرائحة.

قال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرتُ وجْه ابنِ عباس.

وعن عكرمة، قال: «كان ابن عباس إذا مَرَّ فى الطريق، قُلْنَ النساء على الحيطِان: أَمَرَّ المِسْكُ، أم مَرَّ ابن عباس؟»[٢].

طلبه للعلم وتحمله الشدائد فى سبيل تحصيله:

إن هذا العلم لا ينال براحة الجسد .. ولن يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلَّك.

ومن الوصايا: اصبر على ذُلّ العلم يعطيك عِزًّا.

وابن عباس رضى الله عنهما قدوة لطلاب العلم، ومنارًا للسائرين على طريق العلماء.

يقول رضى الله عنه: «لما تُوفِّى رسولُ الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هَلمَّ نَسْأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير؛ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفى الناس من أصحاب النبى عليه السلام مَنْ تَرى؟ فترك ذلك. وأقبلت على المسألة، فإن كان لَيَبلُغنى الحديث عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد ردائى على بابه، فتسفى الريحُ علىَّ الترابَ، فيخرجُ، فيرانى، فيقول: يا ابنَ عم رسول الله! ألا أرْسَلْتَ إلىَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحَقُّ أن آتيك، فأسألك. قال: فبقى الرجلُ حتى رآنى وقد اجتمع الناسُ علىَّ، فقال: «هذا الفَتى أعقلُ منىِّ»[٣].

(١) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الفضائل، وقال الشيخ العدوى: صحيح. نفس المرجع.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣٧).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/٥٣٨). وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

علمه رضى الله عنه:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَد فى نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه منى حيث قد علمتم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم. قال: ما تقولون فى قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟.

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا. فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟.

فقلتُ: لا، قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا كما تقول»[1].

وكان عمر يستشيره فى الأمر إذا أهمَّه ويقول: غُصْ غَوَّاصُ.

وعن عكرمة: أن عليًّا حرق ناسًا ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابنَ عباس، فقال: لم أكن لأحرقهم أنا بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: «لا تُعَذِّبُوا بعَذَابِ الله» وكنتُ قاتِلهم لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّل دينه، فَاقتلوه» فبلغ ذلك عَلَيًّا، فقال: ويح ابن عباس، إنَّه لغوَّاصٌ على الهَنَات[2].

قال الخطابى: قوله: «ويح ابن عباس» لفظه لفظ الدعاء عليه، ومعناه المدح له، والإعجاب بقوله.

وعن عكرمة: سمعت معاوية يقول لى: مولاك - أى ابن عباس - والله أفقهُ مَن مات وَمَنْ عاش.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٩٩/٨). فى المغازى وغيره.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه البخارى دون قوله: «فبلغ ذلك ...» ورواه أبو داود وغيره.

وعن طاوس، قال: «جالست سبعين أو ثمانين شيخًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ما أحد منهم خالف ابن عباس، فيلتقيان إلا قال: القول كما قلت: أو قال: صدقت»(١).

التأدب مع رسول الله ﷺ:

عن ابن عباس، قال: أتيت رسول الله ﷺ فى آخر الليل، فصليت خلفه، فأخذ بيدى فجرَّنى حتى جعلنى حِذَاءَهُ، فلما أقبل رسول الله ﷺ خَنَسْتُ(٢)، فصلى رسول الله ﷺ، فلما انصرف قال: «ما شأنُك أجعَلُك حِذَائى فَتَخْنَسُ؟» فقلت: يا رسول الله، وينبغى لأحد أن يصلى بحذائك. وأنت رسول الله ﷺ الذى أعطاك الله؟ قال: فأعجبه، فدعا لى أن يزيدنى الله علمًا وفقهًا»(٣).

خوفه من الله:

عن ابن أبى مليكة، قال: صحبت ابنَ عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا أنزل، قام شَطر الليل. فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] فجعل يرتل ويُكْثِرُ فى ذلك النشيج(٤).

والنشيج: أَحَرّ البكاء.

وعن أبى رجاء رضى الله عنه قال:

كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع، كأنه الشراك البالى(٥).

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٢٢).
(٢) **خنس**: انقبض وتأخر إلى الوراء.
(٣) قال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٢٦).
(٤) انظر: حلية الأولياء (٣٢٧/١).
(٥) انظر: حلية الأولياء (٣٢٩/١)، حياة الصحابة ٢٦٢/٣. **الشراك**: رباط النعل وغيره.

لقاؤه مع الخوارج:

عندما نشبت فتنة الخوارج ذهب إليهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وناقشهم فيما التبس عليهم فهمه .. ودارت حوارات .. وثارت مناقشات .. وأسفرت عن اقتناع عشرين ألفًا منهم .. فغادروا إلى صف الإمام على بن أبى طالب.

الوفاة:

عاش ابن عباس .. ينشر نور الدعوة .. ويشرح تعاليم السماء .. وَكُفَّ بصره فى أواخر حياته .. وكان النبى ﷺ قد أخبر بذلك: عن موسى بن ميسرة؛ أن العباس بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فى حاجة، فوجد عنده رجلاً، فرجع، ولم يُكَلِّمه، فلقى العباسُ رسولَ الله ﷺ بعد ذلك، فقال: أرسلت إليك ابنى، فوجد عندك رجلاً، فلم يستطع أن يكلمك. فقال: «يا عم! تدرى من ذاك الرجل؟» قال: لا. قال: «ذاك جبريلُ لقينى، ولَنْ يموت ابنُك حتى يَذْهَبَ بَصرُه، وَيُؤْتَى علمًا»[1].

وفى سنة ثمان أو سبع وستين .. تُوفِّى ابن عباس .. وفاضت روحُه إلى الله.

آية عند الممات:

عن سعيد بن جبير، قال: مات ابن عباس بالطائف فشهدنا جنازته، فجاء طائر لم يُرَ على خِلْقَته حتى دخل فى نعشه، ثم لم يُرَ خارجًا منه، فلما دُفن تليت هذه الآية على شفير القبر لم يدر من تلاها:

﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧، ٣٠][2].

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى بأسانيد ورجاله ثقات. المجمع (٢٧٧/٩).

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع (٢٨٥/٩) برقم (١٥٥٣٥).

قال الإمام الذهبى: «فهذه قضية متواترة»[١].

وكانوا يرون هذا الطائر أنه عِلْمُه رضى الله عنه.

ولما دُفن ابن عباس، قال ابن الحنفية: «اليوم مات رَبَّانىٌّ هذه الأُمة»[٢].

وتحت تراب الطائف دفن جثمانه المضىء بالإيمان والعقيدة .. المعطر بعبير حب الله ورسوله.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٨) بهذا اللفظ، ولعلها: «قصة متواترة».

(٢) أخرجه ابن سعد (٢/٣٦٨).

١٥ – أبو الدرداء
حكيم هذه الأمة

من هو؟

إنه الإمام القدوة، قاضى دمشق، وصاحبُ رسول الله ﷺ أبو الدرداء عُويمر بن زيد بن قيس، الأنصارى الخزرجى، حكيم هذه الأمَّة، وسيِّدُ القُرَّاء بدمشق.

قال سعيد بن عبد العزيز: أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحُدًا، وأمره رسولُ الله ﷺ يومئذ أن يَرُدَّ مَنْ على الجبل، فردَّهم وحده.

فضائله:

١ – عن أنس: مات النبى ﷺ، ولم يجمع القرآن غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ، وزيدُ بن ثابت، وأبو زيد(١).

قال الأرنؤوط: «والقصر فى هذا الحديث إضافى لا حقيقى، فقد حفظ القرآن جميعه الجم الغفير من الصحابة رضى الله عنهم سرد منهم الحافظ فى «الفتح» (٩/٤٧، ٤٨)(٢).

٢ – وكان ابن عمر يقول: حَدِّثونا عن العاقِلَيْن. فيقال: مَنْ العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدرداء(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٩/٤٧، ٤٨). وأبو زيد، قيل هو ثابت بن زيد، وقيل: سعد ابن عبيد.

(٢) انظر: هامش سير أعلام النبلاء (٢/٣٣٩).

(٣) **رجاله ثقات**: أخرجه ابن سعد (٢/٣٥٠).

زهده فى الدنيا:

قال أبو الدرداء: كنتُ تاجرًا قبل المَبْعَث، فلما جاء الإسلام، جمعتُ التِّجارةَ والعبادةَ، فلم يجتمعا، فتركتُ التجارة، ولزمتُ العبادة[1].

تعليق هام للإمام الذهبى:

قال الإمام الذهبى معلقًا على قول أبى الدرداء رضى الله عنه: «قلت: الأفضل جَمْعُ الأمرين مع الجهاد، وهذا الذى قاله، هو طريق جماعة من السلف والصوفية، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلفُ فى ذلك، فبعضهم يقوى على الجمع، كالصدِّيق وعبدِ الرحمن بنُ عوف، وكما كان ابن المبارك، وبعضهم يعجز، ويقتصرُ على العبادة، وبعضهمُ يقوى فى بدايته، ثم يعجز، وبالعكس؛ وكلٌّ سائغ. ولكن لابُدَّ من النهضة بحقوق الزَّوْجةِ والعيال»[2].

لقطة من جهاده:

قال شريحُ بن عبيد الحمصى: لما هُزِم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد، كان أبو الدرداء يومئذٍ فيمنْ فاءَ إلى رسول الله ﷺ فى الناس، فلمَّا أظلَّهم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «اللُهمَّ، ليس لهم أن يَعْلُونا» فثاب إليه ناسٌ، وانتدبُوا، وفيهم عويمر أبو الدرداء، حتى أدحضوهم عن مكانهم، وكان أبو الدرداء يومئذ حَسَنَ البلاء. فقال رسولُ الله: «نِعْمَ الفارس عُوَيمر»[3].

علمه رضى الله عنه:

عن مسروق، قال: شامْمتُ أصحاب محمد ﷺ فوجدتُ علمهم انتهى

---

(١) **قال الهيثمى**: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع (٩/٣٦٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٣٨).

(٣) **مرسل**: أخرجه ابن عساكر، والحاكم فى المستدرك (٣/٣٣٧). أدحضوهم: أزالواهم.

إلى عمر، وعليٍّ، وعبد الله، ومعاذ، وأبى الدرداء، وزيد بن ثابت(١).

وعن يزيد بن معاوية، قال:

إن أبا الدرداء من العلماء الفقهاء، الذين يَشْفُون من الدَّاء.

وعن سعيد بن عبد العزيز، عن مسلم بن مِشكم: قال لى أبو الدرداء: اعدُدْ مَنْ فى مجلسنا. قال: فجاءوا ألفًا وستَّمائة ونَيِّفًا. فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صَلَّى الصبح، وانفتل وقرأ جزءًا؛ فَيُحْدِقُون به يسمعون ألفاظه. وكان ابنُ عامر مُقَدَّمًا فيهم(٢).

قلت: ودعوة إلى الله تعالى بغير هذا الجهد، وبغير هذه الهمة فمآلها الانحدار والبوار.. والله لا يقبض العلم انتزاعًا ولكن بقبض العلماء.

كلمات ومواعظ تكتب بماء الذهب

لأبى الدرداء رضى الله عنه مواعظ وكلمات تنقش على صفحات القلوب منها:

١ - **قوله:** «ما لى أرى علماءَكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون! تعلَّموا، فإن العالم والمتعلم شريكان فى الأجر».

٢ - **وقوله:** «ويل للذى لا يعلمُ مَرَّةً، وويل للذى يعلم ولا يعملُ سبعَ مرات».

٣ - **وقوله:** «لولا ثلاث ما أحببتُ البقاء ساعةً: ظمأ الهواجر، والسجودُ فى الليل، ومجالسةُ أقوام ينتقون جَيِّد الكلام، كما يُنْتقى أطايبُ الثمر».

٤ - **وقوله:** «اعبد الله كأنك تراه، وعدَّ نفسك فى الموتى، وإياك

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه ابن سعد (٢/٣٥١). وقوله: شامت: قاربت واختبرت.
(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات. هامش سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٦).

ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يغنيك خير من كثير يلهيك، وأن البَّر لا يَبْلى، وأن الإثم لا يُنْسى».

٥ - **وقوله:** «الحمد لله الذى جعل الأغنياء يتمنَّون أنهم مثلُنا عند الموت، ولا نتمنَّى أننا مثلهُم حينئذ. ما أنصفنا إخوانُنا الأغنياء: يُحِبُّوننا على الدِّين، ويعادوننا على الدنيا»[١].

٦ - **وقوله:** «ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم، ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل فى هَدْم عُمرك من يوم ولدتك أمُّك».

٨ - وكان إذا رأى جنازة قال: «اغدوا فإنا رائحون، ورُوحوا فإنا غادون، موعظة بليغة وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظًا، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حِلم له».

٩ - وكان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟

قال: أن يوضع فى كل وَاد مال».

١٠ - وكان يقول: «أدركتُ الناس وَرَقًا لا شَوْك فيه، فأصبحوا شوكًا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركون. قالوا: فكيف نصنع؟ قال:

تقرضهم من عِرْضك ليوم فقرك».

١١ - **وكان يقول أيضًا:** «ويل لكل جمَّاع فاغرٍ فاه[٢] كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل: لَو يستطيع لوصل الليل

---

(١) ما تقدم من مواعظ نقلناها من سير أعلام النبلاء. فى ترجمته رضى الله عنه.

(٢) أى: فاتح **فمه**.

بالنهار. ويله من حساب غليظ وعذاب شديد».

١٢ - وعنه قال: «إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك»(١).

ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه:

عن ابن جبير، عن أبيه، قال: لما فُتحت قبرص، مُرَّ بالسَّبْى على أبى الدرداء، فبكى، فقلت له: تبكى فى مثل هذا اليوم الذى أعَزَّ الله فيه الإسلام، وأهله؟

قال: يا جُبَير، بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذْ عصَوْا الله، فلقُوا ما ترى. ما أهون العبادَ على الله إذا عصوه(٢)

إن الإنحراف عن طريق الإسلام، والانحراف فى طريق المعاصى والشهوات سبب هلاك الأمم والشعوب: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

الرفيق الأعلى:

مرت الأيام والأعوام وأبو الدرداء يجاهد بسيفه ولسانه وما يملك .. حتى بلغ الكتاب أجله .. وعلى فراش الموت .. يُصدر آخر مواعظه قبل أن يضع قدمه على أول طريق الآخرة.

قالت أمُّ الدرداء: لَّما احتُضر أبو الدرداء، جعل يقول: «من يعملُ لمثل يومى هذا؟ من يعمل لمثل مضجعى هذا؟».

وعلى أرض دمشق .. صعدت روحه الطاهرة ملبية لنداء ربها .. تستقر

---

(١) ما تقدم من مواعظ نقلناها من «صفة الصفوة».
(٢) انظر: ابن عساكر (١/٣٨٩/١٣).

هناك «مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا»، وكان ذلك فى سنة ٣٢. رضى الله تعالى عنه.



١٦ - قتادة بن النعمان

الأمير المجاهد

من هو؟

إنه قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، أبو عُمر الأنصاريُّ البدريُّ، من نُجَباء الصحابة.

شهد العقبة مع السبعين. وكان من الرماة المذكورين، وشهد بدرًا وأُحُدًا فرُميت يومئذ عَيْنه فسالت. فغمزها رسول الله ﷺ بيده الشريفة، فَردَّها، فكانت أصحَّ عينيه.

عن عاصم بنُ عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده (قتادة بن النعمان):

أنه أصيبت عينه يوم [بدر][١] فسالت حدقتُه على وجنته[٢]، فأراد القوم أن يقطعوها، فقالوا: نأتى رسول الله ﷺ نستشيرُه، فجاء، فأخبره الخبر، فأدناهُ رسولُ الله ﷺ منه، فرفع حدقته حتى وضعها موضعها، ثم غَمَزَها براحته وقال: «اللهمَّ اكْسُهُ جمالاً» فمات، وما يدرى من لقيه أىَّ عينيه أُصيبت».

وفى رواية للطبرانى[٣]: أن النبى قال: «اللهم إن قتادة قد وقى نبيك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه وأحدّهما نَظَرًا» فكانت أحسن عينيه.

---

(١) وفى رواية للدارقطنى «يوم أحد» .. وفى رواية للبيهقى فى «دلائل النبوة» أنه أصيبت عينه يوم بدر، بنحو الرواية المذكورة. قال الأرنؤوط: رجاله ثقات. سير (٢/٣٣٢).

(٢) **وجنته:** خَدّه.

(٣) فيها ضعف.

وظل قتادة رضى الله عنه يجاهد مع المسلمين .. وكان على مقدمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما سار إلى الشام وكان من الرماة المعدودين.

وتوفى رضى الله عنه فى سنة ثلاث وعشرين بالمدينة، وصلى عليه عمر ابن الخطاب، ونزل يومئذ فى قبره.



١٧ – عامر بن فهيرة

الصحابى الذى دفنته الملائكة!!

قد يصل الإنسان بعبادته لله، وقربه من مولاه إلى مصافّ الملائِكة المقربين، وقد يُجهلُ فى الأرض، وَيُعْرف فى السماء .. إذا مرض عادته الملائكة .. وإذا مات شيعت جنازته، وقد تشارك فى غسله، وتكفينه. وأحيانًا تحمل نعشه، وقد تتولى دفنه!! ولم لا .. أليس لأولياء الله كرامات؟! بلى. ﴿**لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٤].

من عامر بن فهيرة؟

إنه مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، من المهاجرين الأولين، اشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم .. أسلم عامر .. وَعذّبه المشركون ليرجع عن دينه ولكنه استعصى على المحن، واستعذب العذاب فى سبيل الله تعالى .. وهاجر من مكة إلى المدينة.

وشهد بدرًا وأُحُدًا، واسْتُشْهد يوم بئر معونة، ولاستشهاده قصة: «بعث رسول الله ﷺ إلى بنى سليم نفرًا فيهم عامر بن فهيرة، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل فأدركوهم «ببئر معونة»، فقتلوهم، قال الزهرى: فبلغنى أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقْدروا عليه. قال: فَيَرَوْن أن الملائكة دفنته[١].

قال ابن إسحاق: حدثنى هشام بن عروة، عن أبيه أن عامر بن الطفيل

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٦).

كان يقول: مَنْ رجل مِنهم لَّما قُتل رأيتـهُ رُفِـع بـين السـماء والأرض، حتـى رأيت السماء دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة[1].

قال عروة بن الزبير: «يرون أن الملائكة دفنته». صفة الصفوة (١/٢٢٦).

قلت: والله إنها لمنقبة عظيمـة لهـذا الصحـابى أن يدفـن «بـأيدى سـفرة كرام بررة».



(١) **صحيح**: أخرجه البخارى فى كتاب «المغازى» (٧/٤٠٩٣/ فتح).

١٨ - بلال بن رباح
يُرَابِطُ فى سَبيلِ اللَّهِ حَتَّى المَوْت

من هو؟

هو بلال بن رباح مولى أبى بكر الصِّدِّيق، وهو مؤذنٌ رسول الله ﷺ من السابقين الأولين الذين عُذِّبوا فى الله، شهد بدرًا، وشهد له النبىُّ ﷺ، على التعيين بالجنَّة.

فضائله:

١ - عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الصبح: «حَدِّثْنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام، فإني قد سمعت الليلة خشفة نعليك بين يَدَىَّ فى الجنة» قال: ما عملت عملاً أَرْجى من أنِّى لم أتطهر طهورًا تامًّا فى ساعة من ليل ولا نهار إلاَّ صليتُ لربى ما كُتِبَ لى أنْ أُصَلِّى»(١).

٢ - وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بلال سابق الحبشة»(٢).

٣ - وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «أبو بكر سِّيُدنا وأعتق سِّيدنا - يعنى بلال»(٣).

٤ - وعن عمر رضى الله عنه أن أبا سفيان أتى سلمانَ وصهيب وبلال

(١) **صحيح:** متفق عليه. الخشفة: الصوت ليس بالشديد.
(٢) **حسن لشواهده:** أخرجه الحاكم (٣/٢٨٥). وقال الشيخ العدوى: حسن لشواهده. فضائل الصحابة (٣١).
(٣) **صحيح:** رواه البخارى.

فى نفر، فقالوا: والله ما أخذتْ سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبىَّ ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبْتَ رَبَّك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخَىَّ»[1].

٥ - وعن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «مثل بلال مثل النحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله»[2].

تحمله الأذى فى سبيل الله تعالى:

عن ابن مسعود، قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه: سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، رضى الله عنهم.

فأمَّا رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمَّا سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس؛ فما منهم من أحد إلا وقد آتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: «أَحَدٌ أَحَدٌ»[3]. وكان سيده أمية بن خلف، إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، يقلِّبه على الرمال الملتهبة ظهرًا لبطن، ويأمر بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموتَ أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعُزّى، فما يزيد بلال عن ترديد: أحد .. أحد ...

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم.

(٢) **إسناده حسن**: قال الهيثمى: رواه الطبرانى وإسناده حسن، برقم (١٥٦٣٩).

(٣) أخرجه الحاكم ٣/٢٨٤. وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبى «حياة الصحابة ١/٢٢٠».

قال ابن كثير: «ولما شُرع الأذان بالمدينة كان هو الذى يؤذن بين يدى رسول الله ﷺ وابن أم مكتوم يتناوبان. تارة هذا وتارة هذا، وكان بلال ندىَّ الصوت حسنهُ، فصيحًا، وما يروى «أن سين بلال عند الله شينًا» فليس له أصل. وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة. ولما تُوفِّى رسول الله ﷺ ترك الأذان ... ثم خرج إلى الشام مجاهدًا»(١).

نزول القرآن فيه:

عن سعد بن أبى وقاص، قال:

كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فلا يجترؤون علينا، وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخران، فأنزل الله: ﴿ **وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ الآيتين [الأنعام: ٥٢، ٥٣](٢).

الحنين إلى رسول الله ﷺ:

عن سعيد بن عبد العزيز وغيره: أن بلالاً لم يُؤذِّن لأحد بعد رسول الله ﷺ، وأراد الجهاد، فأراد أبو بكر منعه، فقال: إن كنت أعتقنى لله، فخلِّ سبيلى.

قال: فكان بالشام حتى قَدِمَ عُمَرُ بالجابية، فسأل المسلمون عمر أن يسأل لهم بلالاً يُؤذِّن لهم، فَسأله، فأذن يومًا، فلم يُر يومًا كان أكثر باكيًا من يومئذٍ، ذِكرًا منه للنبى ﷺ. قال الوليد: فنحن نرى أن أذان أهلِ الشام عن أذانه يومئذ(٣).

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/١٧٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤١٣، ٤٦) فى فضائل الصحابة.

(٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات لكنه منقطع. سير (١/٣٥٧). والوليد: هو الوليد بن مسلم.

وظل رضى الله عنه مرابطًا فى الشام إلى أن توفى فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة[١].

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتُضر بلال قال: غدًا نلقى الأحَبَّة محمدًا وحِزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه!.

نعم يا سيدى «وافرحاه» فالموت للمؤمن جِسْر يوصل الحبيب إلى الحبيب.



(١) رجح ذلك ابن كثير. البداية (١٧٩/٥).

١٩ - عبد الله بن عمرو بن حَرَام

يكلمه الله بغير حجاب !!!

إيه يا رجال .. عجيب هذا الذى نقرؤه .. يكلمه الله بغير حجاب!! ولكن سرعان ما يزول التعجب عندما نرتل قول الله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ إبراهيم: ١١].

من هذا الولى؟

إنه عبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصارى، أبو جابر، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا، واستشهد يوم أُحُد، وله فى ذلك قصة:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: لما حضر قتالُ أُحُد دعانى أبى من الليل فقال: إنى لا أرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقْتل من أصحاب رسول الله ﷺ وإنى والله! ما أَدَع أحدًا، يعنى، أعزّ علىَّ منك بعد نفس رسول الله ﷺ، وإن علىَّ دَيْنًا فاقض عنى دينى واستوص بأخواتك خيرًا، قال: فأصبحنا، فكان أول قتيل فدفنته مع آخر فى قبر، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فى قبر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أُذُنه»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله، قال: لما قُتل عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام، يوم أُحدٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «يا جابرُ! ألا أخبرُك ما قال اللَّهُ عز وجلَّ لأبيك؟» قلتُ! بلى، قال: «ما كَلَّم الله أحدًا إلاَّ مِن وراء حجاب، وكلَّم أباك كِفاحًا[(٢)]، فقال: يا عبدىَ تمنَّ علىَّ أُعطك، قال: يا ربِّ! تحيينى

(١) أخرجه الحاكم (٣/٢٠٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
(٢) **كفاحًا**: أى مواجهة، ليس بينهما حجاب ولا رسول، هذا بعد الموت أما قبله فلا.

فأُقتلُ فيك ثانيةً. قال: إنه سبق منى «أنهم إليها لا يُرْجعون» قال: يا ربِّ! فأبلغ مَن ورائى»(١)، فأنزل الله عز وجلَّ هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** ﴾ الآية كلَّها [آل عمران: ١٦٩].

وقال جابر: جيء بأبى يوم أُحُدٍ وقد مُثِّلَ به حتى وُضع بين يدى رسول الله ﷺ، وقد سُجِّى ثوبًا فذهبتُ أريد أن أكشف عنه، فنهانى قومى ثم ذهبتُ أكشف عنه، فنهانى قومى، فأمر رسول الله ﷺ فرُفع، فسمع صوت صائحةٍ، فقال: «من هذه؟» فقالوا: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، قال: «فلم؟ تبكى أو لا تبكى، فما زالت الملائكة تظلُّه بأجنحتها حتى رُفع»(٢).

ودفن الشهداء فى مصارعهم .. ولما خرج النبى ﷺ لدفن الشهداء قال: «زمِّلوهم بجراحهم، فأنا شهيد عليهم»(٣).

وأخرج ابن سعد (٣/٥٦٣) عن جابر رضى الله عنه قال: صرخ بنا إلى قتلانا يوم أُحد حين أجرى معاوية العين، أى عين الماء، فأخرجناهم، أى الشهداء، بعد أربعين سنة لينة أجسادهم تتثنى أطرافهم» وهذا يعنى أن الأرض لم تأكل أجسامهم!! رضى الله عنهم أجمعين.



(١) **حسن**: صحيح سنن ابن ماجه (٢٢٧٦). وحسَّنه الأرنؤوط. سير (١/٣٢٨).
(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.
(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن سعد (٣/٢/١٠٥).

٢٠ - عمرو بن الجموح

«لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» حديث شريف

من هو؟

هو: عمرو بن الجموح بن زيد ... الخزرجى الأنصارى. شهد أُحُدًا. وله من الولد: معاذ، ومعوّذ، وخلاَّد. شهدوا بَدْرًا. وقتل عمرو بن الجموح هو وابنه خلاَّد يوم أُحد.

كيف أسلم؟

عن عكرمة، قال: قدم مصعب بن عمير المدينة يُعلِّم الناس. فبعث إليه عمرو بن الجموح: ما هذا الذى جئتمونا؟ قالوا: إن شئت جئناك، فأسمعناك القرآن؟ قال: نعم. فقرأ صدرًا من سورة «يوسف».

فقال عمرو: إن لنا مؤامرة(١) فى قومنا. وكان سيد بنى سلمة. فخرجوا، ودخل على مناف(٢).

فقال: يا مناف! تعلم والله ما يريد القوم غيرك، فهل عندك من نكير؟ قال: فقلده السيف وخرج، فقام أهله فأخذوا السيف، فلما رجع، قال: أين السيف يا مناف؟ ويحك! إن العنز لتمنع اسْتها(٣)، والله ما أرى فى أبى جعار غدًا من خير.

ثم قال لهم: إنى ذاهب إلى مالى فاستوصوا بمناف خيرًا. فذهب،

---

(١) **المؤامرة:** المشاورة.
(٢) **مناف:** صنم كان يعبد قبل الإسلام.
(٣) **تمنع استها:** تحفظ عورتها.

فأخذوه فكسروه وربطوه مع كلب ميت وألقوه في بئر[1]، فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا، طهر الله بيوتنا من الرجس.

قال: والله إني أراكم قد أسأتم خلافتي في مناف. قالوا: هو ذاك، فانظر إليه في ذلك البئر. فأشرف فرآه. فبعث إلى قومه فجاءوا فقال: ألستم على ما أنا عليه.؟ قالوا: بلى، أنت سيدنا. قال: فأشهدكم أني قد آمنتُ بما أُنزل على محمد.

عن ابن المنكدر: أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني سَلَمة! من سيِّدكم؟» قالوا: الجدُّ بن قيس، وإنا لنبخله. قال: «وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»[2].

لأَدْخُلَنَّ الجنة !!

قال الواقدي: لم يشهد بدرًا، كان أعرج، ولما خرجوا يوم أُحد منعه بنوه، وقالوا: عَذَرك الله[3]. فأتى رسول الله ﷺ، يشكوهم. فقال: «لا عليكم أنْ لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة»[4].

وفي رواية: أن عمرو بن الجموح قال لبنيه: أنتم منعتموني الجنة يوم بدر. والله لئن بقيت، لأدخلنَّ الجنة!! فلما كان يومُ أحد، قال عمر: لم يكن لي هَمّ غيره، فطلبته، فإذا هو في الرعيل الأول[5].

اللهَّم لا تُردَّني!

قالت امرأته: كأني أنظر إليه قد أخذ درقته، أي وهو يتهيأ للخروج يوم أحد، وهو يقول: «اللهم لا تَرُدّني». فقتل هو وابنه خلاّد.

---

(١) كان أولاده قد سبقوه إلى الإسلام.

(٢) **رجاله ثقات**: لكنه مرسل. رواه أبو نعيم في الحلية (٣١٧/٧). والبخاري في الأدب المفرد.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿ولا على الأعرج حرج﴾ [النور: ٦١].

(٤) **رجاله ثقات**. ابن هشام (٩٠/٢).

(٥) **رجاله ثقات**: لكنه منقطع. انظر: هامش سير أعلام النبلاء (٢٥٥/١).

وركب عمرو بن الجموح جَمَله .. والسيف بيده .. ولسانه يلهج بالدعاء أن يمنّ الله عليه بالشهادة .. ولا يردّهُ خائبًا!!.

سُلَمَّ إلى السماء:

ولمَّا تراءَا الجمعان: «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ فى سبيل الله حتى أُقْتل، أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمر رسول الله ﷺ، فقال: «كأنّى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا فى قبر واحد(١).

وفى رواية: لما كان يوم أُحد قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» فقام وهو أعرج فقال: «والله لأقحزن(٢) عليها فى الجنة». فقاتل حتى قتل.

قال مالك: كفن هو وعبد الله بن عمرو بن حَرَام فى كفن واحد. ودفن رضى الله عنه فى أرض المعركة.

وفى أيام معاوية رضى الله عنه كان السيلُ قد خرَّب قبرهما، فحفر عنهما ليُغيَّرا من مكانهما، فوُجدا لم يتغيَّرا، كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدُهما قد جُرح، فوضع يده على جرحه، فدفن كذلك. فأُميطت يدُه عن جُرْحه، ثم أرسلت، فرجعت كما كانت. وكان بين يوم أُحد ويوم حُفِرَ عنهما ستٌّ وأربعون سنة(٣). وهكذا اتخذ الشهادة سُلّم إلى السماء رضى الله عنه.



(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد ٥/٢٩٩. وحسنه الحافظ فى الفتح (١٧٣/٣).
(٢) **أقحزن**: أى: لأَثِبَنَّ.
(٣) **صحيح**: أخرجه ابن سعد بأطول مما هنا. وقال الحافظ فى «الفتح» صحيح (١٧٣/٣).

٢١ - أبو دجانة
صاحب عصابة الموت!

من هو؟

إنه البطل الهمام، والأسد الضرغام: أبو دجانة، (سِماك بن خَرْشَة بن زيد السَّاعدى).

شهد بدرًا وأُحُدًا، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذٍ وبايعه على الموت، وقتل يوم اليمامة. وهو ممن شارك فى قتل مسيلمة الكذاب. وبطلنا هذا، يتميز بطريقة قتاليةٍ متفردة يتميز بها عن بقية الأصحاب. ففى ساحة القتال .. نراه قد اعتجر بعصابة حمراء شَدَّها على رأسه، شعارًا له بالشجاعة .. يتبختر فى مِشْيته .. كأنه يسخر من الباطل ويستخف بأهله .. شاهرًا سيفه كأنه شعلة من نار .. وكلما قطف رأسًا مشركة يتمايل يمينًا وشمالاً .. ويزأر كالأسد «أنا أبو دجانة» يقول النبى ﷺ عن مِشْية أبى دجانة: «إنها لمشية يُبغضها الله ورسولُه إلا فى مثل هذا الموطن»[١].

أبو دجانة يحارب بسيف الرسول ﷺ.

كان سيف أبى دجانة غير ذميم.

عن أنس: «أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال: «من يأخذ منى هذا»؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة، أبو دجانة: أنا آخذه

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع (١٠٩/٦). ونسبه إلى الطبرانى، وقال: وفيه من لم أعرفه.

بحقه. قال: فأخذه، ففلق به هام المشركين»[١].

ومعنى: أحجم: تأخر وكف. وفلق هام المشركين: شق رءوسهم.

الأدب مع سيف الرسول !!

عن الزبير بن العوام، قال: عرض رسول الله ﷺ سيفًا يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام أبو دجانة: سماك بن خرشة رضى الله عنه فقال: يا رسول الله! أنا آخذه بحقه، فما حقه، قال: فأعطاه إياه. فخرج واتبعته؛ فجعل لا يمرّ بشيء إلا أفراه وهتكه، حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهم هند[٢] وهى تقول:

نحن بنات طارقْ ... نمشى على النمارق
والمسك فى المفارقْ ... إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

قال: فَحَمَلْتُ عليها[٣]، فنادت بالصحراء، فلم يجبها أحد، فانْصَرَفْتُ عنها. فقلت له: كل صنيعك رأيته، فأعجبنى غير أنك لم تقتل المرأة.

قال: فإنها نادت فلم يُجبْها أحد، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها[٤].

قلت: هذه والله هى الشهامة فى أعلى عُلوها .. فماذا يقول دجاجلة العصر الذين أساءوا بالإسلام الظن، وأين هذه المبادئ عند أعداء الله الذين استباحوا الحرمات .. وهتكوا أعراض المسلمات .. وبقروا بطون الحُبَالى؟! وإلى الله المشتكى.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٠).
(٢) قبل إسلامها.
(٣) **حملت عليها**: أراد قتلها.
(٤) **رجاله ثقات**: أخرجه البزار. المجمع (٦/١٠٩).

ومرت أيام المجاهد .. وهو لا يدخر جهدًا .. فى نصرة الإسلام وإعزاز أهله .. وفى كل غزوة يبحث عن الشهادة .. فغاية مناه .. أن يكتب عند الله فى عداد الشهداء ..وهذا كل ما يتمناه.

ودارت عجلة الزمن .. وجاءت موقعة اليمامة .. وتحصن أصحاب مسيلمة فى حديقتهم «حديقة الموت» .. وكان البطل .. يفكر وهو فى أرض المعركة كيف نقتحم هذه الحديقة لنخرج منها أهلها .. ونذيقهم العذاب؟ وفى فدائية عجيبة اقتحم جماعة من الصحابة الحديقة .. وكان بطلنا منهم وانكسرت رجله .. ونهض كالأسد الهصور رافعًا سيفه المبارك.

يقاتل على قدم واحدة!! يا للعجب .. وينظر فيرى مسيلمة الكذاب كأنه جمل أورق .. وتقدم وَحْشى بن حرب، قاتل حمزة، أتذكرون، فرماه بحربته فأصابته وخرجت من الجانب الآخر، وفى لمح البصر انطلق أبو دجانة تجاه مسيلمة فضربه بالسيف، فهوى الطاغية على الأرض يتشحط فى دمه .. ليلقى جزاء كذبه على الله وعلى الناس.

كان المسلمون قد دخلوا الحديقة كالإعصار المدمر .. فقتلوا من جيش مسيلمة ما يقرب من عشرة آلاف ... وسقط من المسلمين مئات قيل «ستمائة» كان من بينهم «أبو دجانة» رضى الله عنه[١].

وكأنى أراه على أرض المعركة ينام قرير العين .. ولم لا؟! أليس من الأحياء الذين هم عند ربهم يرزقون.



(١) انظر ترجمته فى: البداية (٣١/٥، ٤٤). سير أعلام النبلاء (٢٤٣/١، ٢٤٦).

٢٢ – مصعب بن عمير
الداعية المُؤثِّر والمُجاهِد الصَّابر

الدعوة إلى الله تعالى ليست مواعظ تلقى، ولا عبارات تنمق وفقط .. ولكنها منهج حياة للداعية .. تستقر فى الوجدان ويظهر أثرها على الجوارح والأبدان .. والداعية الربانى .. كله لله رب العالمين لا شريك له.

ومصعب بن عمير واحد من هذا الطراز الفريد.

فمن هو؟

إنه مصعب بن عمير بن عبد مناف .. السيد الشهيد السابق البدرىُّ القرشىُّ. دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكتم إسلامه.

وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سِرًّا، فلما علموا به حبسوه، فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى، ثم خرج فى الهجرة الثانية. وكان من أنعم الناس عيشًا قبل إسلامه، فلما أسلم، زهد فى الدنيا فتحسَّف جلدُه تحسُّف الحية[1].

عن على بن أبى طالب، قال: «جئت المسجد، فطلع علينا مصعبُ بن عمير فى بُرْدة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله ﷺ، ذكر ما كان فيه من النعيم، ورأى حاله التى هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثم قال: «أنتم اليوم خير، أم إذا غُدى أحدكم بجفنةٍ من خبز ولحم؟» فقلنا: نحن يومئذٍ خير، نُكفى المؤنة، ونتفرغ للعبادة. فقال:

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٠٥).

«بل أنتم اليوم خير، منكم يومئذٍ»(١).

الداعية المؤثر:

بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويقرئهم القرآن، وكان يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم، فأذن له، فجمع بهم في دار «بني خيثمة».

ثم قدم على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة فهو أول من قدمها.

وعن ابن شهاب، قال: «لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام سِرًّا وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك، أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فليدْع الناس بكتاب الله، فإنه قمن أن يتبُع.

فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عَمير، فلم يزل يدعو آمنًا ويهدي الله تعالى على يده، حتى قَلَّ دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم.

فأسلم عمرو بن الجموح(٢)، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة. فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى «المقرئ».

المجاهد الصابر:

حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون، ثبت به مصعب، فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٨). وقال: حديث حسن غريب.

(٢) تقدمت ترجمته.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأخذ اللواء باليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

قال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قتل مصعب وأخذ اللواء مَلَكٌ في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: «تقدم يا مصعب».

فالتفت إليه الملك وقال: «لست بمصعب» فعرف النبي ﷺ أنه مَلَك أُيِّدَ به !![1].

وفي ابن هشام: لما قُتِل مصعب، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، ورجالاً من المسلمين.

وعن عبيد بن عمير، قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أُحد مَرَّ على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية.

وعن خباب، قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله عز وجل، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد، فلم نجد له شيئًا نكفنه فيه إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه. فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه، ونجعل على رأسه إذخِرًا. ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِلُها[2].



(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٠٦).
(٢) **صحيح**: متفق عليه. والإذخر: نبات طيب الرائحة.

٢٣ - جعفر بن أبى طالب
يطير مع الملائكة فى السماء!!

ضيفنا على هذه الصفحات هو: السيد الشهيد، الكبير الشأن، عَلَم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ: جعفر بن أبى طالب .. أخو على بن أبى طالب، وهو أسن من على بعشر سنين.

هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثرَ أخذها، فأقام بالمدينة أشهرًا، ثم أمَّره رسول الله ﷺ على جيش غزوة مؤتة بناحية الكَرَك، فاستشهد. وقد سُرَّ رسول الله ﷺ كثيرًا بقدومه، وحَزِنَ والله لوفاته.

فضائله:

١ - عن البراء، قال: إن رسول الله ﷺ قال لجعفر: «أشْبَهتَ خَلْقِى وَخُلُقِى»[(١)]

٢ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: «ما احتذى النِّعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ، أفضل من جعفر بن أبى طالب»[(٢)] يعنى فى الجود والكرم.

لقاؤه مع النجاشى على أرض الحبشة:

عن أم سلمة، قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفُتِنوا، وأَروْا ما يصيبهم من البلاء، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٢٦٩٨) فى الصلح.
(٢) **إسناده جيد**: أخرجه أحمد، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب.

دفع ذلك عنهم، وكان هو فى مَنَعَةٍ من قومه وعَمِّه، لا يصل إليه شىء مما يكره مما ينالُ أصحابه. فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة مَلِكًا لا يُظْلَمُ أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا» فخرجنا إليه أرسالاً، حتى اجتمعنا فنزلنا بخير دار إلى خير جَار، وأمنَّا على ديننا»[(١)].

وفى رواية: أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاوَرْنا فيها خير جار «النجاشّى»، أَمِنَّا على ديننا، وعبْدنا الله تعالى، لا نُؤْذَىَ، ولا نَسْمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشىّ فينا رجلين منهم جَلْدين، وأن يُهْدوا للنجاشىِّ هَدَايا مما يُسْتطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم[(٢)]، فَحَملوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بِطرِيقًا إلا أهْدَوْا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادْفعَا إلى كل بطْريق هديته قبل أن تكلما النجاشىّ فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشىِّ هَدايَاهَ، ثم سَلاَه أن يُسلِّمهم إليكما قبل أن يُكلّمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشىِّ، ونحن عنده بخير دار، وعند خَيْر جار، فلم يبق من بطارقته بطريق، إلا دَفَعَا إليه هديته قبل أن يُكلّما النجاشىّ، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضَوَىَ[(٣)] إلى بلد الملك مِنَّا غِلْمَانٌ، سُفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مُبْتَدَع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلّما الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يُسلِمَهُم إلينا ولا يكلّمهم، فإن قومهم أَعْلَى بهم عَيْنًا[(٤)]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدَّما هداياهما

(١) **إسناده صحيح**: ابن هشام (١/٣٣٤). أبو نعيم فى الحلية (١/١١٥).
(٢) الأدم: الجلود وهو اسم جمع.
(٣) ضوى: لجأ وأتى ليلاً.
(٤) أعلى بهم عينًا: أى أبصر بهم.

إلى النجاشيّ، فقبلها منهما، ثم كلّماه فقالا له:

أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منّا غِلْمَان سُفْهاء، فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دينك، وجاء بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم مِنْ آبائهم وأعمامهم وعشائِرهم لتَرُدَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عَينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص(١) من أن يسمع كلامهم النجاشىُّ. قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عَيْنا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسْلِمهم إليهما، فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضِب النجاشىّ، ثم قال: لاها الله، إذًا لا أسلمهم إليهما ولا يُكاد قوم جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على مَنْ سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم.

فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضهُم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما عَلِمْنا، وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ كائنًا فى ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشىُّ أساقِفته(٢)، فنشروا مصاحفهم حوله.

جعفر يعرض الإسلام:

سألهم النجاشى، فقال لهم: ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومكم،

(١) كانت هذه القصة قبل إسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٢) الأساقفة: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

ولم تدخلوا به فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذى كلَّمه جعفرُ بن أبى طالب [رضوان الله عليه].

فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهلَ جاهلية، نعبدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونُسِىءُ الجوار، ويأكل القوىّ منا الضعيف، فكنا على ذاك حتى بعث الله إلينا رسولاً مِنَّا، نعرف نسبهُ وصِدقه وأمانته وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحَده ونعبدَه، ونخلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرَّحم، وحُسْن الجوار، والكفّ عن المحارم، والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصَّدقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحَرَّمنا ما حَرَّم علينا، وأحْللنا ما أحلَّ لنا، فَعَدَا علينا قومُنا، فَعذَّبونا وافْتتنونا على ديننا؛ ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا فى جوارك، ورَجَوْنا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشىُ: هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟

قالت: قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشى: فاقرأه علىَّ، قالت: فقرأ عليه صدرًا من ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١].

قالت: فبكى والله النجاشىُّ حتى اخضلت لحيتُه، وبَكتْ أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال [لهم] النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا

أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غدًا بما أستأصلُ به خَضْراءَهم(١).

قالت: فقال له عبد الله بن أبى ربيعة، وكان أتْقَى الرَّجُلَيْن: لا تفعل، فإن لهم أرْحامًا، وإنْ كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ.

قالت: ثم غدا عليه [من] الغد، فقال [له]: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأَرسِل إليهم، فسلهم عَمّا يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلُها قط. فاجتمع القومُ، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟:

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيُّنا، كائنًا فى ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا ﷺ، [يقول]: هو عبد الله ورسولُه ورُوحُه وكلمتهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عَدَا عيسى ابنُ مريم ما قلت هذا العود، قالت: فَتَناخَرَت(٢) بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيوم

(١) خضراءهم: أى شجرتهم التى تفرعوا منها.
(٢) تناخرت: أى تكلمت، وكأنه كلام من غضب ونفور.

بأرضى، والشيوم: الآمنون، مَنْ سَبّكم غَرِم، ثم قال: من سَبَّكْم غَرِم، ثم قال: من سَبّكم غَرِم، ما أحبّ أن لى دَبْرًا من ذهب، وأنى آذيت رجلاً منكم.

قال ابن هشام: [ويقال دِبْرًا من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم، والدبر (بلسان الحبشة): الجبل]، ردُّوا عليهما هَداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ اللَّه منى الرشْوة حين ردّ علىَّ مُلْكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فِيَّ فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجا من عنده مقبُوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ... [وفى نهاية الرواية] «فكنا عنده فى خير مَنْزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة»(١) ا.هـ.

قلت: وهكذا يجب أن يكون الداعية .. يجيد عرض الإسلام .. ويراعى الأدب فى الحوار .. وما أحوج الإسلام اليوم إلى دعاة من هذا النوع المبارك، «فالإسلام قضية عادلة، بيد أنها - للأسف - وقعت بين أيدى محامين فاشلين..!! وكثيرًا ما أستمع لمتحدثين عن الإسلام، فأتمنى لو أنهم سكتوا، فلم ينبسوا بحرف، أغلبهم لا يفهم الدين كما تَنَزَّل من عند الله، والنزر اليسير الذى يفهمه لا يحسن الإبانة عنه بأسلوب مقبول..!!

وذاك كله فى أيام تتزَّين فيها المبادئُ التافهة، وتعرض نفسها على الناس فى تزاويق ماكرة، كما تتوارى الشمطاء وراء حجب من الأصباغ والملابس والدلال ....!!

والناس بطبيعتهم أعداء ما جهلوا ...

فانظر أى تقصير خطير يرتكبه المسلمون إذا لم يشرحوا دينهم شرحًا

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد فى المسند (١/٢٠٢/١٧٤٠). بتحقيق الشيخ أحمد شاكر. وقد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

دقيقًا منصفًا، لا تزيُّد فيه ولا انتقاص؟ شرحًا يعتمد على تجلية الحق وحده..؟

إن الأجيال الجديدة فقيرة إلى معرفة الإسلام بلغةٍ طيِّعةٍ ودلالة قريبة .. تملأ الفراغ النفسى الملحوظ، وتدحض الشبهات التى اختلقها سماسرة الإلحاد والتحلل، بعد زحف الاستعمار الأخير على بلادنا .. ومن حق الإسلام على رجاله أن يواجهوا الدنيا بما لديهم من تراث خالد .. نعم، فلدينا كتاب لا تبلى جدَّته ولا تفنى ثَرْوُتَه .. ولدينا نبوة مُلْهِمَة السيرة، نَقَّية السَّنن»[١].

عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة وتأخر سيدنا جعفر إلى عام «فتح خيبر» وفرح النبى ﷺ بقدومه.

عن الشعبى، قال: لما رجع رسولُ الله ﷺ من خيبر، تلقاه جعفر، فالتزمه رسول الله ﷺ، وقبّل بَيْن عينيه، وقال:

«ما أدرى بأيِّهما أنا أفرح: بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر»[٢].

الشهادة فى سبيل الله تعالى:

خرج جعفر رضى الله عنه أميرًا فى غزوة «مؤتة» لملاقاة الروم.

عن أبى قتادة، قال: «بعث رسول الله ﷺ، جيش الأمراء «وهو جيش مؤتة»، وقال: «عليكم زيد، أى زيد بن حارثة، فإن أصيب، فجعفر، أى ابن أبى طالب، فإن أصيب جعفر، فابْنُ رَوَاَحة»، وهو عبد الله بن رواحة، فوثب جعفر، وقال: بأبى أنت وأمِّى! ما كنت أرهب أن تستعمل زيدًا علىَّ. قال: امضوا، فإنك لا تدرى أىُّ ذلك خير، فانطلق الجيش، فلبثوا ما

(١) هذا ديننا. للشيخ محمد الغزالى (٤، ٥).

(٢) **صحيح مرسل**: أخرجه الحاكم (٢١١/٣). وقال: إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلاً. وقال الذهبى: وهو الصواب.

شاء الله. ثم إن رسول الله، ﷺ، صعد المنبر، وأمر أن ينادى: الصلاة جامعة. قال ﷺ: «ألا أخبركم عن جيشكم، إنهم لقوا العدو، فأصيب زيد شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشدَّ على الناس حتى قُتل، ثم أخذه ابنُ رواحة، فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا، ثم أخذ اللواء خالد، ولم يكن من الأمراء، هو أَمَّر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه وقال: «اللهم هو سيف من سيوفك فانْصُرْه»، فيومئذٍ سُمِّى سيف الله، ثم قال: «انفروا فامدُّوا إخوانكم، ولا يتخلفنَّ أحَدٌ». فنفر الناس فى حَرٍّ شديد[١].

بطولته:

لقد أبلى رضى الله عنه فى هذه الموقعة بلاءً حسنًا.

عن ابن عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالس وأسماءُ بنت عميس[٢] قريبة إذ قال: «يا أسماء! هذا جعفر مع جبريل وميكائيلَ مَرَّ، فأخبرنى أنه لقى المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم، فَرُدِّى عليه السلام، وقال: إنه لقى المشركين، فأصابه فى مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذ اللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم أخذ باليسرى فقطعت. قال: فعوضنى الله من يدى جناحين أطيرُ بهما مع جبريل وميكائيل فى الجنة آكل من ثمارها»[٣].

يطير مع الملائكة!!.

عن ابن عمر، قال: جمعت جعفرًا على صدرى يوم مؤْتة، فوجدتُ فى مقدَّم جسده بعضًا وأربعين من بين ضربة وطعنة.

وفى رواية للبخارى (٤٢٦٠)، عن نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها

(١) **إسناده صحيح:** أحمد (٥/٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١). الأرنؤوط هامش سير (١/٢٠٩).
(٢) زوج جعفر رضى الله عنه.
(٣) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/٢٧٢، ٢٧٣). ونسبه إلى الطبرانى وقال: وفيه سعدان بن الوليد لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

شىء، فى دُبره، يعنى ظهره.

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبى طالب مَلَكًا فى الجنة، مضرَّجَةً قوادمه بالدِّماء، يطير فى الجنة»(١).

وعن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «هنيئًا يا عبد الله بن جعفر أبوك يطيرُ مع الملائكة فى السماء»(٢).

الرسول يبكى!!

عن أسماء قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ، فدعا بنى جعفر، فرأيته شمَّهم، وذرفتْ عيناه. فقلت: يا رسول الله! أَبَلَغَكَ عن جعفر شىء، قال: «نعم، قُتل اليوم» فقمنا نبكى، ورجع، فقال: «اصْنَعوا لآلِ جعفر طعامًا، فقد شُغِلُوا عن أنفسِهم» رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.



(١) **إسناده جيد:** رواه الحاكم وصححه، وقال الحافظ فى الفتح (٧/٧٦) من طريق أخرى: إسناده جيد.

(٢) رواه الطبرانى وإسناده حسن. الهيثمى المجمع برقم (١٥٤٩٨).

٢٤ – أبو ذر الغفارى

المجاهد الزاهد

فرض الله على العلماء أن يقولوا الحق، ولو كان مُرًّا، وأن لا يخشوا فى الله لومة لائم..

وطلاب الحق لابد أن يحيوا معه، وإلا فبطن الأرض خير لهم من ظهرها.

وأبو ذر، رضى الله عنه، من هذا النوع الفريد.

من هو؟

هو: أبو ذر الغفارى «جُنْدُب بن جُنادةَ الغفارى» وقيل: «برير بن جنادة» فعن زيد بن أسلم: أن النبى ﷺ قال لأبى ذر: «يا بَريرُ»[١].

وهو أحد السابقين الأولين، ومن نجباء أصحاب النبى ﷺ.

وكان رضى الله عنه يقول:

«لقد رأيتنى ربع الإسلام لم يسلم قبلى إلا النبى ﷺ وأبو بكر وبلال رضى الله عنهما»[٢].

فضائله:

١ – عن أبى الدرداء، أن رسول اله ﷺ قال: «ما أظلتِ الخضراءُ ولا

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى حديث اختصرناه، وهو مرسل ورجاله ثقات. المجمع (١٥٨١٢).

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى بإسنادين وأحدهما متصل الإسناد ورجاله ثقات (١٥٨١٣).

أقلَّت الغَبْراءُ من ذى لَهْجَةٍ أصدق من أبى ذر»(١).

٢ - وقال ﷺ: «من أحَبَّ أن ينظر إلى المسيحِ عيسى ابن مريم، إلى بِـرِّه وصِدْقِه وجِدِّه، فلينظر إلى أبى ذر»(٢).

بداية إسلامه:

قال أبو جمرة: قال لنا ابنُ عباس: ألا أخبركُم بإسلام أبى ذر؟. قلنا: بلى. قال: قال أبو ذر: بلغنى أن رجلاً بمكة قد خرج، يزعمُ أنه نبىّ، فأرسلتُ أخى ليكلّمة، فقلتُ: انطلق إلى هذا الرجل، فكلِّمْهُ. فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلتُ: ما عندك؟ قال: والله، لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر. قلتُ: لم تشفنى.

فأخذتُ جرابًا وعصا، ثم أقبلتُ إلى مكة، فجعلتُ لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه، وأشربُ من ماءِ زمزم، وأكونُ فى المسجد. فمرَّ علىٌّ بن أبى طالبٍ، فقال: هذا رجلٌ غريب؟ قلتُ: نعم. قال: انطلق إلى المنزل. فانطلقتُ معه، لا أسألهُ عن شىء، ولا يُخبرنى!

فلما أصبح الغدُ، جئت إلى المسجد لا أسأل عنه، وليس أحدٌ يُخبرنى عنه بشىء. فمَرَّ بى علىٌّ، فقال: أما آن للرجل أن يعود؟ قلتُ: لا. قال: ما أمْرُك، وما أقدمك؟ قلت: إن كتمت علىَّ أخبرتُك؟ قال: أَفْعَل. قلت: قد بلغنا أنه قد خرج نبىّ. قال: أَمَا قد رَشَدْتَ! هذا وجهى إليه، فاتَّبِعْنى وادْخُل حيثُ أدخل، فإنى إن رأيتُ أحدًا أخافه عليك، قمتُ إلى الحائط كأنى أصلحُ نَعْلى! وامض أنت.

فمضى، ومضيتُ معه، فدخلنا على النبىِّ ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، اعرضْ علىَّ الإسلام. فعرض علىَّ، فأسلمتُ مكانى. فقال لى: يا أبا ذر،

---

(١) حديث قوى شواهده: أخرجه الترمذى وغيره. الغبراء: الأرض. الخضراء: السماء.
(٢) قال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله وثقوا، وفى بعضهم خلاف. المجمع (١٥٨١٧).

أكتم هذا الأمر، وارْجع إلى قومك! فإذا بلغك ظهورنا، فأقبل.

فقلت: والذى بعثك بالحق، لأصرُخَنَّ بها بين أظهرهم.

فجاء إلى المسجد وقريش، فيه، فقال: يا معشر قريش، إنى أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ.

فقاموا، فضُرِبْتُ لأموت! فأدركنى العباسُ، فأكبَّ علىَّ، وقال: ويلكم تقتلون رجلاً من «غِفَار» ومتجركم وممركم على غِفار! فانطلقوا عَنىِّ.

فلما أصبحتُ، رجعتُ، فقلتُ مثلَ ما قُلْتُ بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ! فَصُنِعَ بى كذلك، وأدركنى العباسُ، فأكبَّ علىَّ. فهذا أول إسلام أبى ذر»(١).

قال الذهبى، رحمه الله: كان، رضى الله عنه، يفتى فى خلافة أبى بكر، وعمر، وعثمان.

وكان رأسًا فى الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قوَّالاً بالحق، لا تأخذُه فى الله لومةُ لائم، على حِدَّة فيه.

وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر رضى الله عنهما(٢).

وقال الواقدى: كان أبو ذر حامل راية غفار يوم حُنَيْن. «ولَّما أسلم رضى الله عنه رجع إلى بلاده فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق. ثم قدم المدينة»(٣).

من مواعظه:

عن سفيان الثورى، قال: «قام أبو ذر الغفارى عند الكعبة، فقال: يا أيها

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٦/٤٠٠). مسلم (٢٤٧٤) فى فضائل الصحابة.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٤٦، ٤٧، ٥٦).
(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٢٩٨).

الناس أنا جندب الغفارى، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلّغه؟ قالوا: بلى.

قال: فإن سفر طريق القيامة أبْعدُ ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم.

قالوا: وما يُصلحنا، قال: حُجُّوا حجةً لعظائم الأمور، وصوموا يومًا شديدًا حرُّه لطول النُّشور، وصلُّوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور، وكلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم. تصدَّق بمالك لعلك تنجو من عسيرها. اجعل الدنيا مجلسين مجلسًا فى طلب الحلال ومجلسًا فى طلب الآخرة. الثالث يضرّك ولا ينفعك، لا ترده.

اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حِلِّه، ودرهمًا تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك، لا ترده.

ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدًا[١].

الزاهد:

عن عبد الله الصامتَ، قال: دخلتُ مع أبى ذر على عثمان، فلمَّا دخل، حَسَر عن رأسه، وقال: والله، ما أنا منهم يا أمير المؤمنين، يُريد الخوارج[٢].

قال ابنُ شَوذب: سيماهم الحَلْق، قال له عثمانُ: صدقت يا أبا ذر! إنما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة. قال: لا حاجة لى فى ذلك، ائذنْ لى إلى «الرَّبَذَة». قال: نعم، ونأمر لك بنَعَم الصدقة، تغدو عليك وتروح. قال: لا

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٣٠٢).

(٢) كان هناك بعض الخلاف فى وجهات النظر بين أبى ذر وعثمان رضى الله عنهما. راجع ترجمة عثمان.

حاجة لى فى ذلك، يكفى أبا ذر صريمته[١]. فلما خرج، قال: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعْذِمُوها، أى عضوا عليها، ودعونا وربنا».

قلت: وفى هذه الرواية رَدّ على من زعم أن عثمان رضى الله عنه هو الذى أمر بنفى أبى ذر رضى الله عنه.

فطنة الداعية:

عن العوام بن حَوْشب، قال: حدثنى رجلٌ عن شيخين من بنى ثعلبة، قالا: نزلنا الرَّبَذَة، فمرّ بنا شيخ، أشعث أبيضُ الرأس واللِحْية، فقالوا: هذا من أصحاب رسول الله ﷺ. فاستأذنّاه بأن نَغْسلَ رأسَه فأذن لنا، واستأنس بنا.

فبينما نحنُ كذلك إذ أتاه نفرٌ من أهل العراق، حسبتُه قال: من أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا ذر، فعل بك هذا الرجلُ وفعل[٢]! فهل أنت ناصب لك رايةً فنكملُك برجال ما شئت؟.

فقال: يا أهل الإسلام، لا تَعْرضوا عليَّ ذاكم ولا تُذلوا السلطان؛ فإنه من أذلّ السلطانَ، فلا توبة له، والله لو صلبنى على أطول خشبة أو جَبَلٍ، لسمعتُ وصبرتُ ورأيتُ أن ذلك خَيْرٌ لى»[٣].

وهكذا يجب على الداعية أن يكون فطنًا للمؤامرات التى تحاك من حوله وأن يكون حكيمًا فى تصرفاته .. وأن يعلم أن هناك من يتربص بأمته الدوائر. وعاش أبو ذر رضى الله عنه عازفًا عن الدنيا .. راغبًا فى الآخرة.. كارهًا لجمع المال واكتنازه. وظل بالربذة حتى وافته المنية ليلحق بالرَّكْبِ الأبرار.

(١) الصريمة: القطيع من الإبل والغنم.

(٢) يقصدون عثمان بن عفان رضى الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٦٥). وفيه جهالة الرجل والشيخين من بنى ثعلبة، وباقى رجاله ثقات. هامش سير أعلام النبلاء (٢/٧٢).

ذِكر وفاته رضى الله عنه:

عن أمِّ ذر، قالت: «لما حضر أبا ذر الوفاةُ بكيت. قال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يَدان لى بنعشك، وليس معنا ثوب يسعُك كفنًا، ولا لك!!!. فقال: لا تبكى وأَبشرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمْين، ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فَيَريان النار أبدًا»(١).

وإنى سمعت رسول الله ﷺ ليقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»(٢). وليس من أولئك النفر أحِد إلا وقد مات فى قرية أو جماعة وإنى أنا الذى أموت بالفلاة، والله ما كذبتُ ولا كُذبت، فأبصرى الطريق.

قالت: فقلت: أنَّى وقد ذهب الحاجّ وتقطعت الطرق؟.

فقال: انظرى. فكنت أشتد إلى الكثيب، فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرّضه.

قالت: فبينما أنا كذلك إذ أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرُّخْم. فألحت بهم، فأسرعوا إلىَّ، ووضعوا السياط فى نحورها يستبقون إلىّ، فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين تكفنونه، يموت. قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم.

قالت: «ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فسلموا عليه فرحب بهم ...» ثم غَسّلوه وكفنوه وصَلُّوا عليه ودفنوه، وقيل: كان فيهم ابن مسعود.

قال ابن كثير: يصف وفاة أبى ذر رضى الله عنه: «ثم نزل بالرّبذة فأقام

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم والترمذى.

(٢) رواه أحمد فى المسند.

بها حتى مات فى ذى الحجة من هذه السَّنة[1]، وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق فى جماعة من أصحابه، فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به، وقيل قدموا بعد وفاته، فولوا غسله ودفنه.

وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله»[2].



(١) سنة ٣٢.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٤٨).

٢٥ – عمير بن أبى وقاص

الغلام الشهيد

عمير بن أبى وقاص، أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه.

عن سعد، قال: رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخى؟

فقال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى، فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة.

قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: «ارْجع»، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ.

قال سعد: وكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر، وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ[١].

هكذا رَبَّى الإسلام أهله، شبابًا وشيبًا .. فهل نسترد هذا المجد التليد؟! «إن الجيل الصاعد المتطلع إلى المجد يتطلب إعدادًا صالحًا متدرجًا متينًا ليستطيع سَدّ الثغرات وحمل الأعباء التى وضعها القدر على كاهله الفتى. فلابد لنا من إنارة جوانب الإيمان الواعى فى نفسه؛ لأن العقيدة السديدة هى حجر الزاوية فى كل عمل مثمر بَنَّاء.

والدعوات التى تحاول خلخلة الدين القيِّم فى نفوس الناشئة دعوات استعمارية مدسوسة هَدَّامة.

إن الإسلام اليوم مظلوم فى حياتنا الخاصة والعامة يكاد يضيع بين

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزى (١٤١/٣). صفة الصفوة (٢٠٧/١).

المتظاهرين باعتناقه البعيدين عن حقيقته، وبين المتنكرين له عن جهل أو غرض»[١].

أرأيت - أخي القارئ - كيف ربىَّ الإسلام أتباعه؟!

فكن على طريق القوم فإن أمير القوم يرعى القافلة .. علك تسمع صوت حاديهم:

مَلَكْنا هذه الدُّنيا القُرونا   وأخضَعَهَا جدودٌ خالدونا
وسطَّرْنا صحائِفَ من ضياء   فما نَسِيَ الزَّمانُ ولا نَسِينا
وكُنَّا حين يأخذنا ولىٌّ   بطغيان نَدُوسُ له الجَبينا
تفيض قلوبنا بالهدى بأسًّا   فما نُغْضى عن الظّلم الجُفونا
بَنينا حُقْبَةً فى الأرض مُلْكًا   يُدعِّمه شباب طَامِحونا
شبابٌ ذَلَّلوا سُبُلَ المعالى   وما عَرَفوا سوى الإسلام دينا
تَعَهدهُم فأنْبتَهم نباتًا   كريمًا طابَ فى الدنيا غُصُونا
إذا شهدوا الوغى كانوا كُمَاةً   يَدُكُّون المَعَاقِد والحُصونا
شبابٌ لم تَحَطمْهُ الليالى   وَلَم يُسْلمْ إلى الخَصْم العَرينا
وإن جَنَّ المَسَاءُ فلا تراهم   من الإشفاق إلا ساجدينا
كذلك أَخْرَجَ الإسلامُ قومى   شَبَابًا مُخْلِصًا حُرًّا أمِينَا
وعَلَّمه الكرامة كيف تُبْنَى   فيأبى أن يُقَيَّدَ أو يَهُونا
وما فَتِئَ الزمانُ يَدوُر حَتَّى   مضى بالمَجْدِ قَوْمٌ آخرونا
وأصبح لا يُرَى فى الرَّكْب قومى   وقد عاشوا أئمَّتَهُ سِنينا
وآلمنى وآلَمَ كُلَّ حُرٍّ   سؤالُ الدَّهر أين المسلمونا
ترى هل يَرْجع الماضى فإنى   أَذُوبُ لذلك الماضى حَنِينا
دعونى من أَمَانٍ كَاذِبَاتٍ   فَلَمْ أَجِدِ المُنَى ألاَّ ظُنونا
وهَاتُوا لى من الإيمان نورًا   وقوُّوا بَيْن جنبىَّ اليَقينا

(١) معركة المصحف فى العالم الإسلامى للشيخ محمد الغزالى صـ ٥٠.

أَمُـدُّ يـدى فأَنْتَـزِعُ الرَّواســـى وأَبْنـى المَجْدَ مؤْتلفـًا مَكِينـا[٢]

***

(٢) ديوان هاشم الرفاعى، وانظر: صلاح الأمة (٤٩٧/٣، ٤٩٨).

٢٦ - ثابت بن الدحداح

قدَّم نفسه وأقرض ماله لله تعالى

من هو؟

حين نتهادى إلى سيرته نجده:

من الأنصار الذين آووا النبيَّ ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه .. ونجده تلميذًا نابغًا فى مدرسة النبوة .. وفارسًا شجاعًا يخوض الغَمَرات .. ويقتحم المنايا .. ويجابه الإخطار .. ويواجه الشدائد .. ويصارع المكَاره .. وإلى جانب هذا يسارع إلى إغاثة الملهوف ونجدة المظلوم ومواساة المحزون .. وفوق هذا كله يقف فى الذؤابة العليا من حب الله روسوله .. يستعذب نداء الجهاد .. ويستمرئ مشاق القتال، ويشم رائحة الجنة تحت ظلال السيوف(١).

ومن مظاهر حُبِّه لله:

ما رواه ابن مسعود، رضى الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال أبو الدحداح: يا رسول الله أو إنّ الله تعالى يريد منا القرض؟

قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرنى يدك، قال: فناوله، قال: فإنى أقرضت الله حائطًا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وأمّ الدحداح فيه وعياله؛ فناداها: يا أمَّ الدحداح؛ قالت: لبيك؛ قال: اخرجى، قد أقرضته ربى عز وجل(٢).

---

(١) حياة الصالحين للأستاذ عبد المنعم قنديل (٩٧/٣) بتصرف.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٣٢٤/٩). رواه أبو يعلى، والطبرانى ورجالهما ثقات.

وقال زيد بن أسلم:

لما نزل: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ قال أبو الدحداح: فداك أبى وأمى يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض؟ قال: «نعم يريد أن يدخلكم الجنة به».

قال: فإنى إن أقرضت ربى قرضًا يضمن لى به ولِصِبْيتى الدَّحداحة معى الجنة؟

قال: «نعم» قال: فناولنى يدك؛ فناوله رسول الله ﷺ يده. فقال: إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك».

قال: فأشهدك يا رسول الله أنى قد جعلتُ خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «إذا يجزيك الله به الجنة».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أمَّ الدحداح، وهى مع صبيانها فى الحديث تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداكِ ربِّى سُبُلَ الرشادِ إلى سبيل الخَير والسَّدادِ
بَيْنِى من الحائط بالوِداد فَقَد مضى قرضًا إلى التَّناد
أقرضته الله على اعتمادى بالطَّوْع لا مَنٍّ ولا ارْتداد
إلا رجاءَ الضِّعْفِ فى المَعاد فارْتَحِلى بالنفس والأولادِ
والبر لا شكّ فخيرُ زاد قدّمَه المرءُ إلى المعاد

قالت أم الدحداح: رَبُحَ بيعُك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أمّ الدحداح وأنشأت تقول.

بَشَّرَّكَ اللهُ بخيرِ وَفَرحْ مِثْلُك أدّى ما لَدْيه ونَصَحْ

قد مَتَّع الله عيالى ومَنَحْ بالعَجْوَة السّوْداء والزَّهْر البَلحْ
والعبُد سَعْىَ وله ما كَدَح طَول الليالى وعليه ما اجْترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تُخرج ما فى أفواههم، وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبى ﷺ: «كم من عِذقٍ رَدَاح ودار فياح لأبى الدحداح»[1].

«وكما قدم ثابت بن الدحداح كل ما يملك لله، فقد جاء يوم قدم فيه نفسه لله أيضًا.

كان يوم أُحُد مزدحمًا بالدروس الإلهية .. الرسول القائد أعد خطة الدفاع والهجوم. وعهده برجاله ألا يخالفوا له أمرًا .. ولكن لحكمة عليا خالف الرماة الخمسون الذى صفهم الرسول فى ثغرة بالجبل أمره ..

فأصيب أصحاب رسول الله بهزيمة مفاجئة .. غير متوقعة .. وحاول بعض المشركين قتل الرسول ﷺ .. حتى ظن المشركون أنه ﷺ قتل .. وأشاعوا ذلك بين المسلمين لينالوا من عزائمهم، وليثبطوا من هممهم، وليردوهم عن دينهم إن استطاعوا .. ولكن المسلمين كانوا أثبت جنانًا رغم مرارة الهزيمة، ورغم كثرة الشهداء.

فوقف ثابت بن الدحداح ينادى بصوت جلجل فى كل أرجاء الجبل:

«يا معشر الأنصار .. إلىّ .. إلىَّ .. إن كان محمد قد قتل، فإن الله حىٌّ لا يموت، فقاتلوا عن دينكم» وما إن فرغ من ندائه حتى نهض إليه نفر من الأنصار، وراحوا يقاتلون المشركين فى استماتة واستبسال .. ولكنهم كانوا فى مواجهة جيش كثيف السلاح يتقدمه خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبى جهل، وضرار بن الخطاب .. فدار قتال عنيف بين الأنصار والمشركين .. بيد أن خالد تمكن من أن يطعن ثابت بن الدحداح

(١) انظر: تفسير القرطبى (٣/٢١٧).

بالرمح طعنة نافذة، وقع على أثرها ميتاً .. ثم قتل جميع من كانوا معه من الأنصار.

وهناك فى حضن جبل أحد ترقد أجساد شهداء هذه المعركة[1].

والقرآن يبشرهم: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤، ٦].



(١) انظر: حياة الصالحين (٣/٩٨، ٩٩) بتصرف.

٢٧ – أبو طلحة الأنصارى

صوته فى الجيش خير من ألف رجل!!

أبو طلحة الأنصارى صاحبُ رسول الله ﷺ، ومن بنى أخواله، وأحد أعيان البدريين، وأحدُ النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة.

واسمه: زيدُ بن سهل بن الأسود .. الخزرجىُّ البخارىُّ.

وهو الذى قال عنه النبى ﷺ: «صوت أبى طلحة فى الجيش خيْرٌ مِنْ مائة»[١].

وفى لفظ: «خير من ألف رجل»[٢].

وفى رواية: «لصوت أبى طلحة أشد على المشركين من مائة»[٣].

قال ابن إسحاق: «أن أبا طلحة ممن شهد العقبة وبدرًا».

زواجه بأمّ سُلَيم:

عن أنس، قال: «خطب أبو طلحة أمَّ سُلَيم؟ فقالت: أما إنى فيك لراغبة، وما مثلُكَ يُرَدُّ، ولكنك كافر، فإن تُسْلِمْ فذلك مهرى، لا أسألك غيره. فأسلم، وتزوجها.

قال ثابت: «فما سمعنا بمهرٍ كان قطّ أكرم من مهر أم سُليم: الإسلام»[٤].

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٣/٢٠٣).

(٢) **إسناده حسن فى الشواهد:** ابن سعد فى الطبقات (٣/٥٠٥) هامش سير (٢/٢٨).

(٣) **إسناده صحيح:** أحمد فى المسند، وقال الشيخ العدوى: صحيح. فضائل الصحابة ٥٠.

(٤) **إسناده صحيح:** أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧). وغيره.

وفي رواية: أنها قالت له: «ما مثلك يُردّ، ولكنك امرؤ كافر، ولا أريد مهرًا إلاّ الإسلام قال: فمن لي بذلك؟ قالت: النبيَّ ﷺ. فانطلق يريده، فقال النبي ﷺ: «جاءكم أبو طلحةَ وَغُرَّة الإسلام بين عينيه»[1].

جهاده يوم أُحُد:

كان أبو طلحة رضي الله عنه يرمي بين يدي رسول الله ﷺ يوم أُحد، وكان رجلاً راميًا. وكان رسول الله ﷺ إذا رمى أبو طلحة، رفع بصره ينظر أين يقع سهمه. وكان يدفعُ صدرَ رسول الله بيده، ويقول: يا رسول الله هكذا، لا يصيبك سهم[2].

وعن أنس، قال: لمّا كان يوم أُحُد، انهزم ناسٌ عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مُجوِّبًا عليه بَحجفَة، وكان راميًا شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة. وكان الرجل يمر معه الجُعْبَةُ من النبل، فيقول ﷺ: «انْثُرْها لأبي طلحة». ثم يُشرف إلى القوم.

فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأميِّ، لا تُشْرِفْ، لا يُصيبُك سهم، نحري دون نحرك.

ويوم حُنَين:

عن أنس، قال: إن رسول الله ﷺ، قال يوم حنين: «مَنْ قتل قَتِيلاً فَلَه سَلَبُهُ». فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسْلابهم[3].

تعبده: عن أنس: أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة، لا يُفطرُ إلا يوم فِطر أو أضحى.

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٥٩/٢، ١٦٠).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٢٨٦/٣، ٢٨٧).

(٣) **إسناده صحيح:** أخرجه أبو داود والحاكم (٣٥٣/٣). وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وفى رواية عنه: كان أبو طلحة بعد النبىّ ﷺ لا يُفطرُ إلا فى سَفر أو مرض.

انفاقه فى سبيل الله تعالى:

عن أنس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: إن رَبَّنا ليسألنا من أموالنا فأشهدك يا رسول الله، أنىّ جعلتُ أرضى لله. فقال رسول الله ﷺ: «اجعلها فى قرابتك فى حسان بن ثابت، وأبىّ بن كعب» رواه النسائى.

وفى «الموطأ»: «وكانت أحب أمواله إليه بيْرُحَاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب»(١).

وفى روايه: عن أنس: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحبُّ أمواله إليه «بَيْرُحاء»، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يَدْخلها ويشربُ من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحب أموالى إلىَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخْرَها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ بخ، ذلك مالٌ رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمِّه(٢).

آية بعد الممات:

تقدم أبو طلحة فى السِّن .. ولا يتخلف عن غزوة!!

---

(١) **صحيح**: «الموطأ» (١٨٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

وقبل إحدى الغزوات .. قال له بنوه: قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر، فنحن نغزو عنك، فأبى، فغزا فى البحر، فمات[(١)].

وعن أنس: أن أبا طلحة قرأ سورة (براءة) فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا﴾ [التوبة: ٤١]. فقال: ألا أرى ربى يستنفرنى شابًا وشيخًا، جهزونى، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبى بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهزونى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغيَّر[(٢)].



(١) **رجاله ثقات:** أخرجه الحاكم (٣/٣٥) فى «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبى.

(٢) قال الهيثمى: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. المجمع (١٥٧٣٠).

٢٨ - معاذ بن جبل

«**يا معاذ! إنى لأُحبك فى الله**» حديث شريف.

من هو؟

إنه السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ البَدْرىّ، شهد العقبة شابًا أَمْرَد. وكان رضى الله عنه طويلاً، حسنًا، جميلاً.

قال أبو سلمة الخولانى: دخلت مسجد حِمْص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، بَرَّاق الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم، أقبلوا عليه، فسألوه، فقلت: مَنْ هذا؟ قيل: معاذ بن جبل، فوقعت محبتهُ فى قلبى(١).

وعن أبى بَحْرِيَّة قال: دخلت مسجد حِمْص، فإذا بفتى حوله الناس، جعد، قطط، إذا تكلم(٢). كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ، فقلت من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل. وكان رضى الله عنه يركب أحيانًا خلف النبى ﷺ.

فعن معاذ رضى الله عنه، قال: «كنت رديف النبىِّ ﷺ على حمار، يقال له عُفير(٣).

فضائله:

١ - عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من

(١) أخرجه الحاكم (٣/٢٦٩)، وابن سعد (٣/٢/١٢٥).
(٢) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٢٣١)، وأيوب بن سيار لا يحتج به.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخارى (٦/٤٤) فى الجهاد.

أربعة: مِن ابن مسعود، وأُبىّ، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة»[(١)].

٢ - وعن أنس مرفوعًا: أن النبى ﷺ قال: «أرحمُ أمتى بأمتى أبو بكر، وأشَدُّها فى دين عمر، وأصدَقُها حياءً عثمان، وأعلمهُمُ بالحلال والحرام معاذ، وأفرَضُهُم زيْدُ، ولكل أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة»[(٢)].

٣ - وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجلُ أبو بكر، نعم الرجلُ عمر، نعم الرجلُ معاذ بن جبل»[(٣)].

٤ - وعن معاذ قال: لقينى النبى ﷺ فقال: «يا معاذ! إنى لأُحبُّك فى الله» قلت: وأنا والله يا رسول الله! أحبك فى الله. قال: «أفلا أعلمك كلماتٍ تقولهنَّ دُبُرَ كل صلاة: رَبِّ أعنِّى على ذِكْرِك وشُكْرِك وحسنِ عبادتك»[(٤)].

٥ - وعن أبى الأحوص، قال: بينما عبد الله، أى ابن مسعود، يحدثهم إذ قال:

«إن معاذًا كان أمَّة قانتًا لله حنيفًا، ولم يك من المشركين»[(٥)].

وقال ابن مسعود، رضى الله عنه، عن معاذ: «كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام»[(٦)].

النبى ﷺ يبين له منهج الدعوة:

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ لما بعثه ومُعاذًا إلى

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.
(٢) **إسناده صحيح**: أحمد (١٨٤/٣). الترمذى (٣٧٩٣) وغيرهما.
(٣) **إسناده حسن**: أخرجه الترمذى (٣٧٩٧) فى المناقب.
(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥٢٢) فى الصلاة: باب الاستغفار.
(٥) أخرجه الحاكم (٢٧١/٣، ٢٧٢) وصححه ووافقه الذهبى.
(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٥١/١).

اليمن، قال لهما: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وتطاوعا ولا تنفِّرا»، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابًا، يُصنعُ من العسل يقال له: «البتْعُ»، ومن الشعير يقال له: «المْزرُ»، قال: «كلُّ مسكرٍ حرام» فقال لى معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه فى صلاتى، وعلى راحلتى، وقائمًا وقاعدًا، أتَفَوَّقُه تفوُّقًا، يعنى شيئًا بعد شىء، قال: فقال معاذ: لكنى أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى، قال: وكأن معاذًا فُضِّل عليه(١).

عِلْمُه:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «من أراد الفقه، فليأتِ معاذَ بن جبل»(٢).

من وصاياه الجامعة:

عن أبى قلابة وغيره: أن فلانًا مَرَّ به أصحاب النبىِّ ﷺ، فقال: أوصُونى، فجعلوا يوصُونه، وكان معاذ بن جبل فى آخر القوم، فقال: أوصنى يرحمك الله، قال: قد أوصوك فلم يألُوا، وإنى سأجمع لك أمرك:

«اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فابدأ بنصيبك من الآخرة، فإنه سيمر بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه، ثم يزول معك أينما زلت»(٣).

خوفه من الله:

عن شقيق قال: قدم معاذ من اليمن برقيق، فلقى عمر بن الخطاب بمكة، فقال: ما هؤلاء؟ قال: أُهدُوا لى، قال: ادفعهم إلى أبى بكر، فأبى، فبات، فرأى كأنه يجرُّ إلى النار، وأن عمر يجذبه، فلمَّا أصبح، قال: يا ابن الخطاب

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٢) أخرجه الحاكم (٣/٢٧١، ٢٧٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.
(٣) أخرجه أحمد فى الزهد (١٨٢).

ما أراني إلا مطيعك، إلى أن قال: فدفعهم أبو بكر إليه، ثم أصبح، فرآهم يُصلُّون، قال: لمن تُصلون؟ قالوا: لله، قال: فأنتم لله[1].

صفحات مضيئة من جهاده رضي الله عنه:

وكان رضى الله عنه قائد الميمنة فى أجنادين، «قام فى أصحابه فقال: يا معشر المسلمين، اشروا أنفسكم اليوم لله .. فإنكم إن هزمتموهم اليوم، كانت هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوان الله والثواب العظيم مِنَ الله».

وفى «فحل بيسان» كان - رضى الله عنه - على ميمنة المسلمين

قال ثابت بن سهل بن سعد: كان معاذ بن جبل يومئذٍ من أشد الناس علينا حرصًا، وأمضاهم فى رقاب الروم سيفًا، فبينما هو يحارب فى ميمنة المسلمين إذ أقبلت جنود الروم تحوط عَسْكر المسملين، فبرز إليهم معاذ بن جبل فى رجاله ونادى فقال: «أيها الناس اعلموا - رحمكم الله - أن الله قد وعدكم بالنصر وأيدكم بالإيمان، فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، واعلموا أن الله معكم، وناصركم على عبدة الأوثان».

ويقول لوجهاء الروم قبل معركة «فحل»، لـمَّا فاوضهم ورفض الجلوس معهم على البسط: قمت إعظامًا للمشى على هذه البُسُط، والجلوس على هذه النمارق التى استأثرتم بها على ضعفائكم وأهل ملّتكم، وإنما هى من زينة الدنيا وغرورها، وقد زهَّد الله فى الدنيا وذمَّها، ونهى عن البغى والسَّرف فيها، فأنا جالس هاهنا على الأرض وكلّمونى. ولما قالوا له: «اذهب إلى أصحابك، فوالله إنا لنرجو أن نفرّكم فى الجبال غدًا. قال معاذ: أما الجبال فلا، ولكن والله لتقَتلنّا عن آخرنا أو لنخرجنكم من أرضكم أذلةً وأنتم صاغرون»[2].

---

(١) رواه الحاكم (٢٧٢/٢/٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

(٢) الطريق إلى دمشق (٤٧٢).

ويوم اليرموك:

كان رضى الله عنه، قائد الميمنة أيضًا، وفى صباح المعركة وقف خطيبًا فقال: يا قَرَّاء القرآن ومستحفظى الكتاب، وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله - والله - لا تنال وجنته لا تُدخل بالأمانى، ولا يُؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ [النور: ٥٥] الآية.

أنتم إن شاء الله منصورون، فأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم وأنتم فى قبضته ورحمته، وليس لأحد منكم ملجأ من دونه، لا متعزز، بغير الله»(١).

ولما انقض الروم على الميمنة صاح معاذ: يا عباد الله المسلمين، إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر فى البأساء. ثم نزل عن فرسه وقال: من أراد أن يأخذ فرسى ويقاتل عليه فليأخذه. وآثر بذلك أن يقاتل راجلاً مع المشاة، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن ابن جبل وهو غلام قد احتلم، فقال: يا أبتِ، إنى لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناء عن المسلمين منى راجلاً، وأنت - يا أبت - راجل أعظم منك فارسًا، وأعظم المسلمين رجّالة، وإذا رأوك صابرًا محافظًا صبروا - إن شاء الله - وحافظوا. فقال معاذ: وفقنى الله وإياك يا بُنىّ»(٢)

العدل فى حياته:

قال يزيد بن عُميرة، وكان من أصحاب معاذ بن جبل، قال: كان - أى

(١) ديوان هاشم الرفاعى، وانظر: صلاح الأمة (٣/٤٩٧، ٤٩٨).
(٢) الطريق إلى دمشق (٤٧٦).

- معاذ، لا يجلس مجلسًا إلا قال:

«الله حَكَمٌ قِسْطٌ تبارك اسمه، هلك المرتابون».

النبىُّ ﷺ يُودِّعه قبل الموت:

عن عاصم بن حُميد السَّكونى: أن معاذ بن جبل لما بعثه النبىُّ ﷺ، إلى اليمن خرج يُوصيه، ومعاذ راكب، ورسولُ الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ، قال: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمرّ بمسجدى وقبرى». فبكى معاذ جَشَعًا لفراق رسول الله، قال: «لا تبك يا مُعاذ، أو إنَّ البكاء من الشيطان»(١).

الصبر عند نزول البلاء:

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حِبالُها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط. والصبر من عناصر الرجولة ... فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ... وإنما ينتقى لها ذوى الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد!! كذلك الحياة، لا ينهض برسالتها إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون(٢).

وبلا شك، فمعاذ من هذا الصِّنف، بل هو سَيِّد هذا الصنف، فى الجهاد وعند المرض.

عن أم سلمة رضى الله عنها: أن أبا عبيدة لما أصيب، أى فى طاعون عمواس، استخلف معاذ بن جبل، حين اشتد به الوجع، فصرخ الناس إلى معاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرِّجز، قال:

«إنه ليس برجز، ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة

(١) **رجاله ثقات**: رواه أحمد (٥/٢٣٥). والجشع: الجزع. وقد ورد الإذن بالبكاء فى أحاديث.

(٢) انظر: خلق المسلم للغزالى (١٣١، ١٣٤) بتصرف.

يخصّ الله بها من يشاء منكم، أيها الناس! أربع خلال من استطاع أن لا تدركه، قالوا: ما هى؟ قال:

يأتى زمان يظهر فيه الباطل، ويأتى زمان يقول الرجل: والله ما أدرى ما أنا، لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة»(١).

وعن عبد الرحمن بن غَنْم، قال:

وقع الطاعون بالشام، فخطب الناسَ عمرو بن العاص، فقال: هذا الطاعون رِجزٌ، ففرّوا منه فى الأودية والشعاب، فبلغ ذلك شرحبيل بن حَسَنة، فغضب، وجاء يجرُّ ثوبه، ونعلاه فى يده، فقال: صحبت رسول الله ﷺ، ولكنه رحمةُ ربكم، ودعوةُ نبيّكم، ووفاة الصالحين قبلكم. فبلغ ذلك معاذًا فقال: «اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر»(٢)، فماتت ابنتاه، فدفنهما فى قبر واحد. وطعن ابنه عبدُ الرحمن، فقال، يعنى لابنه، لما سأله: كيف تجدك؟ قال: ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران: ٦٠] قال: ﴿**سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

قال: وطُعن معاذ فى كفّه، فجعل يقلبها، ويقول: هى أحب إلىَّ من حُمر النِّعم. فإذا سُرِّى عنه، قال: «رَبّ! غُمَّ غَمَّك، فإنك تعلمُ أنى أُحبُّك». ورأى رجلاً يبكى، قال: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى على دنيا كنتُ أُصبتها منك، ولكن أبكى على العلم الذى كنت أُصيبُه منك، قال: ولا تبكه، فإنَّ إبراهيم صلوات الله عليه كان فى الأرض وليس بها علمٌ، فآتاه الله علمًا، فإنْ أنا مت، فاطلب العلم عند أربعة: عبد الله بن مسعود، وسلمان الفارسى، وعبد الله بن سلام، وعويمر أبى الدرداء»(٣).

---

(١) انظر: ابن سعد فى «الطبقات» (٣/٢/١٢٤).

(٢) كان النبى ﷺ يستعيذ بالله من عضال الداء، وإنما طلب معاذ بن جبل الإصابة بهذا البلاء طلبًا للشهادة.

(٣) أخرجه البخارى فى «التاريخ الصغير» (١/٧٣، ٧٤)، وشهر ضعيف.

وعن الحارث بن عميرة، قال: إنى لجالس عن معاذ، وهو يموت، وهو يُغْمى عليه ويُفيق، فقال: اخنق خنقك فوعزَّتك إنِّى لأحبّك»[1].

وبعد رحلة مباركة .. ساهم خلالها معاذ بالنصيب الأوفر فى بناء صرح الحق، وهدم بنيان الباطل .. باحثًا عن الشهادة فى ساحة القتال .. فنالها على فراشه ﴿**وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**﴾ فرحمك الله يا إمام العلماء .. وأجزل لك الثواب والعطاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه ابن سعد (٣/٢/١٢٥).

٢٩ – سعد بن معاذ

البطل الذى اهتز العرش لموته!!

من هو؟

إنه السيد الكبير الشهيد، سعد بن معاذ بن النعمان بن عبد الأشهل، أبو عمرو الأنصارى الأوسى الأشهلى، البدرىّ الذى اهتز العرش لموته!!

كان رضى الله عنه رجلاً أبيض، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين حسن اللحية.

أسلم رضى الله عنه على يد مصعب بن عمير.

قال ابن إسحاق: «لمّا أسلم وقف على قومه، فقال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا فضلاً، وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلامكم علىَّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فوالله ما بقى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا[(١)].

قال ابن شهاب: وشهد بدرًا سعدُ بن معاذ ورُمى يوم الخندق. فعاش شهرًا، ثم انتُقِض جُرْحُه، فمات.

قلت: ومع أن سعد بن معاذ رضى الله عنه لم يعش فى الإسلام إلا عدة أعوام .. إلا أنه سابق الزمن .. وبنى مجدًا عريقًا لنفسه ولدينه.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٣٧/١).

مواقف خالدة من حياته:

إن مواقف هذا العبد الصالح الخالدة كثيرة .. وإن رجلاً يهتز العرش لموته .. وتتحرك الملائكة وتتسابق لتشييع جنازته، ولحمل نعشه لرجل يستحق الإجلال والاحترام. ومن هذه المواقف:

موقفه يوم بنى قريظة:

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها فى حصن «بنى حارثة» يومَ الخندق وأم سعد معها، فعبر سعد عليه درع مقلَّصة قد خرجت منه ذراعهُ كلها وفى يده حربة يرفل بها، ويقول:

لبث قليلاً يشهد الهَيْجَا حَمَلْ
لا بأسَ بالموت إذا حانَ الأَجَلْ

يعنى: حَمَلَ بن بدر .. فقالت له أمّه: أى بنى! قد أخَّرت.

فقلتُ لها: يا أمَّ سعد، لوددتُ أن درع سعد كانت أسبغ مِمَّا هى فرمى سعد بسهم. أى يوم الخندق، قطع منه الإكحل(١)، رماه ابن العَرْقة، فلما أصابه قال: خُذها منى، وأنا ابن العَرْقة، فقال: «عرق الله وجهك فى النار».

اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحبُّ إلىَّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوْا نبيك وكذَّبوه وأخرجوه. اللهم إن كنتَ وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فاجعلها لى شهادة، ولا تُمتنى حتى تُقرَّ عينى من بنى قُريظة»(٢).

كان بنو قريظة قد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وتحالفوا مع الأحزاب لتسهيل دخولهم المدينة والقضاء على المسلمين لولا لطف الله ..

(١) الإكحل: عرق فى وسط الذراع.
(٢) **رجاله ثقات**: ابن هشام (٢/٢٢٦) وأخرجه أحمد بنحوه أطول مما هنا.

وكان النبى ﷺ قد أرسل إليهم سعدًا يذكرهم بالعهد .. فَسبُّوه وآذوا الرسول، فلهذا قال سعد رضى الله عنه ما قال.

ولَمَّا هزم الله الأحزاب وحده .. حاصر النبىُّ ﷺ بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ.

فأرسل إليه رسول الله ﷺ، فحكم أن يقُتَل رجالهُم، وتُسبْى نساؤهم وذراريهم، فقال النبى ﷺ: «لقد حَكَم فيهم بحكم الله الذى حَكَم بهِ مِن فوق سبع سماوات»(١).

وفى رواية للإمام أحمد عن جابر، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ، أى النبى ﷺ، من قتلهم، انفتق عِرْقُه.

موته رضى الله عنه:

عن محمود بن لبيد، قال: لَمَّا أصيب إكحلُ سعدٍ، فثقل، حوَّلوه عند امرأة يقال لها: «رُفيدة» تداوى الجرحى. فكان النبى ﷺ إذا مَرّ به يقول: «كيف أمسيت، وكيف أصبحتَ؟» فيخبره حتى كانت الليلة التى نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ، فقال: انطلقوا به. فخرج، وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطَّعَتْ شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إنى أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسَّلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمه تبكيه، وتقول:

ويل أم سعدٍ سعدا خرامة وجِدًّا

فقال: «كُلُّ باكيةٍ تكذِبُ إلا أمَّ سعد» ثم خرج به.

قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخفّ علينا منه.

(١) **إسناده حسن:** أخرجه ابن سعد (٦/٢/٣) وحسنه الأرنؤوط. هامش سير أعلام النبلاء (٢٨٩/١).

قال: «ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حَمَلوه معكم»[(١)].

وكان النبى ﷺ قد زاره عند اشتداد الألم عليه وقبل خروج روحه رضى الله عنه.

عن عبد الله بن شداد، قال: دخل رسول الله ﷺ على سعد، وهو يكيد نَفْسَه فقال: «جزاك الله خيرًا من سَيِّد قوم، فقد أَنْجزتَ ما وعدته ولَيُنْجِزَنَّكَ اللَّهُ ما وَعَدَك»[(٢)].

اهتزاز العرش لموته:

أى منقبة أعظم من هذه المنقبة، وأى وسام أرفع من هذا الوسام؟! عبد يموت فى الأرض يهتز له العرش طربًا وفرحًا بقدومه!!

اقرأ:

عن جابر، قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من هذا العبدُ الصالح الذى مات؟ فُتحت له أبوابُ السماء، وتحرَّك له العرش، فخرج رسول الله ﷺ، فإذا سعدٌ. قال: فجلس على قبره[(٣)].

قال الإمام الذهبى: وقد تواتر قولُ النبى ﷺ: «إن العرش اهتزّ لموت سعد فرحًا به» وثبت أن النبىَّ ﷺ قال فى حُلَّة تعجبوا من حسنها: «لمناديل سعد ابن معاذ فى الجنة خيرٌ من هذه»[(٤)].

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن سعد (٣/٢/٧، ٨) وحَسَّن الأرنؤوط إسناده: (سير ١/٢٨٧).

(٢) **رجاله ثقات**: ابن سعد فى «الطبقات» (٣/٢/٩). هامش سير أعلام النبلاء (١/٢٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٢٧). الحاكم (١/٢٠٦) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد، والحاكم (٣/٢٠٦) وصححه ووافقه الذهبى.

قال الذهبى، رحمه الله: «والعرش خلقٌ لله مُسخّرٌ إذا شاء أن يهتز اهتز بمشيئة الله، وجعل فيه شعورًا لحب سعد، كما جعل الله تعالى شعورًا فى جبل أُحُد بحبِّه النبىّ ﷺ. وقال تعالى: ﴿يَاجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] .. وهذا حق.

وفى صحيح البخارى قولُ ابن مسعود: كنا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل(١). وهذا باب واسع سبيلهُ الإيمان(٢).

الملائكة فى جنازة سعد:

سبحان الله ما أَعْلَى قَدْر الإنسان عندما يعرف رَبَّه .. ما أحلاه وما أغلاه .. إن وفود الرحمن تتنزل عليه عند موته: ﴿**أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠].

وها هى تتقدم جنازة سعد .. وتمشى حولها .. فى موكب مهيب يعجز القلم عن وصفه ..

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا العبد الصالح الذى تحرك له العرش، وفتحت أبوابُ السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمَّة ثم أُفرج عنه» يعنى سعدًا(٣).

ضمة القبر:

قال ﷺ: «لو نجا أَحَدٌ من ضَمَّة القبر، لنجا منها سعد»(٤).

تعليق الإمام الذهبى:

قال رحمه الله: «قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر فى شىء، بل

(١) **صحيح**: البخارى (٣٥٧٩). أحمد (١/٤٦٠).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٩٥).
(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائى (٤/١٠٠). ابن سعد (٣/٢/٩).
(٤) **إسناده صحيح**: رواه أحمد فى المسند (٦/٥٥، ٩٨).

هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهو له، وألم الورود على النار، ونحو ذلك.

فهذه الأراجيف كلُّها قد تنالُ، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يَرْفُقُ الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربِّه. قال الله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ**﴾ [مريم: ٣٩] وقال: ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ**﴾ [غافر: ١٨] فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي. ومع هذه الهزات، فسعدٌ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه. كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا ينالهُ هولٌ في الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سَلْ ربَّك العافية. وأن يحشرنا في زمرة سعد»[١] ا.هـ.

ولما تُوفِّي سعد بن معاذ، صاحت أمُّه، فقال النبيُّ ﷺ: «ألا يَرْقأ دَمْعُكِ ويذهبُ حزنكُ؟ فإن ابنك، أوّلُ مَنْ ضحك الله إليه، واهتز له العرش».

قال الذهبي: هذا مرسل.

بكاءُ الصحابة عليه:

لما انفجر جرحُ سعد، عجل إليه رسول الله ﷺ، فأسنده إلى صدره والدماءُ تسيل عليه. فجاء أبو بكر فقال: «وانكسار ظهراه على سعد!» فقال رسول الله ﷺ: «مَهْلاً أبا بكر» فجاء عمر فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»[٢].

وعن عائشة، قالت: «حضر رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر، سعدَ بن

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٩٠، ٢٩١).

(٢) **رجاله ثقات**، لكنه مرسل. قاله الأرنؤوط. (سير أعلام النبلاء ١/٢٨٥) الهامش.

معاذ، وهو يموت فى القُبة التى ضربها عليه رسولُ فى المسجد. قالت: والذى نفس محمد بيده إنى لأعرفُ بكاء أبى بكر من بكاء عمر، وإنى لفى حجرتى، فكانا كما قال الله: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩][(١)].

ومات سعد رضى الله عنه وهو ابن سبع وثلاثين سنة، فصَلَّى عليه رسول الله ﷺ، ودفن بالبقيع.

وتحت رمال البقيع ينام سيدُّنا .. وتبقى سيرتُه يفوح عبيرها وشذاها ليظل نبراسًا يضىء للسالكين الطريق.

وداعًا سيدى .. وسلام عليك فى العالمين، والحمد لله رب العالمين.



(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٦/١٤١٢، ١٤٢).

٣٠ – عثمان بن مظعون
أول من دفن بالبقيع

من هو؟

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحى، أبو السائب. من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم فى حياة نبيِّهم فصلَّى عليهم، وكان أبو السائب رضى الله عنه أول مَنْ دُفن بالبقيع(١).

أسلم أبو السائب بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وتوفِّى بعد بدر وكان عابدًا مجتهدًا، وكان هو، وعلىٌّ، وأبو ذر همُّوا أن يَخْتَصُوا. فأنكر عليهم النبى ﷺ.

قال سعيد بن المسيِّب: سمعت سعدًا يقول: رَدَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا(٢).

وكان رضى الله عنه ممن حَرَّم الخمر فى الجاهلية.

قال عثمان بن مظعون: لا أشرب شرابًا يُذهب عقلى، ويُضحك بى مَنْ هو أدنى منى، ويحملنى على أن أنكح كريمتى.

قال الذهبى: هذا خبر منقطع لا يثبت.

تحمله الأذى فى سبيل الله تعالى:

لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهم فى مكة، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله

(١) انظر: الإصابة (٦/٣٩٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم والترمذى (١٠٨٣) وغيرهم.

إن غُدوِّى ورواحى آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى، لنقص كبير فى نفسى، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفَتْ ذمتك، قد رددتُ إليك جوارك. قال: لِمَ يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى؟ قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلقْ إلى المسجد، أى المسجد الحرام، فارْدُد علىَّ جوارى علانية كما أَجَرْتُك علانيةً.

قال: فانطلقنا ثم خرجنا حتى أتينا المسجد، فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى. قال: قد صدق، وقد وَجَدتُه وَفيًّا كريمَ الجوار، ولكنِّى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان، ولبيدُ بن ربيعة فى مجلس من مجالس قريش يُنشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كلُّ شىء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. فقال:

وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول.

فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث فيكم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدنَّ فى نفسكِ من قوله.

فردَّ عليه عثمان حتى شرِىَ أمرهما. فقام إليه ذلك الرجل، فلطم عينه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ.

فقال: أما والله يا ابن أخى، إن كانت عينك عمَّا أصابها لغَنيَّة، لقد

كنت فى ذمّة منيعة.

فقال عثمان: بلى والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله، وإنى فى جوار مَن هو أعزّ منك وأقدر[١].

تعبده:

لقد بالغ عثمان بن مظعون رضى الله عنه فى التعبد لدرجة كادت تخرج عن حد الإعتدال خشية من الله تعالى وخوفًا، ولكن المربىِّ الكريم ﷺ رَدَّه للاعتدال ..

عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون، واسمها خولة بنت حكيم، على عائشة، وهى باذة الهيئة، فسألتُها: ما شأنك؟ فقالت: زوجى يقوم الليل ويصوم النهار[٢]، فدخل النبى ﷺ فذكرت ذلك له عائشة، فلقى النبىَّ ﷺ فقال: «يا عثمان! إن الرهبانية لم تكتب علينا، أما لك فىَّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده»[٣].

الرحيل إلى الدار الآخرة:

اشتكى رضى الله عنه، وازدادت آلامه، ثم انتقل إلى جوار مولاه، فأتاه النبى ﷺ .. فقبَّله وبكى.

عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قَبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خَدِّ عثمان بن مظعون».

قال الترمذى: حديث صحيح.

---

(١) **صحيح الإسناد:** عن ابن إسحاق حيث صرح فيه بالتحديث، ولكن فيه راو لم يُسم.

(٢) والمعنى أنه رضى الله عنه ليس عنده وقت للنساء.

(٣) **رجاله ثقات:** أخرجه ابن سعد (٢٨٧/١/٣). عبد الرزاق (١٠٣٧٥).

وعن المطلب بن عبد الله، قال: لما دفن النبى ﷺ عثمان بن مظعون، قال الرجل: «هَلُمَّ تلك الصخرة، فاجعلها عند قبر أخى، أعرفه بها، أدفن إليه مِن دفنت من أهلى». فقام الرجل فلم يطقها، فقال، يعنى الذى حدثه: فلكأنى أنظر إلى بياض ساعدىْ رسول الله ﷺ حين احتملها، حتى وضعها عند قبره[1].

وعن أبى النضر، قال: لما مُرَّ بجنازة عثمان بن مظعون، قال رسول الله ﷺ: «ذَهَبْتَ وَلَم تَلَبَّس مِنها بشىء»[2].

ورأت أم العلاء، وكانت من المبايعات، رأت فى المنام عَيْنًا لعثمان تجرى، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك عمله»[3].

ودارت الأيام .. وعثمان فى ذاكرة النبى ﷺ لا ينساه .. يَحِنُّ إليه ولا يذكره إلا بخير .. وإن حسن العهد لمن الإيمان.

ولما ماتت بنتُ رسول الله ﷺ قال لها: «الحقى بسلفنا الخيِّر عثمان بن مظعون».

وتحت ثرى البقيع يرقد الجثمان الطاهر .. وشعاع عمله يملأ الدنيا من بعده .. ويجرى عليه فى قبره رضى الله عنه.



(١) **إسناده حسن**: لكنه مرسل، رواه أبو داود (٣٢٠٦). البيهقى (٣/٤١٢).
(٢) أخرجه مالك صـ١٦٦ فى الجنائز مرسلاً.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخارى (٣٩٢٩) فى مناقب الأنصار.

٣١ - حُدَيْر

مسافر زاده «التوكل»!!

التوكل معناه، اعتماد القلب على الله، واستناده إليه وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها بل يخلع السكون إليها من قلبه ويُلبسه السكون إلى مسببها سبحانه وتعالى(١).

وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل؟ فقال: التعلق بالله تعالى فى كل حال(٢).

والله تعالى يقول بأحلى بيان: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] وضيفنا على هذه الصفحات .. يضرب لنا المثل فى حسن التوكل على الله تعالى .. والرضا به سبحانه، مع إخلاص النية وحسن القصد .. وقصته عظة وعبرة لمن أساءوا الظن بربهم .. فقلَّ توكلهُم .. وضعف تعلقهم بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى .. إن قصته لتنادى عليهم، إن الله لا يَنْسى من توكل عليه، وهل ينسى رَبُّك من ركن إليه واعتمد عليه؟!

ما قِصَّتُهُ؟

عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا فيهم رجل يقال له: «حُدَيْر».

وكانت تلك السنة قد أصابهم سنة من قلة الطعام، فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حُدَيْرًا.

(١) انظر: تهذيب مدارج السالكين لابن القيم. الشيخ محمد بيومى صـ٢٧٠.
(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٢٦٤).

فخرج حدير صابرًا محتسبًا، وهو فى آخر الركب، يقول: «لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».
ويقول: «نعم الزاد هو يا رب».

فهو يرددها وهو فى آخر الرَّكْب.

قال: فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال له: إن رَبِّى أرسلنى إليك يخبرك أنك زوّدت أصحابك ونسيت أن تزوّد حُدَيْرًا، وهو فى آخر الرَّكْب يقول: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول: «نعم الزاد هو يا رب».

قال: فكلامه من ذلك له نورٌ يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزادٍ.

فدعا النبى ﷺ رجلاً، فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا انتهى إليه دفع إليه الزاد وحفظ عليه ما يقول، ويقول له: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمةَ الله، ويخبرك أنه كان نسى أن يزوِّدك، وإن ربى تبارك وتعالى أرسل إلىّ جبريل يذكّرنى بك، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك.

فانتهى إليه وهو يقول: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وهو يقول: «نعم الزاد هو يا رب».

قال: فدنا منه ثم قال له: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلنى إليك بزاد معى، ويقول: «إنى إنما نسيتك، فأرسل إلىَّ جبريل من السماء يذكرنى بك».

قال: فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبى ﷺ ثم قال: «الحمد لله رب العالمين، ذكرنى ربى من فوق سبع سماوات، ومن فوق عرشه، ورحم جوعى وضعفى، «يا ربّ كما لم تَنْسَ حُديرًا، فاجعل حُدَيْرًا لا يَنْسَاك».

قال: فحفظ ما قال، ورجع إلى النبى ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه، وبما قال حين أخبره، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نورًا ساطعًا ما بين السماء والأرض»[1].



(١) ذكرها ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (١/٣٧٦، ٣٧٨) بدون سند. وذكرها أبو نعيم فى «الحلية».

٣٢ - أبو سلمة

«اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين» حديث شريف

من هو؟

إنه السيد الكبير، أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته برَّة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، ومات بعدها بأشهر(١).

تحمله الأذى رضى الله عنه عند هجرته:

أخرج ابن إسحاق، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة رضى الله عنه الخروج إلى المدينة، أى فى الهجرة، رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سَلَمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟.

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعمتوها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابنى «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرّق بينى وبين ابنى وبين زوجى.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٥١).

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سَنَةَ أو قريبًا منها، حتى مَرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي، فرحمني.

فقال لبني المغيرة: ألا تحرجون من هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟.

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلْتُ بعيري، ثم أخذت ابني، فوضعته في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم(١) لقيت عثمان بن طلحة(٢) بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي إلا الله وبني هذا.

فقال: والله! ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي(٣)، فوالله! ما صحبتُ رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجر ثم تنحىّ إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله، ثم استأخر عني، وقال: ارْكبي، فإذا ركبت، فاستَوَيْت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى

---

(١) التنعيم: هو واد قريب من مكة.

(٢) وكان عثمان يومئذٍ على كفره، فإنه أسلم في هدنة الحديبية، وقتل شهيدًا بأجنادين.

(٣) يهوى بي: يسرع بي.

ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة.

فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك فى هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

جهاده رضى الله عنه:

شهد أبو سلمة رضى الله عنه أُحُدًا، وكان نازلاً بالعالية فى بنى أمية بن زيد، فجُرح بأُحُد، وأقام شهرًا يداوى جُرْحه.

وبعد هزيمة أُحُد تجرأت بعض القبائل على المسلمين.

«وأول من قام ضد المسلمين بعد نكسة أحُد هم بنو أسد بن خزيمة، فقد نقلت استخبارات المدينة أن طلحة وسلمة ابنى خويلد[2] قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما، يدعون بنى أسد بن خزيمة إلى حرب رسول الله ﷺ.

فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث سَرِّية قوامها مائة وخمسون مقاتلاً من المهاجرين والأنصار، وأمَّر عليهم «أبا سلمة» وعقد له لواء، وباغت أبو سلمة بنى أسد بن خزيمة فى ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم، فتشتتوا فى الأمر، وأصاب المسلمون إبلاً وشاءً لهم، فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/١٦٩). ابن هشام (٢/٧٥، ٧٦) وفى سنده مسلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة «لم يوثقه غير ابن حبان» وقال الحافظ فى «التقريب» (١/٣١٧): مقبول.

(٢) كان طلحة بن خويلد ارتد عن الإسلام، ثم أسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه.

سالمين غانمين لم يلقوا حربًا»[١]. وكانت هذه السرية سنة (٤ هـ).

لقاء الله تعالى:

لما عاد أبو سلمة رضى الله عنه من هذه السرية، ودخل المدينة انتقض جُرْحه، فلم يلبث حتى مات، ولما علم النبى ﷺ بموته جاءه.

تقول أم سلمة: «دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تَبِعه البَصَر» فضجّ ناس من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغْفِرْ لأبى سلمة، وارفع درجته فى المَهْديين، واخْلُفْه فى عَقِبه فى الغابرين، واغْفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسحْ له فى قبره ونور له فيه»[٢].

هدى النبى ﷺ عند نزول المصائب:

عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصابت أحدَكم مصيبةٌ، فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأْجُرْنى فيها، وأبدلنى خيرًا منها».

فلما احتُضِرَ أبو سلمة، قلت ذلك، وأردت أن أقول: «وأبدلنى خيرًا منها» فقلت: ومَنْ خَيْرٌ من أبى سلمة؟ فلم أزل حتى قلتُها، فلما انقضتْ عدَّتها، خطبها أبو بكر، فردَّته، وخطبها عمر، فردَّته، فبعث إليها النبىُّ ﷺ، فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ! وبرسوله[٣].



(١) انظر: زاد المعاد (٢/١٠٨).
(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد ومسلم والبيهقى. أحكام الجنائز للألبانى (١٢).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٨) فى الجنائز.

٣٣ - سالم مولى أبى حذيفة

«الحمد لله الذى جعل فى أُمَّتِى مِثْلك» حديث شريف

من السابقين الأولين البدريين المقرَّبين العالمين.

واسمه: سالم بن مَعْقِل. أصله من «اصْطَخْرَ».

وَالى أبا حذيفة[١]، وإنما الذى أعتقه هى «ثُبَيْنة بنت يعار الأنصارية، زوجة أبى حُذَيْفة بن عتبة وتبناه أبو حذيفة»[٢].

قال ابن عمر: كان سالم يؤم المهاجرين من مكة، حتى قدم المدينة؛ لأنه كان أقرأهم، وفيهم أبو بكر وعمر[٣].

فضائله:

١ - عن عائشة رضى الله عنها، قالت: استبطأنى رسول الله ذات ليلة، فقال: «ما حبسك؟». قلت: إنَّ فى المسجد لأحسن مَنْ سمعتُ صوتًا بالقرآن، فأَخَذ رداءه، وخرج يسْمعه، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة، فقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى مِثْلَك»[٤].

٢ - وعن عمرو بن العاص، قال: كان فزع بالمدينة، فأتيت على سالم مولى أبى حذيفة وهو مُحْتَبٍ بحمائل سيفه، فأخذت سيفي فاحتَبْيت بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، ألا كان مَفْزَعكُمْ إلى الله

(١) هو: أبو حذيفة بن عتبة ستأتى ترجمته إن شاء الله.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٦٧). وذلك قبل نزول ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥].

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٢٠٢).

(٤) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد، والحاكم (٣/٢٢٦) وصححه ووافقه الذهبى.

وإلى رسوله؟» قال: «ألا فعلتم كما فعل هَذَان الرَّجلان المؤمنان؟»[١].

استشهاده:

جاهد سالم رضى الله عنه فى الله حَقَّ جهاده .. وكان له قَدَم صدق عند لقاء الأعداء .. ولم يأل جهدًا فى نَصْرِ الإسلام وإعزاز أهله ..

وتوطدت علاقته بأبى حذيفة بن عتبة، فكان أحدهما لا يستطيع مفارقة الآخر .. وكان كل واحد منهما يتمنى لو مات فى نفس اليوم الذى يموت فيه أخوه!!

وفى موقعة «اليمامة» كان له القدح المُعَلَّى، فلقد أبلى فيها بلاءً حسنًا قيل: إنه لما انكشف المسلمون يوم اليمامة، قال سالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نفعلُ مع رسول الله ﷺ، فحفر لنفسه حفرة، فقام فيها، ومعه رايةُ المهاجرين يومئذٍ، ثم قاتل حتى قُتل[٢].

قال أحمد بن عبد الله: «أخذ، رضى الله عنه، اللواء بيمينه فَقُطِعَتْ، ثم تناولها بشماله فَقُطِعَتْ.

ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى أن قتل.

كان أبو حذيفة يقاتل بجوار سالم فى هذه المعركة، واستشهد هو الآخر!! وماتا معًا!! ومن العجيب: أن سالمًا وجُد هو ومولاه أبو حذيفة، رأسُ أحدهما عند رِجْلى الآخر صَرِيَعْين، رضى الله عنهما[٣]. فنال كل واحد منهما ما تمناه.



(١) قال الهيثمى: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٦٤٢).
(٢) قال المهاجرون لسالم: نَخْشَى أن نُؤْتَى من قِبَلك؟ قال: «بئس حامل القرآن أنا إذًا».
(٣) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/٢٢٥).

٣٤ – أبو حذيفة بن عتبة

«وضمائر الأحرار»

السيد الكبير الشهيد أبو حذيفة ابن شيخ الجاهلية «عتبة بن ربيعة»[١] بن عبد شمس بن عبد مناف. أحد السابقين، أسلم قبل دخولهم دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة مرتين، وشهد بدرًا وما بعدها.

كان أبو حذيفة طويلاً، حسن الوجه، مرادفَ الأسنان، وهو الأثعلُ[٢].

ضمائر الأحرار:

كان دأب الصحابة رضى الله عنهم الأدب التام مع ربهم، ومع نبيهم لا يشُذّ أحدهم عن الصراط قيد أُنملة .. والتاريخ يحدثنا عن موقف لأبى حذيفة، حدثت فيه منه «هفوة» .. فأقضت مضجعه سنين عددًا .. لا تنام عينه، ولا يستريح بالُه حتى نال مُرَاده، واستُشهد فى سبيل الله.

يا ترى ماذا حَدَث؟!

عن ابن عباس، رضى الله عنهما:

أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومئذ [أى يوم بَدْر]:

«إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كَرْهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدًا من بنى هاشم فلا يقْتُله، ومن لقى أبا البحترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقى العباس بن

(١) قُتل كافرًا فى «بدر» فى المبارزة الأولى.

(٢) الأثعل: قال ابن كثير: «وهو الذى له سن زائدة». البداية (٥/٤٧).

عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مُسْتكرهًا»[(١)].

قال: فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءَنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس! والله لئن لقيتُه لألْحِمنَّه[(٢)] السيف.

قال ابن هشام: ويقال: «لألجمنه السيف».

قال: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص»، قال عمر: والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص: «أَيُضْرَبُ وجهُ عَمِّ رسول اللهِ بالسيف؟» فقال عمر: يا رسول الله، دعنى فلأضرب عُنقَه بالسيف، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: «ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن تكفّرها عنى الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا[(٣)].

رغم أن رسول الله ﷺ دعا له بعدها بخير إلا أنها ضمائر الأحرار يا سادة، ونحن اليوم نسمع ونقرأ عن مسلمين ينكرون أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة .. ويرفعون أصواتهم على صَوْته .. ولا يخافون ولا يستحيون. بعد انتهاء موقعة بدر .. سحبت جثة عتبة بن ربيعة لترمى فى القليب .. وأبو حذيفة ينظر إلى أبيه، ونظر الرسول إلى أبى حذيفة، فإذا هو كئيب. قد تغيرّ لونه! فقال له: «يا أبا حذيفة .. لعلك قد دَخَلَك من شأن أبيك شىء؟» فقال: «لا والله يا رسول الله، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكنّى كنت أعرف من أبى رأيًا وحلمًا وفضلاً، فكنتُ أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر

(١) قال ﷺ ذلك بعد أن قُتل «عتبة بن ربيعة» والد أبى حذيفة.

(٢) **لألحمنه**: أى لأطعن لحمه بالسيف.

(٣) ابن هشام (٢/٢٣٢) من طريق العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله عن ابن عباس، قال محقق «سيرة ابن هشام»: والحديث وإن كان فى إسناده من لم يُسمّ فالعباس بن عبد الله بن معبد ثقة كما فى التقريب (٢/٢٣٢) ط دار الحديث.

بعد الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك!

فدعا له رسول الله بخير، وقال له خيرًا(١).

وأمر النبى ﷺ بقَتلى المشركين فطرحوا فى القليب، وقال عند مرآهم: «جزاكم الله شرًا من قوم نبى، ما كان أسوأ الطرد، وأشد التكذيب»(٢).

عاش أبو حذيفة مع رسول الله ﷺ جنديًا مخلصًا لدينه .. وفيًا لعقيدته .. ورغم ما قدَّم من تضحيات .. إلا أن الكلمات التى قالها للنبى يوم بدر .. لا يزال صداها يرن فى أذنه .. فيقشعر لها جلُده، ويضطرب فؤاده .. ويخشى عواقبها .. ويعتقد أن الشهادة هى طريق النجاة لمحو هذه الزلَّة .. سبحانك ربى!!

وتفضل مولانا الكريم سبحانه وتعالى عليه بالشهادة، حتى يخرج من الدنيا وهو مستريح البال.

وفى موقعة **«اليمامة»** وعند اشتداد القتال .. وقف أبو حذيفة كالطود العظيم .. يضرب بسيفه البتار جنود مسيلمة .. فيترنحون تحت قدميه كالذباب .. وهو يزأر بصوت يزلزل الجبال: «يا أهل القرآن زينوا القرآن بأفعالكم» .. وتظهر ملامح النصر على أرض المعركة .. وينال البطل الشهادة ليقدم بها اعتذارًا رسميًا لله ولرسوله .. ويصل المخلص بها إلى بر الأمان، وشاطئ السلامة رضى الله عنه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق ٣٧].



(١) **ضعيف:** رواه ابن هشام (٢/٧٥) بلاغًا.

(٢) رواه أحمد (٦/١٧٠) من طريق إبراهيم النخعى عن عائشة مرفوعًا، قال الألبانى: ورجاله ثقات لكنه منقطع بين إبراهيم وبين عائشة. التعليق على فقه السيرة (٢٤٩).

٣٥ - أبو سفيان بن الحارث

«سيد فتيان أهل الجنة» حديث شريف

هو: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم النبى ﷺ، وأخو رسول الله من الرضاعة، أرضعته حليمة أيامًا.

وكان تِرْبَ رسول ﷺ الله يألفه إلفًا شديدًا، فلما بعث رسول الله ﷺ عاداه وهجاه وهجا أصحابه، وكان شاعرًا.

وظلت عداوته قائمة، يحارب النبى ﷺ فى الغزوات، ويهجوه بلسانه فى الندوات .. إلى أن دخل نور الإيمان قلبه وشرح الله صدره للإسلام.

قصة إسلامه:

أشرق نور الإيمان فى قلب أبى سفيان .. والنبىُّ ﷺ يتهيأ لفتح مكة.

وخرج أبو سفيان هو وولده جعفر من مكة إلى المدينة ليسلما لرب العالمين.

فلما رآه النبى ﷺ أعرض عنه، لأنه بدتْ منه أمورٌ فى أذية النبى ﷺ. فتذلل لرسول الله ﷺ ليرضى عنه وإلاَّ «ليأخذن بيد ولده، وليذهبن فى الأرض حتى يموتا عطشًا وجوعًا» فَرَقَّ له رسول الله ﷺ. ثم حسن إسلامه، ولزم، هو، والعباسُ رسول الله ﷺ يوم حنين إذ فَرَّ الناس، وأخذ بلجام البغلة، وثبت معه.

ثباته يوم حنين:

عن جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادى حنين، انحدرنا فى واد من أودية تِهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحدارًا، قال:

وفى عماية الصُّبْح، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى[1]، فَكَمَنُوا فى شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شدَّة رجل واحد، وانْشَمر الناس راجعين، لا يَلْوِى أحَدٌ على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين، ثم قال: «أين الناس؟ هَلُموا إلىَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»، قال: فلا شىء، حَمَلَت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علىٌّ بن أبى طالب، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، وابنُه، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد، قتل يومئذ[2].

كان أبو سفيان بجوار رسول الله ﷺ آخذ بلجام دابته .. ويقاتل دونه .. ولما انجلى غبارُ المعركة .. وانتصر المسلمون، «التفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث، وكان ممن صبر يومئذ، مع رسول الله، وكان حَسَنَ الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثفر بغلته فقال: «من هذا؟». قال: أنا ابن أمِّك يا رسول الله»[3].

ويحكى أبو سفيان رضى الله عنه موقفه يومئذٍ فيقول:

«... فلما لقينا العدو «بحنين» اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف صَلْتًا، والله يعلم أنى أريد الموت دونه، وهو ينظر إلىَّ، فقال العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارْضَ عنه. فقال: «قد فعلت، فغفر الله له كُلَّ عداوة عادانيها».

(١) أى هوازن وثقيف.
(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/٣٧٦).
(٣) **صحيح**: ابن هشام (٢/٧٨).

ثم التَفَتَ إليَّ فقال: «أخي لَعَمْرِي» فَقَبَّلْتُ رِجْلَه في الرِّكاب[١]. وأحبَّ النبيُّ ﷺ أبا سفيان حبًا شديدًا، وشهد له بالجنة، وقال: «أرجو أن يكون خَلَفًا من حمزة»[٢].

الرَّحِيل:

وفي سنة عشرين، انتقل أبو سفيان إلى جوار الرحمن راضيًا مرضيًا.

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «أبو سفيان بنُ الحارث سَيِّدُ فِتْيانِ أهلِ الجنَّةِ» فَحج، فحلقه الحلاق، وفي رأسه ثؤلول، فقطعه فمات، فيرونه شهيدًا[٣].

قال أبو إسحاق السُّبيعيّ: لما احْتُضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قال: لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنطفّ[٤] بخطيئة منذ أسلمت[٥].

ولما مات رضي الله عنه صلى عليه عمر بن الخطاب.



(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٦٨).

(٢) انظر: ابن سعد (٤/١/٣٦). ابن عبد البر في «الاستيعاب» ١١/٢٩١.

(٣) **رجاله ثقات:** لكنه مرسل كما قال الحافظ في «الإصابة» ١١/١٩٦. أخرجه الحاكم.

(٤) **أتنطف:** أي لم أتلطخ بها.

(٥) أخرجه ابن سعد (٤/١/٣٧).

٣٦ - عمار بن ياسر

«من عادى عَمَّارًا عَادَاه اللَّهُ» حديث شريف

من هو؟

إنه عمار بن ياسر بن عامر .. الإمام الكبير أبو اليقظان العنسيُّ المكيُّ أحد السابقين الأولين، والأعيان البدريين، وأمّه: هى سمية بنت خُبَّاط أول شهيدة فى الإسلام.

فعن مجاهد، قال: «أول شهيد كان فى أول الإسلام استشهد أم عمار سميَّة، طعنها أبو جهل بحربة فى قلبها».

قال الذهبى: وهذا مرسل. (سير أعلام النبلاء ٤٠٩/١) وكان عمار رضى الله عنه يُعذّب فى مكة حتى لا يدرى ما يقول، وكذا صهيب وفيهم نزلت: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [النحل: ٤١].

فضائله:

١ - عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة تشتاق إليهم الجنة: عليٌّ، وسلمان، وعمَّار»[١].

٢ - وعن عليّ، قال: استأذن عمَّار على النبيِّ ﷺ فقال: «من هذا؟» قال: عمار، قال: «مرحبًا بالطِّيبِ المُطيَّب»[٢].

٣ - وعن عمرو بن شرحبيل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عمار مُلِئَ إيمانًا إلى مُشَاشِهِ»[٣].

---

(١) **حسن:** رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب. الحاكم (١٣٧/٣) وصححه.

(٢) **إسناده قوى:** أخرجه الترمذى (٣٧٩٩). والحاكم وقال: صحيح ووافقه الذهبى.

(٣) **رجاله ثقات:** أخرجه النسائى (١١١/٨). وصححه الشيخ العدوى.

٤ – عن خالد بن الوليد قال: كان بينى وبين عمار كلام، فأغلظت له، فشكانى إلى رسول الله ﷺ فقال: «من عادى عمارًا عاداه الله، ومن أبغض عَمَّارًا أبغضه الله»(١).

٥ – وعن بلال بن يحيى، أن حذيفة أُتى، وهو ثقيل بالموت، فقيل له: قُتُل عثمان فما تأمرنا؟ فقال: سمعت رسول الله، ﷺ يقول: «أبو اليقظان على الفطرة» ثلاث مرات، «لن يدعها حتى يموت أو يلبسه الهرَمُ»(٢):

تحمله الأذى فى سبيل الله:

عن عمرو بن ميمون، قال: عذب المشركون عمارًا بالنار، فكان النبى ﷺ يَمُرُّ به، فيمر يده على رأسه، ويقول: ﴿يَانَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، على عمار كما كُنْتِ على إبراهيم. تقتلك الفئة الباغية»(٣).

وعن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ. وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبىَّ، قال: «ما وراءك؟».

قال: شر يا رسول الله. والله ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «كيف تجدُ قلبك؟».

قال: مطمئن بالإيمان. قال: «فإن عَادُوا فَعُدْ»(٤).

وعن قتادة: «إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ» نزلت فى عمار(٥).

(١) قال الهيثمى: رواه أحمد والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح: المجمع (٩/٢٩٣).

(٢) قال الهيثمى فى «المجمع» (٩/٢٩٥). رواه الطبرانى والبزار باختصار، ورجالهما ثقات.

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/١/١٧٧).

(٤) أخرجه ابن سعد، والحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

وَمَّر النبى ﷺ بآل عمار، وهم يعذبون فقال لهم: «أبْشِروا آل عمار فإن موعدكم الجنة»(١).

فقهه:

عن طارق بن شهاب قال: إن أهل البصرة غزوا نهاوند، فأمدَّهم أهلُ الكوفة وعليهم عمار، فظفروا، فأراد أهلُ البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة شيئًا. فقال رجل تميمى: أيها الأجدعُ! تريد أن تشاركنا فى غنائمنا؟

فقال عمار: خير أذنىَّ سَبَبْتَ، فإنها أصيبت مع رسول الله ﷺ. قال: فكتب فى ذلك إلى عمر، فكتب عمر: إن الغنيمة لمن شهد الوقعة(٢).

جهاده:

عن ابن عمر: رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أَمِنَ الجنة تفرُّون؟ أنا عمار بن ياسر، هَلُّموا إلىَّ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهى تذْبذَبُ، وهو يقاتل أشدَّ القتال.

عمار يقاتل الإنس والجن:

عن عمار، قال: قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس، قيل: كيف؟ قال: كنا مع النبى ﷺ، فنزلنا منزلاً، فأخذتُ قربتى ودلوى لأستقى، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّه سيأتيك على الماء آتٍ يمنعُك مِنْه» فلما كنت على رأس البئر إذا برجل أَسود كأنه مَرسٌ، فقال: والله لا تستقى اليوم منها، فأخذنى وأخذتُه فصرعتُه، ثم أخذت حجرًا، فكسرت وجهه وأنفه، ثم ملأت قِرْبتى، وأتيتُ رسول الله ﷺ فقال: «هل أتاك على الماء أحد؟».

---

(٥) قال الحافظ فى «الإصابة» فى ترجمة عمار: اتفقوا على أنه نزلت فيه هذه الآية.

(١) **صحيح لشواهده**: رواه ابن سعد، وانظر فضائل صحابة النبى (٣٢).

(٢) **إسناده صحيح**: البغوى «شرح السنة» تحقيق الأرنؤوط (١١/٩٧، ١٠٠).

قلت: نعم، فقصصت عليه القصة، فقال: «أتدرى مَنْ هـو؟». قلـت: لا، قال: «ذاك الشيطان»(١).

استشهاده:

اشترك عمار رضى الله عنه فى «صفين» وكان يقاتل مع علـى بـن أبـى طالب كرم الله وجهه .. وقتل يومئذٍ رضى الله عنه ..

وكان النبى ﷺ قد أخبر بقتله.

فعن عمار، قال: قال لى رسول الله ﷺ. «تقتلك الفِئة الباغية»(٢).

قال الإمام الذهبى، على معلقًا ما حدث بين على ومعاوية فى صفين:

«... فسبيلنا الكفُّ والإستغفارُ للصحابة، ولا نحب ما شجر بينهم، ونعوذ بالله منه، ونتولىّ أميرَ المؤمنين عليًّا»(٣).

وأحسَّ عمار رضى الله عنه بدنو أجَلِه.

فعن أبى البخترى، قال: قال عمار يوم صفِّين: ائتونى بشربة لـبن، قـال: فشرب، ثم قال: قال رسول اللـه ﷺ: «إن آخـر شـربة تشـربُها مـن الدنيـا شربَةُ لَبَنٍ» ثم تقدم فقتل(٤).

من الذى قتله:

قيل: قتله رجل يسمى أبو الغادية، طعنه فى ركبتـه، فوقـع فقتلـه، وقيـل غيره، فالله أعلم.

---

(١) أخرجـه ابـن سـعد (١٧٩/١/٣). ورجالـه ثقـات إلا أن فيـه عنعنـة الحسـن. وانظـر «الفتح» (٩٢/٧). وهامش سير أعلام النبلاء ٤١٢/١).

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمى: إسناده حسن. المجمع (٢٩٥/٩).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٩/٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣١٩/٤). والحاكم (٣٨٩/٣).

وأُخبر عمرو بن العاص، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ قَاتِلَه وسَالِبَه في النار»[١].

فرضي الله عن عمار.



(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٤/١٩٨).

٣٧ – سلمان الفارسى

«ابن الإسلام»

من هو؟

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: «هو سلمان ابنُ الإسلام، أبو عبد الله الفارسىّ سابق الفُرْس إلى الإسلام، صحب النبى ﷺ وخدمه وحَدَّث عنه» وكان لبيبًا حازمًا، من عقلاء الرجال وعُبادهم ونبلائهم.

فضائله:

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: كنا جلوسًا. عند النبى ﷺ فأنزلت عليه سورةُ الجمعة: ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاث، وفينا سلمان الفارسى فوضع رسولُ الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال، أو رجل، من هؤلاء»(١).

٢ – وعن كثير بن عبد الله المُزَنىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه أن رسول الله ﷺ خط الخندق، وجعل لكل عشرةٍ أربعين ذراعًا، فاحتج المهاجرون والأنصار فى سلمان، وكان رجلاً قويًا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا بل سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»(٢).

قصة إسلامه:

عن ابن عباس، قال: حدثنى سلمانُ الفارسىُّ، قال: كنت رجلاً فارسيًا

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٢٧٥).

من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها «جَيّ»[1] وكان أبى دِهْقانَها. وكنت أحبَّ خلقِ الله إليه، فلم يزل بى حبُّه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تُحبسُ الجارية، فاجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ قاطِنَ النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

وكانت لأبى ضيعة عظيمة، فشُغل فى بنيان له يومًا، فقال لى: يا بنى! إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب فاطلعها، وأمرنى ببعض ما يُريد.

فخرجت، ثم قال: لا تحتبس علىَّ، فإنك إن احتبست علىَّ كنت أهمَّ إلىّ من ضيعتى، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى.

فخرجت أريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، وهم يُصلون، وكنتُ لا أدرى ما أمرُ الناسِ بحبس أبى إياىَ فى بيته، فلما مررت بهم، وسمعتُ أصواتهم، دخلتُ إليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلواتُهم، ورغبت أمِرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه؛ فوالله ما تركتُهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبى، ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟

قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبى، وقد بعث فى طلبى، وشغلتُه عن عمله كله.

فلما جئته قال: أى بُنَىّ! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قلت: يا أبة! مررتُ بناس يصلون فى كنيسة لهم، فأعجبنى ما رأيتُ من دينهم، فوالله مازلتُ عندهم حتى غربت الشمسُ. قال: أىْ بنى! ليس فى ذلك الدين خير، دينُك ودين آبائك خيرٌ منه.

(١) مدينة ناحية أصبهان القديمة، معجم البلدان (٢/٢٠٢).

قلت: كلا والله! إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت: إذا قَدِمَ عليكم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم. فقدَم عليهم ركب من الشام.

قال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني. قال: ففعلوا.

فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمتُ الشام.

فلما قدمتها. قلت: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئته، فقلت: إني قد رغبتُ في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه، فكان رجلَ سوء يأمرهم بالصدقة ويُرغبهم فيها، فإذا جمعوُا إليه منها شيئًا اكْتنزه لنفسه، ولَم يُعْطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وَوَرِقٍ، فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع.

ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويُرغبكم فيها، فإذا جئتم بها، كنزها لنفسه، ولم يُعط المساكين، وأريتهم موضع كنزه سبع قلال مملوءة، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا. فصلبوه ثم رموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهارًا، ما أعلمني أحببت شيئًا قط قبله حُبَّه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان! قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئًا قط

حُبَّك، فماذا تأمرنى وإلى مَنْ توصينى؟

قال لى: يا بنى والله ما أعلمه إلا رجلاً بالمَوْصل، فائته، فإنك ستجده على مِثل حالى.

فلما مات وغُيِّبَ، لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد.

فقلت له: إن فلانًا أوصانى إليك أن آتيك وأكون معك. قال: فأقم أىْ بنىّ.

فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة.

فقلت له: إن فلانًا أوصى بى إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من تُوصى بى؟ وما تأمرنى به؟

قال: والله ما أعلم، أىْ بنىّ، إلا رجلاً بنصيبين.

فلما دفناه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت، فأوصى بى إلى رجل من أهل عمورية بالروم، فأتيته فوجدته على مثل حالهم، واكتسبتُ حتى كان لى غنيمة وبقيرات. ثم احتضر فكلمته إلى من يوصى بى؟

قال: أىْ بنىّ! والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبىّ يُبعث من الحرم، مهاجرهُ بين حرَّتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإنَّ فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتمُ النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلُصَ إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانهُ.

فلما واريناه، أقمتُ حتى مَرَّ بى رجالٌ من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملونى إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتى وبقراتى هذه؟

قالوا: نعم.

فأعطيتهم إياها وحملونى، حتى إذا جاءوا بى وادى القرى، ظلمونى، فباعونى عبدًا من رجل يهودى بوادى القرى.

فوالله لقد رأيت النخل، وطمعتُ أن يكون البلد الذى نَعَتَ لى صاحبى.

وما حقَّت عندى حتى قَدِمَ رجل من بنى قريظة وادى القرى، فابتاعنى من صاحبى، فخرج بى حتى قَدِمنا المدينة.

فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتُ نعتها.

فأقمت فى رِقِّى، وبعث الله نبيه ﷺ بمكة لا يذكر لى شىء من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق، حتى قدم رسولُ الله ﷺ قُباء، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له، فوالله إنى لفيها إذ جاءه ابن عم له، فقال: يا فلان! قاتل الله بنى قيْلة، والله إنهم الآن لفى قُباء مجتمعون على رجل من مكة يزعمون أنه نبى.

فوالله ما هو إلا أن سمعتُها، فأخذتنى العُرَواء - يعنى الرِّعدة - حتى ظننتُ لأسقطن على صاحبى.

ونزلتُ أقول ما هذا الخبر؟

فرفع مولاى يدهِ، فلكمنى لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا، أَقْبِلْ على عملك. فقلتُ: لا شىء، إنما سمعتُ خبرًا، فأحببتُ أن أَعلمه.

فلما أمسيتُ، وكان عندى شىء من طعام، فحملتُه وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقُباء، فقلتُ له: بلغنى أنك رجل صالح، وأن معك أصحابًا لك غرباء، وقد كان عندى شىء من الصدقة فرأيتُكم أَحقَّ مَنْ بهذه البلاد، فهاك هذا، فَكُلْ منه.

قال: فأمسك، وقال لأصحابه: «كُلُوا». فقلت فى نفسى: هذه خَلَّةٌ مما

وَصَفَ لى صاحبى.

ثم رجعتُ، وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعتُ شيئًا كان عندى، ثم جئته به، فقلتُ: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية، فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابُه، فقلت: هذه خلتان.

ثم جئتُ رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتان لى، وهو فى أصحابه، فاستدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذى وصف.

فلما رآنى استدبرتُه عرف أنى أستثبت فى شىء وصف لى، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببتُ عليه أُقَبّلَه وأبكى.

فقال لى: تحول، فتحولتُ، فقصصتُ عليه حديثى كما حدثتك يا ابنَ عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحد.

ثم قال رسول الله: «كاتبْ يا سلمان».

فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أُحييها له بالفقير وبأربعين أوقية.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانونى بالنخل، الرجل ثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، حتى اجتمعت ثلاثمائة وديَّة.

فقال: «اذهب يا سلمان ففقِّرْ لها، فإذا فرغت فائتنى أكون أنا أضعُها بيدى» ففقرت لها وأعاننى أصحابى، حتى إذا فرغت منها، جئته وأخبرته، فخرج معى إليها نقرب له الودىّ، ويضعه بيده. فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخِل، وبقى علىَّ المال.

فأُتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة دجاجة مِن ذهب من بعض المغازى. فقال: «ما فعل الفارسى المكاتب؟» فَدُعيت له، فقال: «خُذها فأدِّ بها ما

عليك». قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟ قال: «خذها فإن الله سيؤدى بها عنك» فأخذتها فوزنتُ لهم منها أربعين أوقية، وأوفيتُهم حقهم وعُتقت، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حُرًّا، ثم لم يفتنى معه مشهد»(١).

علمه رضى الله عنه:

من خلال قصة إسلامه رضى الله عنه يتبين لنا بوضوح سعة علمه.

وعن أبى البخترى، قال: قيل لعليٍّ: أخبرنا عن أصحاب محمد ﷺ، قال: عن أيِّهم تسألون؟

قيل: عن عبد الله، أى ابن مسعود، قال: علم القرآن والسنة، ثم انتهى وكفى به علمًا.

قالوا: عمار؟ قال: مؤمن نَسىٌّ فإن ذكَّرته، ذَكَر.

قالوا: أبو ذر؟ قال: وعى علمًا عجز عنه.

قالوا: أبو موسى؟ قال: صبغ فى العلم صبغة، ثم خرج منه.

قالوا: حذيفة؟ قال: أعلمُ أصحاب محمد بالمنافقين.

قالوا: سلمان؟ قال: أدرك العلم الأول، والعلم الآخر، بحر لا يُدْرَكُ قعْرُهُ، وهو منا أهل البيت.

قالوا: فأنت يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت إذا سألتُ أُعطيتُ، وإذا سكتُ ابتديت(٢).

وعن عون بن أبى جحيفة، عن أبيه قال: «آخى النبى ﷺ، بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان، أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة. فقالا لها: ما شأنك؟.

---

(١) **رجاله ثقات:** وإسناده قوى: رواه أحمد وغيره. الأرنؤوط (سير ١/٥١١).

(٢) **رجاله ثقات:** أخرجه النسوى فى «المعرفة والتاريخ» (٢/٥٤٠). والطبرانى وغيرهما.

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعامًا، فقال له: كُلْ، قال أي أبو الدرداء: فإني صائم.

قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم.

فلما كان من آخر الليل. قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حَقّه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «صدق سلمان»(١).

الأمير المتواضع:

كان الصالحون يعدون الإمارة تكليفًا وليست تشريفًا، فَضَربوا أروع الأمثال في الزهد، والتواضع، والعدل، والخوف من الله.

عن عبيدة السَّلماني رحمه الله، أن سلمان مَرَّ بحجر المدائن غازيًا، وهو «أميرُ الجيش» وهو ردف رجل من كندة على بغل موكوف.

فقال أصحابه: أعطنا اللواء أيها الأميرُ نحمله، فيأبى حتى قضى غزاته ورجع وهو ردف الرجل(٢).

وعن الحسن: كان عطاءُ سلمان خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفًا من الناس، يخطب في عباءة يَفْرش نصفَها، ويَلْبسُ نصفها. وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يده رضى الله عنه.

تعبده:

عن طارق بن شهاب، عن سلمان، قال: إذا كان الليل، كان الناسُ منه

---

(١) **صحيح:** البخاري (١٩٦٨). الترمذي (٢٤١٥).

(٢) **رجاله ثقات:** الأرنؤوط (سير ١/٥٤٥، ٥٤٦). رِدْف رجل: أي خَلْفه.

على ثلاث منازل: فمنهم مَنْ له ولا عليه. ومنهم مَنْ عليه ولا له. ومنهم مَنْ لا عليه ولا له!!

فقلتُ: وكيف ذاك؟ قال: أما مَنْ له ولا عليه، فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل، فتوضأ وصلَّى، فذاك له ولا عليه.

ورجل اغتنم الناس، وظلمة الليل، فمشى فى معاصى الله، فذاك عليه ولا له. ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه.

قال طارق: فقلت: لأصحبنَّ هذا، فَضُرب على الناس بعثٌ، فخرج فيهم، فصحبته وكنت لا أفضله فى محمل، إن أنا عجنت، خَبزَ، وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلاً فبتنا فيه، وكانت لطارق ساعة من الليل يقومها، فكنت أتيقظ لها فأجده نائمًا، فأقول صاحب رسول الله ﷺ خَيْرٌ منى نائم، فأنام ثم أقوم فأجده نائمًا فأنام، إلا أنه كان إذا تعارّ من الليل، قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات.

فلما صلينا الفجر، قلت: يا أبا عبد الله! كانت لى ساعة من الليل أقومها وكنت أتيقظ لها، فأجدك نائمًا؟ قال: يا ابن أخى! فإيش كنت تسمعنى أقول؟ فأخبرته، فقال؟ يا ابن أخى تلك الصلاة، إن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن، ما اجتنبت المَقْتَلة، يا ابن أخى عليك بالقصد فإنه أبلغ(١).

وفاته رضى الله عنه:

وبعد رحلة شاقة قضاها سلمان رضى الله عنه باحثًا فيها عن الحق حتى استقرت قدماه على الصراط المستقيم .. حضرته الوفاة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٤٨). والطبرانى (٦٠٥١). وقال الهيثمى: رجاله موثقون (٣٠٠/١).

«ودخل سعد بن أبى وقاص وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عَهْد عَهدَه إلينا رسولُ الله ﷺ لم نحفظه قال: «ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». وأما أنت يا سعد فاتق الله فى حُكمك إذا حَكَمت، وفى قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت»[1].

وعن امرأة سلمان أنها قالت: لما حضره الموت، دعانى وهو فى عليَّة لها أربعة أبواب، فقال: افتحى الأبواب، فإنَّ لى اليوم زوارًا لا أدرى من أى هذه الأبواب يدخلون علىَّ[2]، ثم دعا بمسك، فقال: أديفيه فى تْور ثم انضحيه حول فراشى، فاطلعت عليه، فإذا هو قد أُخِذَ روحُهُ، فكأنه نائم على فراشه[3].

عُمْره يوم مَوْته:

قيل: عاش سلمان ثلاثَمائة وخمسين سنة، فأما مائتان وخمسون، فلا يشكوّن فيه!!

قلت: والقلب لا يطمئن لهذا .. والصحيح ما قال الذهبى رحمه الله: «لعله عاش بعضًا وسبعين سنة. وما أراه بلغ المائة. فمن كان عنده علم فليُفدنا .. وقد ذكرت فى تاريخى الكبير أنه عاش مائتين وخمسين سنة، وأنا الساعة لا أرتضى ذلك ولا أصححه»[4].

وتوفى رضى الله عنه فى خلافة عثمان.



(١) **حديث صحيح:** ابن ماجه (٤١٠٤). قال ثابت: بلغنى أنه مات عن بضعة وعشرين درهمًا.

(٢) يقصد الملائكة.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٢٠٨).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٥٥٦).

٣٨ - عبد الله ذو البجَادَيْن

«كَلاَّ إنَّه أَوَّاب!!»

نلتقى على هذه الصفحات مع واحد من الذين عناهم النبى ﷺ بقوله:

«إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يُعْرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهُدى يخرجون من كل غَبْراء مُظْلمة»(١).

قال محمد بن سعد: كان ذو البجادَين يتيما لا مال له. فمات أبوه، ولم يورثه شيئًا، وكفله عمه حتى أيسر، فلما قدم النبى ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام، ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد.

فقال لعمه: يا عم، إنى قد انتظرت إسلامك، فلا أراك تريد محمدًا، فائذن لى فى الإسلام، فقال: والله لئن اتبعت محمدًا، لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكه إلا نزعته منك، حتى ثَوْبَيْك.

قال: فأنا والله متبع محمدًا، وتارك عبادة الحجر، وهذا ما بيدى فخذه، فأخذ ما أعطاه حتى جَرَّده من إزاره.

فأتى أمَّه فقطعت بجادًا لها(٢) باثنين، فائتزر بواحد وارتدى بالآخر، ثم أقبل إلى المدينة، وكان «بورِقان»(٣) فاضطجع فى المسجد فى السَّحر، وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فقال:

---

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح ولا علَّة له. الترغيب برقم (٤٧).

(٢) البجاد: الكساء الغليظ الجافى.

(٣) هو جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة.

«من أنت؟» فانتسب له، وكان اسمه عبد العزّى[1].

فقال: «أنت عبد الله ذو البجادَيْن».

ثم قال: «انزل منى قريبًا».

فكان يكون فى أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرًا[2].

فضائله:

١ - عن عقبة بن عامر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل، يقال له: ذو البجادين: «إنَّه أَوَّاهُ» وذلك أنه كان كثير الذكر لله عز وجل، فى القرآن، وكان يرفع صوته فى الدعاء[3].

٢ - وعن الأدرع، قال: كنت أحرس النبى ﷺ، فخرج ذات ليلة لبعض حاجته قال: فرآنى، فأخذ بيدى، فانطلقنا، فمررنا على رجل يصلى يجهر بالقرآن، فقال النبى ﷺ: «عسى أن يكون مُرَائيًا».

قال: قلت: يا رسول الله يصلى يجهر بالقرآن؟ قال: فرفض يدى ثم قال:

«إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة».

ثم خرج ذات ليلة، وأنا أحرسه لبعض حاجته، فأخذ بيدى، فمررنا على رجل يصلى يجهر بالقرآن، فقلت: عسى أن يكون مرائيًا، فقال النبى ﷺ: «كلا إنَّه أَوَّاب».

قال: فنظرت فإذا هو عبد الله ذو البجادَيْن[4].

---

(١) قال ابن الجوزى: اسمه: عبد الله بن عبد نهم بن عفيف. صفة الصفوة (١/٣٤٤).
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٣٤٤).
(٣) **إسناده حسن**: رواه أحمد والطبرانى. المجمع برقم (١٥٩٨١).
(٤) قال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٩٨٢).

نهاية سعيدة:

خرج ذو البجادين رضى الله عنه مجاهدًا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك .. وتوفى رضى الله عنه فيها .. ويحكى لنا ابن مسعود قصة وفاته، فيقول: «قمتُ من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قال: فرأيت شعْلة من نار فى ناحية العسكر، قال: فاتَّبعتها، أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنىّ قد مات، وإذا هم قد حفروُا له، ورسول الله ﷺ فى حفرته، وأبو بكر وعمر يُدَليانه إليه، وهو يقول: «أدْنيا إلىَّ أخاكما» فَدَلَّياه، إليه، فلمَّا هيأه لبشقِّه قال: «اللهمَّ إنى قد أمْسَيْتُ راضيًا عنه، فارْضَ عنه».

قال: يقول ابن مسعود رضى الله عنه: «يا ليتنى كنتُ صاحب الحُفْرة»[١] أى ليظفر بدعوة النبى ﷺ.



---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٤/٩٩) وقال: رواه البغوى بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.

٣٩ - زيد بن حارثة
الأمِيرُ الشَّهِيدُ

من هو؟

هو: زيد بن حارثة بن شراحبيل.

الأمير الشهيد النبوىُّ، المسمَّى فى سورة الأحزاب، أبو أسامة، ثم المحمدىُّ، سيد الموالى، وأسبقهم إلى الإسلام، وحِبُّ رسول الله ﷺ، وأبو حِبِّه، وما أحبَّ ﷺ إلا طيبًا، ولم يُسَمِّ الله تعالى فى كتابه صحابيًا باسمه إلا زيد بن حارثة.

وكان حكيم بن حزام قدم من الشام بزيد بن حارثة وصِيفًا، فاستوهبته منه عمته خديجة، وهى يومئذٍ عند رسول الله ﷺ فوهبه لها، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبنَّاه، وذلك قبل أن يوحى إليه، وقدم أبوه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «إنْ شِئْتَ فأَقِمْ مَعِى، وإنْ شَئْتَ فانْطَلِقْ مَعَ أبِيكَ؟».

قال: لا، لا بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدَّقه وأسلم وصلَّى معه، فلمّا أنزل الله عز وجل: ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا زيد بن حارثة(١).

فضائله:

١ - عن سالم، عن أبيه قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن

(١) **إسناده حسن**: رواه الطبرانى. المجمع برقم (١٥٥٠٧). وكان زيد يدعى بزيد بن محمد.

محمد، فنزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥][(١)].

٢ - وقال سلمة بن الأكوع: غزوت مع رسول الله ﷺ، وغزوتُ مع زيد بن حارثة، كان يُؤَمِّرُه علينا[(٢)].

٣ - وعن محمد بن أسامة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «يا زيد! أنْتَ مولاى، ومنى وإلىَّ، وأحبُّ القوم إلىَّ»[(٣)].

بداية إسلامه:

عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ، يومًا حارًا من أيام مكة، وهو مُرْدفى إلى نُصُبٍ من الأنصاب، وقد ذبحنا له شاة، فأنضجناها، فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل، فقال النبى ﷺ: «يا زيد[(٤)]! ما لى أرى قومك قَدْ شَنِفُوا لك؟».

قال: والله يا محمد، إن ذلك لغير نائِلة لى فيهم، ولكنى خرجتُ أبتغى هذا الدين حتى قَدِمتُ على أحبار فَدَك، فوجدتُّهم يعبدون الله ويشركون به. فقدمت على أحبار خيبر، فوجدتُهم كذلك، فقدمتُ على أحبار الشام، فوجدتُ كذلك.

فقلت: ما هذا بالدين الذى أبْتغى.

فقال شيخ منهم: إنك لتسألُ دين ما نعلمُ أحدًا يعبدُ الله به إلا شيخ بالحِيرة. فخرجت حتى أقدم عليه، فلما رآنى، قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل بيت الله.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٣) **حسن**: رواه الحاكم (٣/٢١٧) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى، وحسنه الحافظ فى الإصابة.

(٤) هو: زيد بن عمرو بن نفيل. **شنفوا لك**: أى أبغضوك.

قال: إن الذى تطلُبُ قد ظهر ببلادك، قد بعثَ نبى طلع نجمهُ، وجميع من رأيتهم فى ضلال.

قال: فلم أُحسَّ بشيء.

قال: فقرّبَ إليه السفرة، فقال: ما هذا يا محمد؟

قال: شاة ذبحناها لنُصُبٍ. قال: فإنى لا آكُلُ مما لم يُذْكر اسمُ الله عليه. وتفرقنا، فأتى رسولُ الله ﷺ البيت، فطاف به، وأنا معه، وبالصفا والمروة، وكان عندهما صنمان من نُحاس! إساف ونائلة.

وكان المشركون إذا طافوا تمسَّحوا بهما. فقال النبى: «لا تمسحهما فإنّهُما رجْسٌ».

فقلت فى نفسى: لأَمسنّهما حتى أنظر ما يقول، فمسستُهما، فقال: «يا زيد! ألم تُنْهَ». قال: ومات زيد بن عمرو، وأُنزل على النبيّ ﷺ؛ فقال النبى ﷺ، لزيد: «إنه يُبْعَثُ أمَّةً وَحْدَهُ»(١).

حُبُّه للنبى ﷺ:

عن أبى عمرو الشيبانى، قال: أخبرنى جبلة بن حارثة قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ابعث معى أخي زيدًا. قال: «هُوَ ذَا، فإن انْطَلَق، لم أَمْنَعْهُ» فقال زيد: لا والله! لا أختار عليك أحدًا أبدًا. قال: فرأيتُ رأى أخي أفضلَ من رأيى(٢).

زواجه من السيدة زينب:

زوجه النبى ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها .. ودار خلاف شديد بينهما، ولم تستقر حياتهما .. وكان زيد بن حارثة كثيرًا ما

---

(١) أخرجه الحاكم (٢١٦/٣، ٢١٧) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى. والحديث صحيح.
(٢) أخرجه الحاكم (٢١٤/٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

يشكوها لرسول الله ﷺ .. ولما أبطل الإسلام عادة التبنى .. أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأذن لزيد بطلاق زينب نزولاً عن رغبته، ثم تزوجها النبى ﷺ .. فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٥] فدعى يومئذ زيد بن حارثة(١).

جهاده رضى الله عنه:

قال أهل السيرة: شهد زيد بدرًا وأحُدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى «المُرَيْسيع» وخرج أميرًا فى سبع سرايا ولم يسم أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن باسمه غيره.

واستُشهد رضى الله عنه فى «مؤتة» كما تقدم فى ترجمة «جعفر بن أبى طالب» ولما جاء مصاب زيد وأصحابه أتىَ رسول الله ﷺ منزله بعد ذلك، فلقيته بنتُ زيد، فأجهشت بالبكاء فى وجهه.

فلما رآها رسولُ الله ﷺ بكى حتى انتحب، فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «شَوْقُ الحَبيب إلى الحَبيب»(٢).

رؤية صالحة:

عن ابن بريدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت الجنة، فاستقبلتنى جاريةٌ شابَّة. فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة»(٣).

---

(١) ذكره ابن حجر فى «الإصابة» وسيأتى بسط القصة والرد على المفترين فى قصة «زينب بنت جحش رضى الله عنها».

(٢) انظر: ابن سعد (٣٢/١/٣). ورجاله ثقات. لكنه منقطع .. الأرنؤوط (سير ٢٣٠/١).

(٣) **إسناده حسن**: الذهبى. سير أعلام النبلاء (٢٣٠/١).

وكانت مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة. رضى الله عنه.



٤٠ – عبد الله بن رَوَاحَة
السَّعيد الشهَّيد

من هو:

هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة.

الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ البدريّ النقيبُ الشاعر، شهد بدرًا والعقبة، وهو خال النعمان بن بشير. وكان من كُتَّاب الأنصار.

حسن السمع والطاعة:

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن رواحة أَتى النبىَّ ﷺ وهو يخطبُ، فسمعه وهو يقول: «**اجلسوا**» فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته، فبلغ ذلك النبىَّ ﷺ، فقال: «زادك الله حِرْصًا على طواعية اللَّهِ ورسولِه»(١).

قلت: فماذا يقول الضالون الذين يريدون تهميش شأن السنة، ويقللون من شأنها .. بتعللات فارغة؟!.

نماذج من شِعْره:

قال ابن رواحة: مررتُ بمسجد النبى ﷺ فجلستُ بين يديه، فقال: «كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟».

قلت: أنظر فى ذاك، ثم أقولُ.

---

(١) **إسناده صحيح**: لكنه مرسل، وصححه الحافظ فى «الإصابة» (٦/٧٨) وقال: أخرجه البيهقى.

قال: «فعليك بالمشركين». ولم أكن هيأت شيئًا. ثم قلت:

فخبِّرونىَ أَثْمانَ العَباءِ مَتَى ... كُنْتم بطارقَ أو دَانَتْ لكُمْ مُضَرُ

فرأيته قد كَره هذا أن جعلتُ قومه أثمان العباء فقلت:

يا هاشمَ الخير إنَّ الله فضَّلكَم ... على البرِّية فَضْلاً ما لَه غيرُ
إنى تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ أعْرفُه ... فِرَاسةً خَالَفَتْهُم فى الذى نَظَروا
ولو سألتَ إن اسْتَنْصَرْتَ بَعْضَهُمُ ... فى حلِّ أمْرِك ما آوَوْا ولا نَصَرُوا
فثبتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى وَنَصْرًا كالذى نصروا

فأقبل ﷺ، بوجهه مستبشرًا وقال: «وإيَّاكَ فثَّبتَ الله»(١).

وعن أنس، قال: دخل النبى ﷺ مكة فى عمرة القضاء(٢)، وابن رواحة بين يديه يقول:

خلَّوا بنى الكُفَّار عن سَبيله ... اليومَ نَضْرِبْكُم على تَنْزيلهِ
ضَرْبًا يُزيلُ الهَامَ عن مَقِيله ... ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيله

فقال عمر: يا ابن رواحة! فى حرم الله وبين يدى رسول الله تقولُ الشِّعْر؟ فقال النبى ﷺ: «خَلِّ يا عمرُ، فهو أسَرَعُ فيهم من نَضْح النَّبْل».

وفى لفظ: «فوالذى نفسى بيده، لكلامه عليهم أشدُّ من وَقْعِ النَّبْل»(٣).

خوفه رضى الله عنه:

عن قيس، قال: بكى ابن رواحة، وبكت امرأته، فقال: ما لَكِ؟

قالت: بكَيْتُ لبكائك، فقال: إنى قد علمتُ أنى واردٌ النار، وما أدرى

---

(١) انظر: ابن سعد، وابن هشام، وأسد الغابة (٢٣٥/٣) وغيرهم.
(٢) كانت بعد مؤتة بستة أشهر. سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١).
(٣) **إسناده قوى:** أخرجه الترمذى (٢٨٥١). وأبو يعلى بسند حسن.

أناج منها أم لا[١].

قلت: قوله: «إنى قد علمتُ أنى واردٌ النار» أخذها من قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم: ٧١] والورود غير الدخول.

يرفض الرشوة:

عن سليمان بن يسار أن النبىَّ ﷺ كان يبعث ابنَ رواحة إلى خيبر فيَخْرُصُ بينه وبين يهود، فجمعوا حُلِيًّا من نسائهم، فقالوا: هذا لك وخَفِّف عنا.

قال: يا معشر يهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلىَّ، وما ذاك بحاملى على أن أحيف عليكم، والرشوةُ سُحْت.

فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض[٢].

استشهاده:

لما جهز النبى ﷺ إلى «مؤتة» الأمراءَ الثلاثة، فقال: «الأمير زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة».

فلما قُتلا، كره ابنُ رواحة الإقدام فقال:

أقسمتُ يا نَفْسُ لَتَنْزلنَّهْ   طائعةً أولاَ لتكْرِهِنَّهْ
فطالما قد كُنتِ مطمئنَّهْ   ما لى أراكَ تكْرهين الجنَّهْ

فقاتل حتى قُتل، رضى الله عنه.

شجاعته:

قال الوليد بن مسلم: فسمعتُ أنهم، أى جيش مؤتة، ساروا بناحية مُعان، فأخبروا أن الروم قد جمعوا لهم جموعًا كثيرة.

(١) **رجاله ثقات**: لكنه مرسل. وانظر: الدر المنثور (٤/٢٨٢).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٣٧).

فاستشار زيد أصحابه فقالوا: قد وطئتَ البلاد وأخفت أهلها. فانصرف وابن رواحة ساكت فسأله فقال: إنا لم نَسِرْ لغنائم، ولكنا خرجنا للِّقاء، ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عُدَّة، والرأى المسير إليهم.

وقال عروة بن الزبير: قال النبى ﷺ: «فإن أصيب ابن رواحة، فليرتض المسلمون رجلاً» ثم ساروا حتى نزلوا بمعان، فبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب فى «مائة ألف» من الروم، و«مائة ألف من المستعربة»، فشجع الناسَ ابنُ رواحة، وقال: «يا قوم! والله إن الذى تكرهونَ لَلَّتى خَرَجْتُم لها: الشهَّادة»(١) وكانوا ثلاثة آلاف.



(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٣٧٩). الحلية (١/١٢٠).

٤١ - خالد بن سعيد

أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم»

هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىّ.

السيد الكبير أبو سعيد القرشىّ الأموى، أحد السابقين الأولين.

رُوى عن أم خالد بنت خالد، قالت: كان أبى خامسًا فى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وأقام بها بضعَ عشرة سنة، وولدتُ أنا بها.

وعنها قالت: أبى أول من كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم».

ورُوى أن رسول الله ﷺ، استعمله على صنعاء، وأن أبا بكر أمَّره على بعض الجيش فى غزو الشام.

وكان رضى الله عنه وسيمًا جميلاً، قتل يوم أجنادين.

وُيروى أن خالدًا رضى الله عنه استشهد. فقال الذى قتله بعد أن أسلم: من هذا الرجُل؟ فإنى رأيتُ نورًا له ساطعًا إلى السماء[1]!! رضى الله عنه.



(١) انظر: ترجمته فى «سير أعلام النبلاء ١/٢٦٠». ابن سعد (٤/١/٦٩، ٧٠، ٧١).

٤٢- العلاء بن الحضرمى

القائد الذى مشى على الماء!!

كان من حلفاء بنى أمية، ومن سادة المهاجرين.

ولاه رسول الله ﷺ البحرين، ثم وليها لأبى بكر وعمر وهو من بلاد «حضرموت».

جهاده رضى الله عنه:

قال محمد بن سعد: بعث أبو بكر، العلاء بن الحضرمى، فخرج من المدينة فى ستة عشر راكبًا، وكتب له كتابًا أن ينفر معه كل من مر به من المسلمين إلى عدوهم، فسار العلاء فيمن تبعه حتى لحق بحصن «جواثى»(١) فقاتلهم، فلم يفلت منهم أحد.

ثم أتى القطيف وبها جمع، فقاتلهم، فانهزموا، فانضمت الأعاجم إلى الزارة، فأتاهم العلاء، فنزل الخط على ساحل البحر، فقاتلهم، وحاصرهم إلى أن توفى الصديق، فطلب أهل الزارة الصلح فصالحهم، ثم قاتل أهل دارين، فقتل المقاتلة، وحوى الذرارى.

وبعث عرفجة إلى ساحل فارس، فقطع السفن، وافتتح جزيرة بأرض فارس واتخذ بها مسجدًا(٢).

كرامة لأولياء الله:

الكرامة ثابتة لأولياء الله تعالى، لا ينكرها إلا قليل الحظ من العلم والدين.

---

(١) جواثى: مدينة بالبحرين لعبد القيس.

(٢) انظر: ابن سعد (٤/٢/٧٧-٧٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع الرسول ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ[١]»

عن سهام بن منجاب، قال: «غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين[٢] فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن:

نزلنا منزلاً فطلب الماء ليتوضأ، فلم يجده، فقام فصلى ركعتين وقال: «اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثًا نتوضأ منه ونشرب، فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا».

فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إدوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا؟.

فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي: نسيت إدوتي. فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط.

ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم فقال: «يا عليم يا حليم، يا عليّ يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً» فتقحم البحر فخضنا ما بلغ لبودنا فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه وجع البطن فمات فطلبنا ماءً نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه.

فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه فرجعنا فطلبناه فلم نجده.

فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: «يا عليّ يا عظيم، يا حليم أخف عليهم موتي أو كلمة نحوها ولا تطلع على عورتي أحدًا» فرجعنا وتركناه[٣].

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ١٥١.

(٢) دارين: في بلاد فارس.

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٣٥٣).

وأورد الإمام الذهبى هذه القصة فى «سير أعلام النبلاء» عن أبى هريرة رضى الله عنه مختصرة وذكر فيها أنهم غسلوه.. وهذا أقرب للصواب.

فعن أبى هريرة قال: «رأيت من العلاء ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبدًا: قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء فارتووا.

ونسى رجل منهم بعض متاعه، فرد، فلقيه، ولم يجد الماء.

ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا، فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ودفناه، ولم نُلْحِد له[1].



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٦٥، ٢٦٦)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٥٨، ١٥٩ .

٤٣- أبو هريرة

أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسى اليمانى، سيد الحفاظ الأثبات، أسلم متأخرًا وشهد خيبر.

كان فى الجاهلية اسمه: عبد شمس، أبو الأسود؛ فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله؛ وكناه: أبا هريرة، فعن عبد الله بن رافع: قلت لأبى هريرة: لم كنوك أبا هريرة؟

قال: أما تفرق منى؟ قلت: بلى، إنى لأهابك؛ قال: كنت أرعى غنمًا لأهلى، فكانت لى هريرة ألعب بها، فكنونى بها(١).

حمل رضى الله عنه عن النبى ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه - لم يُلْحق فى كثرته - وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

وصحب النبى ﷺ أربع سنين.

قال الذهبى: «وهذا أصح فمن فتوح خيبر إلى الوفاة أربعة أعوام وليال(٢)».

ذاكرة عصر الوحى:

شن المغرضون حملة منكرة على أبى هريرة بسبب كثرة روايته عن النبى ﷺ .. ومنهم من طعن فى مروياته.. وانبرى علماء الأمة قديمًا وحديثا فردوا عليهم بأحسن بيان فجزاهم الله خيرًا(٣).

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذى (٣٨٤٠) وقال: حديث حسن «صحيح الترمذى ٣٠١٦».

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥٩٠).

(٣) راجع كتاب: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لأبى شهبة.

لماذا أكثر أبو هريرة من الرواية؟

كان لذلك عدة أسباب منها:

١- عن أبي هريرة، قال: إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ! وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله! وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم؛ وكنت امرأ مسكينًا من مساكين الصفة، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه يومًا: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي، ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقوله».

فبسطت نمرةً عليَّ، حتى إذا قضى مقالته، جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء[1]».

وفي رواية، أنه قال: تزعمون أني أكثر الرواية عن رسول الله ﷺ - والله الموعد - إني كنت امرأ مسكينًا، أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني، وإنه حدثنا يومًا، وقال: «من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثم قبضه إليه، لم ينس شيئًا سمع مني أبدًا» ففعلت. فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت شيئًا سمعته منه[2].

٢- ودخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله!

قال: إي والله يا أماه؛ ما كانت تشغلني عنه المرآة، ولا المكحلة، ولا الدهن. قالت: لَعلَّه[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤/٢٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١/١٩٠)، ومسلم (٢٢٩٤).

(٣) **صحيح**: ذكره الحافظ في «الإصابة» ونسبه لابن سعد وجود إسناده.

اعتراف الصحابة بعلمه:

١- عن ابن عمر، أنه قال: يا أبا هريرة، كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ، وأعلمنا بحديثه(١).

٢- وكان أبو هريرة يجلس إلى حجرة عائشة، فيحدث، ثم يقول: يا صاحبة الحجرة، أتنكرين مما أقول شيئًا؟ فلما قضت صلاتها، لم تنكر ما رواه؛ لكن قالت: لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث سردكم(٢).

قلت: فماذا يقول الأفاكون بعد قول أم المؤمنين عائشة، وقول ابن عمر رضى الله عنهما؟!!

أما قوله رضى الله عنه: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما، فبثثته فى الناس؛ وأما الآخر، فلو بثثته، يقطع هذا البلعوم(٣)».

فيقول الذهبى: «قلت: هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التى تحرك فتنة فى الأصول، أو الفروع؛ أو المدح والذم؛ أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه؛ فإنه من البينات والهدى».

وفى «صحيح البخارى» قول الإمام على رضى الله عنه: «حَدِّثُوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون، أتُحِبُّون أن يُكَذِّب الله ورسوله!» وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء، لأوذى، بل لقتل(٤)».

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «وقد حمل العلماء الوعاء الذى لم يبثه على الأحاديث التى فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة يكنى عن بعضه، ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم، كقوله:

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذى فى المناقب، وانظر صحيح سنن الترمذى (٣٠١٣).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩٣).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخارى (١/١٩٢، ١٩٣) فى العلم.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥٩٧، ٥٩٨).

أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبى هريرة، فمات قبلها بسنة.

وقال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطل، إنما حاصله الإنحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة بقوله: قطع، أى: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها[1].

بركة دعاء النبى ﷺ لأمِّه:

عن أبى كثير السحمى قال: حدثنى أبو هريرة، قال: والله، ما خلق الله مؤمنًا يسمع بى إلا أحبنى.

قلت: وما علمك بذلك؟

قال: إن أمى كانت مشركة، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى علىَّ، فدعوتها يومًا؛ فاسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكْره.

فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكى، فأخبرتُه، وسألته أن يدعو لها. فقال: «اللهم اهد أمّ أبى هريرة» فخرجت أَعْدُو أُبشِّرها، فأتيتُ، فإذا الباب مجاف، وسمعت خضخضة الماء. وسمعت حسِّى، فقالت: كما أنت، ثم فتحت، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن؛ فأخبرته، وقلت: ادع الله أن يُحْببنى وأمى إلى عباده المؤمنين.

(١) انظر: هامش «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٩٧).

فقال: «اللهم، حبب عُبَيْدَكَ هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما[(١)]».

الشكر:

عن مضارب بن حزن، قال: بينما أنا أسير تحت الليل، إذا رجل يكبر، فألحقه بعيرى. فقلت: من هذا؟ قال: أبو هريرة. قلت: ما هذا التكبير؟ قال: شكر. قلت: على مه؟

قال: كنت أجيرًا لبسرة بنت غزوان بعقبة رجلى، وطعام بطنى، وكانوا إذا ركبوا، سقت بهم، وإذا نزلوا، خدمتهم، فزوجنيها الله! فهى امرأتى[(٢)].

وصلى رضى الله عنه يومًا فلما سلَّم، رفع صوته، فقال: الحمد الله الذى جعل الدين قوامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا؛ بعد أن كان أجيرًا لابنة غزوان على شبع بطنه، وحمولة رجله[(٣)]».

محاكمة:

ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف. فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله، وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله وعدو كتابه؛ ولكنى عدو من عاداهما.

قال: فمن أين هى لك؟ قال أبو هريرة: خيل نتجت، وغلة رقيق لى، وأعطية تتابعت.

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٢/٢١٩، ٢٢٠) وقال الذهبى فى «السير»: إسناده حسن.

(٢) **رجاله ثقات:** أخرجه أبو نعيم (١/٣٨٠) وغيره. الأرنؤوط (سير ٢/٦١٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/٣٧٩).

فنظروا، فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليوليه، فأبى.

فقال عمر: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرًا منك: يوسف عليه السلام! فقال أبو هريرة: يوسف نبى ابن نبى ابن نبى وأنا أبو هريرة بن أميمة. وأخشى ثلاثًا واثنتين. قال: فهلا قلت: خمسًا؟.

قال أبو هريرة: أخشى أن أقول بغير عِلْم، وأقضى بغير حِلْم، وأن يُضْرب ظهرى، ويُنتزع مالى، ويُشْتم عِرْضى[1].

وهكذا نرى أن عمر لا يحابى أحدًا، ولا يجامل مخلوقًا، حتى ولو كان من أصحاب النبى ﷺ، وما كان لعمر أن يقول هذا لو امتدت يده هو إلى بيت مال المسلمين.

«وقد سمعنا فى أزمان خلت عن الخرافات ظلت معروضة للفصل فيها زمانًا طويلاً، وربما تاهت معالم الحق فيها لأن المسئول الأول فى الجهاز الحاكم كان له ضلع فيها، ومن ثم فلا يملك القوة الرادعة، وهذه آثار فأسه؟![2]».

الوفاة:

طالت الحياة بأبى هريرة رضى الله عنه.. وكان يخشى على نفسه من الفتنة، والجور.. وكان يدعو: «اللهم، لا تدركنى سنة ستين[3]» فتوفى فيها، أو قبلها بسنة.

ولما مرض رضى الله عنه، دخل عليه مروان، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة.

فقال: اللهم، إنى أحب لقاءك، فأحبب لقائى. فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات أبو هريرة رضى الله عنه.

---

(١) **رجاله ثقات:** ذكره ابن كثير فى «البداية» (١١٣/٨) عن عبد الرزاق.

(٢) من فقه عمر. د/ محمود محمد عمارة (٥١).

(٣) **رجاله ثقات:** ذكره الحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٨)، الأرنؤوط (سير ٢/ ٦٢٦).

وعن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى فى مرضه: فقيل: ما يبكيك؟.

قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيت فى صعود، ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدرى أيهما يؤخذ بى[١].

وانتقل أبو هريرة إلى جوار ربه راضيًا مرضيًا.

وقيل صلى عليه الأمير الوليد بن عتبة بعد العصر، وشيعه ابن عمر، وأبو سعيد، ودفن بالبقيع.



(١) انظر: الحلية (١/٣٨٣).

٤٤- خباب بن الأرت

جبل الصبر

هو: خباب بن الأرت بن خويلد بن سعد بن خزيمة. يكنى أبا عبد الله، أصابه سباء فبيع بمكة واشترته أم أنمار، وأسلم خباب قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقيل: «كان سادس ستة الإسلام، كان سدس الإسلام» كما قال كردوس[(١)].

من نجباء السابقين، شهد بدرًا، والمشاهد.

تحمله الأذى:

قال طارق بن شهاب: كان خباب من المهاجرين الأولين وكان ممن يعذب في الله عز وجل.

وكان رضى الله عنه مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعًا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقة تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرًا، حتى لا يستطيع أن يقوم[(٢)].

يقول خباب: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدَه في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟؟ فقال: «قد كان من قَبْلكم يُؤخذ الرجل فَيُحفر له فى الأرض فَيُجعل فيها، ثم يُؤْتَى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله إلى كردوس رجال الصحيح، وكردوس ثقة. المجمع برقم (١٥٦٢٩).

(٢) انظر: الرحيق المختوم (٧٩).

يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[١].

«ماذا عسى يفعل محمد ﷺ لأولئك البائسين؟ إنه لا يستطيع أن يبسط حمايته على أحد منهم، لأنه لا يملك من القوة ما يدفع به عن نفسه، وقد كان في صلاته يُرمى عليه - وهو ساجد - بكرش الجَزور... وكانت الأنجاس تُلقى أمام بيته، فلا يملك إلا الصبر.

إن محمدًا صلوات الله وسلامه عليه لم يجمع أصحابه على مغنم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغشاوة عن الأعين، فأبصرت الحق الذى حجبت عنه دهرًا، ومسح الرَّان عن القلوب، فعرفت اليقين الذى فطرت عليه وحرمتها الجاهلية منه، إنه وصل البشر بربهم فربطهم بنسبهم العريق، وسببهم الوثيق وكانوا - قبلا - حيارى محسورين، إنه وازن للناس بين الخلود والفناء، فآثروا الدار الآخرة على الدنيا الزائلة، وخيرهم بين أصنام حقيرة وإله عظيم، فازدروا الأوثان المنحوتة، وتوجهوا للذى فطر السماوات والأرض.

حسب محمد ﷺ أن قدم هذا الخير الجزيل، وحسب أصحابه أن ساقته العناية لهم، فإذا أوذوا فليحتسبوا، وإذا حاربهم عبيد الرجس من الأوثان فليلزموا ما عرفوا، والحرب قائمة بين الكفران والإيمان، سينجلى غبارها يومًا ما، ثم تتكشف عن شهداء وعن هلكى، وعن مؤمنين قائمين بأمر الله، ومشركين مدحورين بإذن الله[٢]».

ثباته على الحق:

عن خباب، قال: كنت قينًا[٣] بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفًا،

(١) **صحيح**: رواه البخارى.

(٢) انظر: فقه السيرة للغزالى (١١٢، ١١٣).

(٣) القين: الذى يصنع السيوف.

فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث.

فقال: إذا بعثت كان لى مال، فسوف أقضيك. فقلت ذلك لرسول الله ﷺ. فأنزلت:

﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا﴾ [مريم: ٧٨][١].

إنفاقه فى سبيل الله تعالى:

عن أبى وائل شقيق بن سلمة، قال: دخلنا على خباب بن الأرت فى مرضه فقال:

إن فى هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله ما شددت بها من خيط، ولا منعتها من سائل، ثم بكى.

فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكى أن أصحابى مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئًا وأنا بقينا بعدهم حتى ما نجد موضعًا إلا التراب[٢].

وعن قيس بن حازم، قال: أتينا خباب بن الأرت نعوده، وقد اكتوى فى بطنه سبعًا، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، فقد طال مرضى[٣]».

ومات رضى الله عنه بالكوفة، وصلى عليه على بن أبى طالب.

وآن للجسد المتعب أن يستريح من تعب الدنيا ونصبها إلى دار الله وكرامته.



(١) **إسناده صحيح**: رواه البخارى، والعاص بن وائل من كفار قريش ومن المكذبين بالبعث.

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٣).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٢٢٣).

٤٥- عبد الله بن عمر

«إن عبد الله رجل صالح» حديث شريف.

من هو؟

إنه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن.

أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة.

روى البخارى عن ابن عمر أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزنى.

وقال مجاهد: شهد ابن عمر الفتح وله عشرون سنة.

فضائله:

١- عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر».

٢- وعن جابر بن عبد الله، قال: «ما منا أحد أدرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا ابن عمر».

٣- وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «مات ابن عمر، وهو فى الفضل مثل أبيه».

رؤيا صالحة:

روى سالم، عن أبيه، قال: كان الرجل فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى

رؤيا، قصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلامًا عزبًا شابًا، فكنت أنام في المسجد، فرأيت كأن ملكين أتياني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، ولها قرون كقرون البئر، فرأيت فيها ناسًا قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، فلقينا ملك، فقال: لن تراع فذكرتها لحفصة[(١)]، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ، فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» فكان بعد لا ينام من الليل إلا القليل[(٢)]».

وروى نحوه نافع، وفيه: «إن عبد الله رجل صالح».

الأدب مع السنة المطهرة:

كان عبد الله بن عمر شديد التمسك بالسنة، لا يكاد يشذ عنها قيد أنملة، ومن الأدلة على ذلك:

١- عن نافع: أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[(٣)].

٢- وقال نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال: نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[(٤)].

٣- وعن نافع أيضًا، عن ابنِ عمر: أنه كان في طريق مكة يقوم برأس راحلته يثنيها، ويقول: لعل خفاً يقع على خفٍ، يعني خف راحلة النبي ﷺ.

والظاهر أنه رأى النبي ﷺ يمشي براحلته في هذا المكان.

---

(١) هي: حفصة بنت عمر، أخت عبد الله، وزوج رسول الله ﷺ.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم.

(٣) انظر :أسد الغابة (٣/٣٤١).

(٤) رجاله ثقات: ابن سعد (٤/١٦٢)، والمقصود باب من أبواب المسجد الحرام.

خوفه رضى الله عنه:

قال رجل لابن عمر يومًا: يا خير الناس، أو يا ابن خير الناس.

فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكنى عبد من عباد الله، أرجو الله، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه(١).

فانظر رحمك الله كيف يدفع هذا الإمام الكبير داء العُجْب عن نفسه بينما نرى فى هذه الأيام من أكله الكبر وحطمهِ الغرور وهو لا يساوى فى الميزان بعرة، وما أحقر الإنسان عندما لا يعرف قَدْر نفسه.

قال أبو الوازع لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. فغضب، وقال: إنى لأحسبك عراقيًا، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه؟!(٢).

وكان رضى الله عنه إذا قرأ القرآن خشع قلبه وفاضت عيناه.

عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء(٣).

تعبده:

ينقل التاريخ إلينا قطوفًا دانية من عبادته رضى الله عنه منها.

١- أنه كان له مهراس فيه ماء، فيصلى فيه ما قُدّر له، ثم يصير إلى الفراش، فيغفى إغفاءة الطائر، ثم يقوم، فيتوضأ ويصلى، ويفعل ذلك فى الليل أربع مرات أو خمس!! (٤).

(١) **إسناده صحيح:** أبو نعيم (١/٣٠٧).
(٢) **حسن:** ابن سعد (٤/١٦١).
(٣) **رجاله ثقات:** أخرجه أبو نعيم فى الحلية، الأرنؤوط (سير ٣/٢١٤).
(٤) **رجاله ثقات:** والمهراس: صخرة منقورة فيها ماء. الأرنؤوط (سير ٣/٢١٥)

٢- وقيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر فى منزله؟ قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما[١].

٣- وعن نافع أيضًا، قال: إن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء فى جماعة، أحيى بقية ليلته[٢].

حبه للنبى ﷺ:

عن عاصم بن محمد العمرى، عن أبيه، قال: ما سمعت ابن عمر ذكر النبى ﷺ إلا بكى.

وقال يوسف بن ماهك: رأيت ابن عمر عند عبيد بن عمير وعبيد يقص، فرأيت ابن عمر، ودموعه تهراق.

وتلا عبيد بن عمير رضى الله عنه: ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد**﴾ [النساء: ٤٠] فجعل ابن عمر يبكى حتى لصقت لحيته وجيبه من دموعه، فأراد رجل أن يقول لأبى أقصر، فقد آذيت الشيخ[٣].

وكان رضى الله عنه كثير البكاء عند تلاوة القرآن وسماعه.

يقول نافع: ماقرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿**وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه**﴾ [البقرة: ٢٨٤] ثم يقول: إن هذا الإحصاء شديد. رواه أحمد.

وقرأ رضى الله عنه: ﴿**ويل للمطففين**﴾ حتى بلغ ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ [المطففين: ١-٦] قال: فبكى حتى حنَّ وامتنع من قراءة ما بعد. رواه أحمد.

---

(١) **رجاله ثقات:** أخرجه ابن سعد (٤/١٧٠)، الأرنؤوط (سير ٣/٢١٥).
(٢) **رجاله ثقات:** حلية الأولياء (١/٣٠٣)، الأرنؤوط (سير ٣/٢١٥).
(٣) أخرجه ابن سعد (٤/٦٢)، لثقت لحيته: أى: ابتلت.

وعن سمير الرياحي عن أبيه، قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا، شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿**أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ [الأعراف: ٥٠] (١).

لآلئ من مواعظه رضي الله عنه:

عن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر إذا أصبح قال: «اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كل خير تقسمه الغداة، ونور تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزق تبسطه، وضر تكشفه وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها(٢)».

وعن مجاهد، عن ابن عمر، قال: «لا يصيب عبد شيئًا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريمًا(٣)».

وقيل له: توفي فلان الأنصاري. قال: رحمه الله، فقيل له: ترك مائة ألف، قال: لكن هي لم تتركه.

ومن وصاياه رضي الله عنه: قال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إلي بالعلم كله.

فكتب إليه: «إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم، فافعل(٤)».

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٩٥).
(٢) انظر: نفس المرجع.
(٣) انظر: نفس المرجع.
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٢٢٢).

وكان رحمه الله شديد المحاسبة لنفسه يتعاهدها بالتصفية والتحلية كما يقول علماء القلوب.

قال ابن شهاب: أراد ابن عمر أن يلعن خادمًا، فقال: اللهم الع، فلم يتمها، وقال: ما أحب أن أقول هذه الكلمة[1].

وعن ميمون بن مهران:

أن رجلاً من بنى عبد الله بن عمر استكساه إزارًا، وقال: قد تخرق إزارى، فقال: ارقع إزارك. ثم البسه، فكره الفتى ذلك، فقال له عبد الله: ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل فى بطونهم وعلى ظهورهم.

إنفاقه فى سبيل الله:

كان ابن عمر رضى الله عنه إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل.

قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم، فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه!!

فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك.

فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له.

موقفه من الإمارة والفتن:

عزف عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن الإمارة.. واعتزل الفتنة فلم يشارك فيها.

فعن عاصم: أن مروان قال لابن عمر، يعنى بعد موت يزيد بن معاوية: هلم يدك نبايعك فإنك سيد العرب وابن سيدها.

---

(١) نفس المرجع (٣/٢١٨).

قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟

قال: نضربهم حتى يبايعوا.

قال: والله ما أحب أنها دانت لى سبعين سنة، وأنه قتل فى سيفى رجل واحد.

وكان رضى الله عنه يسلم على الخشبة والخوارج، وهم يقتتلون، وقال: من قال: «حيّ على الصلاة» أجبته، ومن قال: «حى على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله» فلا[١].

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

ورغم اعتزال ابن عمر الفتنة وعزوفه عن الخلافة والإمارة، إلا أنه لم يعش فى معزل عن عصره.. بل كان يصدع بكلمة الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم... إنه يعلم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم لهذا الدين، وهو الرحى التى يدور عليها الإسلام.

بل كان صدعه بالحق سببًا فى موته رضى الله عنه .

عن إسحاق بن سعيد بن عمرو الأموى، عن أبيه، عن ابن عمر، أنه قام إلى الحجاج[٢]، وهو يخطب فقال: يا عدو الله!! استحل حرم الله، وخرب بيت الله.

فقال الحَجّاج: يا شيخًا قد خرف. فلما صدر الناس[٣]، أمر الحجاج

(١) أخرجه ابن سعد (١٦٩/٤، ١٧٠) وقال الأرنؤوط: سنده حسن: (سير ٢٢٨/٣).

(٢) هو: الحجاج بن يوسف الثقفى، الظلوم الغشوم... مات سنة خمس وتسعين، قال الذهبى: «كان ظلومًا، جبارًا، خبيثًا، سفاكًا للدماء.. فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه فى الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان.. وله حسنات مغمورة فى بحر ذنوبه. وأمره إلى الله...».سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٤).

(٣) صدر الناس: أى: انصرفوا.

بعض مسودته، فأخذ حربة مسمومةً وضرب بها رجل ابن عمر، فمرض، ومات منها.

ودخل عليه الحجاج عائدًا، فسلم، فلم يرد عليه، وكلمه، فلم يجبه[١]. وكان الحجاج قد أمر بحمل السلاح فى الحرم!!

وأخرج البخارى: أن الحجاج دخل على ابن عمر، فقال: كيف هو؟

فقال، أى ابن عمر: صالح، قال: من أصابك؟

قال: أصابنى من أمر بحمل السلاح فى يوم لا يحل فيه حمله، يعنى الحجاج.

قلت: وهكذا يجب أن يكون المسلم يلتحم مع الواقع.. ويضرب بسهم وافر فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.. ولا يعيش معزولاً عن مجتمعه.. فيتطاول الباطل.. ويستخفى الحق.

وفاته رضى الله عنه:

عن سعيد بن جبير، قال: لما احْتُضر ابن عمر، قال: ماآسى على شىء من الدنيا إلا على ثلاث؛ ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأنى لم أقاتل الفئة الباغية التى نزلت بنا، يعنى الحجاج[٢].

«فرضى الله عن ابن عمر وأبيه. وأين مثل ابن عمر فى دينه، وورعه وعلمه، وتألهه وخوفه، من رجل تعرض عليه الخلافة، فيأباها، والقضاء من مثل عثمان، فيرده، ونيابة الشام لعلى، فيهرب منه. فالله يجتبى إليه من يشاء، ويهدى إليه من ينيب[٣].



(١) **رجاله ثقات**. سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٠).
(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٨٥).
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٥).

٤٦- جُلَيْبيب

حَمَلَهُ الرسول ﷺ على ساعديه!!

صحابى جليل القدر.. لم يكن ذو مال ولا جمال.. ولكن كان ذو إيمان أثبت من الجبال.

والله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أجسامنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا. والقلب محل نظر الرب.

قال الحسن لرجل: «داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم».

وصاحب هذه القصة لم يكن يملك من الدنيا إلا إيمانه..

ويحكى أبو برزة الأسلمى قصة زواج جليبيب رضى الله عنه، فيقول:

«أن جليبيبًا كان امرأ من الأنصار، وكان أصحاب النبى ﷺ إذا كان لأحدهم أَيم لم يزوجها حتى يُعْلِمَ النبى ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار:«يا فلان زوجنى ابنتك». قال: نعم، ونعمة عين. قال: «إنى لست لنفسى أريدها». قال: لمن؟ قال: «لجليبيب». قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: ان رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم، ونعمة عين، زوج رسول الله. قال: إنه ليس لنفسه يريدها. قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: ألجليبيب؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبًا.

فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها من خطبنى إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ.

قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعونى إلى رسول اللـه فإنـه، لن يضيعنى.

فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة لثـابت: أتـدرى مـا دعـا لهـا بـه النبى ﷺ؟

قال: وما دعا لها به النبى ﷺ؟

قال: «اللهم صب عليها الخير صبًا ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا».

قال ثابت: فزوجها إياه؛ فبينما رسول الله ﷺ فى مغزى لـه قـال: «هـل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا.

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: نفقد فلانًا و فلانًا.

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟».

قالوا: لا.

قال: «ولكنى أفقد جليبيبًا فاطلبوه فى القتلى».

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا منى وأنا منه، أَقَتَلَ سبعة ثم قتلوه؟ هذا منـى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه».

فوضعه رسول اللـه ﷺ علـى سـاعديه ثـم حفـروا لـه، مـا لـه سـرير إلا ساعدى رسول الله ﷺ، حتى وضعه فى قبره.

قال ثابت: فما فى الأنصار أيم أنفق منها(١).

وفى رواية للبزار: «فكأنما حلَّت عن أبويها عقالاً».

قلت: وهذه بركة السمع والطاعة لرسول الله ﷺ، وبركة دعائه ﷺ وفى القصة من العظات والعبر ما لا يخفى منها:

أن الإسلام قدم الدين على المال والجمال.. كما فى الحديث: «لأمة سوداء ذات دين أفضل».. وليس معنى هذا أن الإسلام رفض المال والجمال، كلا، فمرحبًا بجمال يأتى ساجدًا على عتبة الشرع المطهر ومرحبًا بمال يأتى ساجدًا على عتبة التواضع.. فالإسلام لا يصادم الفطرة الإنسانية، ولكنه يدعو إلى تهذيبها وتقويمها، والحمد الله تعالى.



(١) قال الهيثمى: هو فى الصحيح خاليًا عن الخطبة والتزويج. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٩٧٧).

٤٧- الطفيل بن عمرو الدوسى

ذو النور

صاحب النبى ﷺ.. كان سيدًا مطاعًا من أشراف العرب، من قبيلة دوس ودوس بطن من الأزد.

وكان الطفيل يلقب ذا النور، أسلم قبل الهجرة بمكة.

قال هشام بن الكلبى:

سمى الطفيل بن عمرو بن طريف ذا النور، لأنه قال: يا رسول الله! إن دوسًا قد غلب عليهم الزنى، فادع الله عليهم.

قال: «اللهم اهد دوسًا».

ثم قال: يا رسول! ابعث بى إليهم، واجعل لى آية، فقال: «اللهم نور له» فسطع نور بين عينيه. فقال: يارب إنى أخاف أن يقولوا: مُثْلَة[١]. فتحولت إلى طرف سوطه. فكانت تضىء فى الليلة المظلمة فسمى، ذا النور[٢].

قلت: وهكذا يجب أن يكون الداعية.. لا يدعو على قومه.. ولكن يدعو لهم... تأسيًا برسول الله ﷺ.. ولا يتعجل العذاب، لعلهم يهتدون.

وكما قيل:

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ... وبالتقوى يلين لك الحديد

قال ابن كثير:

---

(١) المثلة: الشىء المشوه.

(٢) رواه ابن عبد البر فى «الإستيعاب» (٥/٢٢٣).

وذهب - أى الطفيل - إلى قومه، فدعاهم إلى الله تعالى فهداهم الله على يديه، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين أهل بيت من دوس مسلمين.

وقد خرج رضى الله عنه، يوم اليمامة مع المسلمين، ومعه ابنه عمرو، فرأى الطفيل فى المنام كأن رأسه قد حلق وكأن امرأة ادخلته فى فرجها[١]، وكأن ابنه يجتهد أن يلحقه، فلم يصل.

فأولها بأنه سيقتل ويدفن، وأن ابنه يحرص على الشهادة فلا ينالها عامه ذلك. وقد وقع الأمر كما أوَّلها، ثم قتل ابنه شهيدًا يوم اليرموك[٢]. رضى الله عنهما.



(١) المرأة التى رآها هى الأرض.. كما فى الحديث «تحفظوا من الأرض فإنها أُمُّكم» رواه الطبرانى.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤٥/٥).

٤٨- خبيب بن عدى
وكرامات الأولياء

الأنصارى الشهيد، أسطورة الفداء والتضحية، وآية الجهاد والفداء، ألا ما أحوج الأمة إلى رجال أمثال خبيب.. فى وقت جف فيه الإخلاص.. واشرأبت فيه الأعناق إلى الدنيا.. وقل فيه الجهد لهذا الدين القيم.

اشترك رضى الله عنه فى غزوتى بدر و أحد وأبلى فيهما بلاءً حسنًا. وكان له يوم «الرجيع» قصة.

فما هى قصته؟

«أصل قصة «الرجيع[١]» هذه، أن وفدًا من قبائل «عضل والقارة»، قدم على رسول الله ﷺ يذكر أن أنباء الإسلام وصلت إليهم، وأنهم يحتاجون إلى رجال يعلمونهم الدين ويقرؤنهم القرآن.

فأرسل النبى ﷺ معهم رهطًا من الدعاة يرأسهم «عاصم بن ثابت» فانطلق الجميع حتى إذا كانوا بين «عسفان» و «مكة» قريبًا من مياه «هذيل» شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم، واستصرخوا هذيلاً عليهم.

وفزع الدعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة هذيل، وماذا يجدى قتال نفر يعدون على الأصابع لنحو مائة من الرماة، وراءهم قومهم يشدون أزرهم؟

لذلك لم يلبث عاصم وصحبه أن قُتِلوا.

واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفر: «خبيب» و «زيد بن الدثنة» و «عبد الله

(١) وقعت أحداث هذه القصة بعد غزوة «أحد» سنة ٣ هـ.

ابن طارق» فاسترقهم الهذليون وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها.

ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين. فإن أولئك النفر، من الرجال الذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ فى «بدر» و «أحد» ولأهل مكة لديهم ثأرات يودون الاشتفاء منها[1]».

ونترك المجال للإمام البخارى يحدثنا عن قصتهم، التى رواها لنا أبو هريرة يقول رضى الله عنه: «بعث رسول الله ﷺ عشرة «عينًا[2]» فأمَّر عليهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم.

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا ما بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا.

فقال عاصم: أما أنا، فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا فى سبعة، ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق: منهم خبيب، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر[3]، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها.

فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر فوالله لا أصحبكم، إن لى بهؤلاء أسوة، يريد القتلى.

فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن

(١) انظر: فقه السيرة للغزالى (٢٩٤).
(٢) أى العيون التى تبث لتأتى بالأخبار.
(٣) هو عبد الله بن طارق كما أوضحت الرواية الأخرى.

الدثنة حتى باعوهما بمكة... فابتاع[1] بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا، وكان خبيب هو قاتل الحارث بن عامر يوم « بدر».

فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته.

فدرج بُنىٌّ لها، وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجْلِسُهُ على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل، قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين، فتركوه فركع ركعتين وقال: والله لولا أن تحسبوا أن بى جزع لزدت. اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا، وقال:

ولست أبالى حين أُقْتَلُ مسلمًا   على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

وكان خبيب هو الذى سَنَّ لكل مسلم قُتل صَبْرًا[2]، الصلاة.

وأبو سروعة أسلم، وروى الحديث عن رسول الله ﷺ.

قال سعيد بن عامر:

شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا:

(١) فابتاع: بمعنى اشترى.
(٢) قتل صبرًا: أى حبسًا.

أتحب أن محمدًا مكانك؟

فقال: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمدًا شيك بشوكة[١].

وعن إبراهيم بن إسماعيل، قال: أخبرنى جعفر بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عينًا إلى قريش.

قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيتُ فيها فحللت خبيبًا فوقع إلى الأرض فانتبذت عنه غير بعيد ثم التفتُّ فلم أر خبيبًا ولكأنما ابتلعته الأرض فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة[٢]. رضى الله عنه.



(١) انظر: صفة الصفوة (١/٣١٥).

(٢) نفس المرجع.

٤٩- زيد بن الخطاب

إنى أريد من الشهادة ما تريد

أتعرفون هذا الاسم؟ احفظوه.. فإن المرء يحشر مع من أحب. إنه: زيد بن الخطاب.

السيد الشهيد المجاهد التقى، أبو عبد الرحمن القرشى العدوى، أخو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. وكان أسمر طويلاً جدًا. شهد بدرًا والمشاهد.

ولقد قال له عمر يوم بدر: البس درعى.

قال: إنى أريد من الشهادة ما تريد.

قال: فتركاها جميعًا.

وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين «يوم اليمامة» وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرحال، فجعل زيد يقول:

أما الرحال فلا رحال، وأما الفرار فلا فرار.

ثم جعل يصيح بأعلى صوته:

اللهم إنى أعتذر إليك من فرار أصحابى وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، وجعل يشتد بالراية ينفذ بها فى نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة[1] فقال المسنمون: يا سالم

---

(١) تقدمت ترجمته رضى الله عنه.

إنا نخاف أن نؤتى من قبلك فقال: «**بِئس حـاملُ القـرآنِ أَنـا إنْ أُتِيتـمْ مـن قبلي**[١]».

وحزن عليه عمر رضي الله عنه... وكان لا يكاد يفارق ذاكرتـه.. يحـن إليه.. وتهفو نفسه إليه... وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي.

وكان يقول: «ما هبَّت الصَّبا إلا وأنا أجدُ ريحَ زيدٍ[٢]». رضي الله عنه.



(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٣٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢٩٨).

٥٠- ثابت بن قيس

خطيب الأنصار

من الأنصار الذين آووا ونصروا.. واتبعوا النور الذى أنزل على محمد ﷺ، من قبيلة الخزرج.

خطيب الأنصار. كان من نجباء الصحابة، ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا، وبيعة الرضوان.

وكان رضى الله عنه جهير الصوت، خطيبًا، بليغًا.

لما قدم النبى ﷺ المدينة... لقيه ثابت فقال لرسول الله ﷺ: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: «الجنة». قالوا: رضينا[(١)].

وكان رضى الله عنه يتفاعل مع آيات القرآن.. فيزن أحواله وأقواله بميزان الشرع المطهر.. فهو يحب أن يكون ربانيًا فى كل شىء.

عن أنس بن مالك أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى**﴾ إلى آخر الآية [الحجرات: ٢]، جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبى ﷺ فسأل النبى ﷺ سعد بن معاذ فقال:

«يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟».

قال سعد: إنه لجارى، وما علمت له بشكوى.

قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل

(١) رواه الحاكم (٣/٢٣٤)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

النار، فذكر ذلك سعد للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة[١]».

ومره ثانية، عندما نزل قول الله تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فأقضت مضجعه، وأرقت عليه حياته وخشى على نفسه.. وانطلق مسرعًا إلى رسول الله ﷺ! قال: إنى أخشى أن أكون قد هلكت، ينهانا الله أن نحب أن نحمد بما لا نفعل، وأجدنى أحب الحمد.

وينهانا الله عن الخيلاء، وإنى امرؤ أحب الجمال، وينهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا رجل رفيع الصوت، فقال: «يا ثابت! أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة[٢]».

هكذا كانوا مع إسلامهم.. فأفرز هذا الولاء عزَّة وقوة وخيرًا سادوا به الأرض، وقادوا به الأمم.

وعندما تخلى المسلمون عن دينهم فى عصورنا هذه المتأخرة.. أفرزت المعاصى جيلاً هزيلاً قدم كرامته لعدوه على طبق من ذهب.

ثابت يلبس الكفن فى أرض المعركة!!

لما استنفر أبو بكر رضى الله عنه المسلمين إلى قتال أهل الردة واليمامة ومسيلمة الكذاب، سار ثابت بن قيس فيمن سار، فلما لقوا مسيلمة وبنى حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة:

ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فجعلا لأنفسهما حفرة، فدخلا فيها، فقاتلا حتى قتلا.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٩).
(٢) **إسناده قوى**: لكنه مرسل. كما قال الحافظ فى «الفتح» (٦/٦٢١).

وعن أنس، قال: إن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوم اليمامة، وقد نشر أكفانه وتحنط وقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر مما صنع هؤلاء، فقتل[١].

وظفر البطل بالشهادة.. وزفت روحه الطاهرة إلى الملأ الأعلى لتسرح فى أنهار الجنة، وتأوى إلى قناديل معلقة عند عرش الرحمن.

ولتلحق بالركب المبارك.. الذى قدم كل شىء يملكه لله.. فنال هذا الشرف.. ورفع عليه هذا الوسام: ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**﴾ [الإنسان: ٢٢].

ضمائر حية حتى بعد الموت!!

شىء غريب.. أتسمعون عن رجل يوصى بقضاء دينه بعد موته؟!! ثم تنفذ وصيته؟! ويرشد إلى مكان درع له سرقت؟!!

اقرأ:

لما استشهد ثابت رضى الله عنه، رآه رجل - أى فى المنام - فقال له:

«إنى لما قتلتُ، انتزع درعى رجل من المسلمين، وخبأه، فأكب عليه برمة[٢]، وجعل عليها رحلاً، فائت الأمير، فأخبره، وإياك أن تقول: هذا حُلْمٌ، فتضيعه، وإذا أتيت المدينة، فقل لخليفة رسول الله ﷺ: إن علىَّ من الدين كذا وكذا، وغلامى فلان عتيق، وإياك أن تقول هذا حُلْم، فتضيعه، فأتاه فأخبره الخبر، فنفذ وصيته!!

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر - رواى الرواية - : «فلا نعلم أحدًا بعدما مات أنفذت وصيته غير ثابت بن قيس رضى الله عنه[٣]»

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٧٦٤).
(٢) **البرمة:** قدر من الحجارة.
(٣) قال الهيثمى: رواه الطبرانى، وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله=

وفى رواية: «فنظروا فوجدوا الدرع كما قال وأنفذوا وصاياه[١]».

وهذه منقبة عظيمة، وكرامة ظاهرة لهذا الصحـابى المبـارك. رضـى اللـه عنه.



=ثقات. المجمع (٩/٣٢٢). وقال البوصيرى: أصله فى صحيح البخارى.

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح ووافقه الذهبى. (٣/٢٣٤ - ٢٣٥).

٥١- العباس بن عبد المطلب

«من آذى العباس فقد آذانى» حديث شريف.

وهو عم رسول الله ﷺ.. أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وخرج مع قومه يوم بدر، فَأسِرَ يومئذٍ، فادعى أنه مسلم. فالله أعلم.

وليس هو فى عداد الطلقاء، فإنه كان قد قدم إلى النبى ﷺ قبل الفتح؛ ألا تراه أجار أبا سفيان بن حرب.

قال الذهبي: كان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتًا، مع الحلم الوافر، والسؤدد. وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطى فى النوائب. وكان النبى ﷺ يحبه حبًا جمًا.

فعن ابن عباس: أن رجلاً من الأنصار وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية، فلطمه العباس، فجاء قومه، فقالوا: والله لنلطمنه كما لطمه، فلبسوا السلاح.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فصعد المنبر، فقال: «أيها الناس، أى أهل الأرض أكرم على الله؟».

قالوا: أنت.

قال: «فإن العباس منى وأنا منه، ولا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا».

فجاء القوم، فقالوا: نعوذ بالله من غضبك يا رسول الله[١].

وأقبل العباس يومًا، فقال النبى ﷺ: «هذا العباس عم نبيكم، أجود قريش كفًا، وأوصلها[٢]».

---

(١) **إسناده حسن:** رواه الحاكم (٣/٣٢٩)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٣٢٨)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

موقفه يوم بيعة العقبة:

عن الشعبى، قال: انطلق النبى ﷺ بالعباس، وكان العباس ذا رأى، فقال العباس للسبعين - أصحاب بيعة العقبة - ليتكلم متكلمُكم ولا يطل الخطبة؛ فإن عليكم عينًا.

فقال أسعد بن زرارة: سل لربك ما شئت، وسل لنفسك ولأصحابك، ثم أخبرنا بما لنا على الله وعليكم.

قال ﷺ -: «أسالكم لربى أن تعبدوه، لا تشركوا به شيئًا، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تؤوونا، وتنصرونا، وتمنعونا ما تمنعون منه أنفسكم».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة». قالوا: فلك ذلك(١).

أسره يوم بدر:

خرج العباس مع المشركين يوم بدر مستكرهًا(٢)، وكان النبى قد أوصى أصحابه ألا يقتلوه، كما تقدم فى «ترجمة أبى حذيفة بن عتبة».

يقول أبو اليسر: نظرت إلى العباس يوم بدر، وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان، فقلت: جزاك الله من ذى رحم شرًا! أتقاتل ابن أخيك مع عدوه(٣)؟.

قال: ما فعل، أَقُتِلَ؟

قلت: الله أعزُّ له وأنصرُ من ذلك.

قال: ما تريد إلىَّ؟.

قلت: الأسر؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/٩)، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع.

(٢) ولم يقاتل يومئذ.

(٣) أى ما فعل رسول الله ﷺ.

قال: ليست بأول صلته. فأسرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ[١].

فقال النبى ﷺ لأبى اليسر: «كيف أسرته؟».

قال: لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا.

قال: «لقد أعانك عليه ملكٌ كريم[٢]».

ولما وقع العباس فى الأسر.. كان النبى لا ينام إشفاقًا عليه.

عن ابن عباس، قال: أمسى رسول الله ﷺ والأسارى فى الوثاق، فبات ساهرًا أول الليل، فقيل: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟.

قال: «سمعت أنين عمى فى وثاقه».

فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله ﷺ[٣]. وكان النبى ﷺ لا يطيق سماع أحد يؤذى العباس.

فعن المطلب بن ربيعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال رجال يؤذوننى فى العباس، وإن عمَّ الرجل صنوُ أبيه، من آذى العباس فقد آذانى[٤]».

الأدب مع رسول الله :

عن أبى رزين قال: قيل للعباس: أنت أكبر أو النبى ﷺ؟ قال: «هو أكبر وأنا ولدتُ قبله[٥]».

قلت: ولم يكن العباس صاحب هذا الأدب مع النبى وحده.. ولكن شاركه كل الصحابة رضى الله عنهم، بل والصالحون من بعدهم.

---

(١) أخرجه ابن سعد (١٢/٤).
(٢) نفس المرجع.
(٣) نفس المرجع.
(٤) أخرجه الترمذى (٣٧٥٨) فى المناقب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٥) قال الهيثمى فى «المجمع» (٢٧٠/٩): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

واسمع أيها القارئ الكريم إلى هذا الحوار: «وَرَدَ أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس فقلعه.

فقال له العباس: أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذى وضعه فى مكانه. فأقسم عمر: «لتصعدن على ظهرى، ولتضعنه فى موضعه[١]».

ثباته يوم حنين:

لما فر المسلمون يوم «حنين».. وثبت النبى ﷺ أمر العباس أن يهتف يومها: «يا أصحاب الشجرة».

وثبت رضى الله عنه وقت الهزيمة، وأخذ بلجام بغلة النبى ﷺ حتى نزل النصر[٢].

الدعاء المستجاب:

عن أنس، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا. قال: فيسقون[٣].

قال الحافظ فى «الفتح»: وقد بين الزبير بن بكار فى «الأنساب» صفة ما دعا به العباس فى هذه الواقعة، والوقت الذى وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر، قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس. وكان ذلك عام الرمادة سنة ثمان عشرة.

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (١/٢١٠).

(٢) **صحيح:** أصله فى صحيح مسلم (١٧٧٥) فى الجهاد باب فى غزوة حنين.

(٣) **صحيح:** أخرجه البخارى (٢/٤١٣) فى الإستسقاء.

إلى الدار الآخرة:

ولما دنا أجل العباس.. وقبل أن يدخل فى السياق.. أعتق سبعين مملوكًا عند موته.

ولما مات رضى الله عنه ... قالت عائشة بنت سعد: جاءنا رسول عثمان، ونحن بقصرنا على عشرة أميال من المدينة، أن العباس قد توفى، فنزل أبى وسعيد بن زيد، ونزل أبو هريرة من السمرة، فجاءنا أبى بعد يوم فقال:

ما قَدَرْنَا أن ندنو من سريره من كثرة الناس، غلبنا عليه، وكنت أحب حمله[1].

وروى ابن سعد فى الطبقات (٣٢/٤) أنه رضى الله عنه دفن فى البقيع.



(١) أخرجه ابن سعد (٣٢/٤).

٥٢- حارثة بن النعمان

يرتل القرآن فى الجنة!!

أتسمعون عن هذا الاسم؟ «حارثة بن النعمان»؟ احفظوه، فعند ذكره تنزل الرحمة. إنه أنصارى خزرجى..

شهد بدرًا، والمشاهد، وكان دينا خيِّرًا، برًّا بأمه. وبقى رضى الله عنه إلى خلافة معاوية.

سمعه النبى ﷺ يرتل القرآن فى الجنة!!

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءةً، قلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان كذاكم البر، كذاكم البر» وكان برًّا بأمه[١].

فهذه منقبه عظيمة، والله يمنُّ على من يشاء من عباده.

وهناك منقبة عظيمة أخرى لا ينالها إلا المقربون.

يروى لنا حارثة رضى الله عنه هذه المنقبة بنفسه، فيقول: «رأيت جبريل من الدهر مرتين: يوم الصَّوْرَيْن[٢] حين خرج رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة، مر بنا فى صورة دحية[٣]، فأمرنا بلبس السلاح؛ ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حُنَيْن، مررت وهو يكلم النبى ﷺ، فلم أسلم. فقال جبريل: من هذا يا محمد؟.

---

(١) قال الهيثمى: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٧٣٦).

(٢) **الصورين:** موضع بالمدينة بالبقيع.

(٣) هو دحية الكلبى صحابى جليل جميل، كان جبريل ينزل على صورته.

قال: «حارثة بن النعمان».

فقال: «أما إنه من المائة الصابرة يوم حنين الذين تكفل الله بأرزاقهم فى الجنة، ولو سَلَّم لرددنا عليه[(١)]».

وروى بإسناد منقطع: أن حارثة كُفَّ - أى بصره - فجعل خيطًا من مصلاه إلى حجرته، ووضع عنده مكتلاً فيه تمر وغيره؛ فكان إذا سلم مسكين، أعطاه منه، ثم أخذ على الخيط حتى يأتى إلى باب الحجرة، فيناول المسكين.

فيقول أهله: نحن نكفيك. فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مناولة المسكين تقى ميتة السوء[(٢)]».

توفى رضى الله عنه فى خلافة سيدنا معاوية.

ومن ذريته: المحدث أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان الأنصارى. ولد عمرة الفقيهة، المدنية، روى حديثها الستة.



---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه ابن سعد بدون سند، وفى الباب عند الطبرانى برقم (٣٢٢٥). وقال الهيثمى: إسناده حسن. المجمع (٩/٣١٤).

(٢) رواه الطبرانى (٣/٢٥٨).

٥٣- أبو موسى الأشعرى

«مؤمن منيب» حديث شريف

الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ. أبو موسى الأشعرى التميمى الفقيه المقرئ «عبد الله بن قيس» اليمنى.

أسلم بمكة، ثم قدم مع أهل السفينتين بعد فتح خيبر بثلاث، فقسم لهم النبى. وغزا وجاهد مع رسول الله ﷺ، وحمل عنه علمًا كثيرًا. ولى البصرة لعمر وعثمان؛ وولى الكوفة، وبها مات، وكان ممن هاجر إلى الحبشة رضى الله عنه.

قال الإمام الذهبى - رحمه الله -: «قد كان أبو موسى صوَّامًا قوَّامًا ربانيا زاهدًا عابدًا، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا[(١)]».

ويحكى لنا أبو موسى رضى الله عنه قصة هجرته، فيقول: «خرجنا من اليمن فى بضع وخمسين من قومى، ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشى، وعنده جعفر وأصحابه؛ فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلىَّ[(٢)]».

وكان النبى ﷺ يحبه حبًا جمًا هو وقومه.

فعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقدم عليكم غدًا قومٌ هم أرق

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وغيرهم.

قلوبًا للإسلام منكم» فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غــدًا نــلقـــى الأحبـــة   مـحــمـدًا وحـــزبـــــه

فلما أن قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[١].

وعن عياض الأشعرى، قال: لما نزلت: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤].

قال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه[٢]».

حلاوة صوته بالقرآن:

لم يكن فى أصحاب رسول الله ﷺ أحد أحسن صوتًا من أبى موسى رضى الله عنه.

فعن أبى موسى رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود[٣]».

وعن أنس، قال: إن أبا موسى كان حلو الصوت. فقام ليلة يصلى، فسمع أزواج النبى ﷺ، فقمن يستمعن. فلما أصبح، قيل له: إن النساء سمعتك.

قال: لو علمت لحَبَّرتكنَّ تحبيرًا، ولشوقتكن تشويقًا[٤].

وقال أبو عثمان النهدى: ما سمعت مزمارًا ولا طنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبى موسى؛ إن كان ليصلى بنا فنود أنه قرأ البقرة، من حسن صوته[٥].

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٣/١٥٥) وغيره.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٣١٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم، وانظر: صحيح سنن الترمذى (٣٠٢٩).

(٤) **إسناده صحيح**: ابن سعد فى «الطبقات» (٤/١٠٩).

(٥) ابن عساكر (٥٢٧) من طريق الإمام أحمد.

وعن أبى سلمة: كان عمر إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له: ذكِّرنا يا أبا موسى فيقرأ(١).

وعن أبى نضرة: قال عمر لأبى موسى: شوقنا إلى ربنا. فقرأ فقالوا: الصلاة. فقال: أولسنا فى صلاة(٢)!

حياؤه وعفته:

قال أبو موسى: لأن تملئ منخرى من ريح جيفة أحب إلىَّ من أن يمتلئ من ريح امرأة(٣).

وعن أنس: أن أبا موسى كان له سراويل يلبسه مخافة أن يتكشف(٤).

واعظ من السماء:

عن أبى موسى، قال: غزونا فى البحر، فسرنا؛ حتى إذا كنا فى لُجَّة البحر، سمعنا مناديًا ينادى يا أهل السفينة، قفوا أخبركم، فقمت، فنظرت يمينًا وشمالاً، فلم أر شيئًا، حتى نادى سبع مرار، فقلت: ألا ترى فى أى مكان نحن، إنا لا نستطيع أن نقف.

فقال: ألا أخبرك بقضاء قضى الله على نفسه: إنه من عطَّش نفسه لله فى يوم حار، كان حقًا على الله أن يرويه يوم القيامة.

قال: وكان أبو موسى لا تكاد تلقاه فى يوم حار إلا صائمًا(٥).

ومن شدة إخلاصه رضى الله عنه كان لكلامه حلاوة.. قد وضع الله فيه تأثيرًا عجيبًا.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/١٠٩) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. سير (٢/٣٩١).

(٢) **إسناده صحيح**: ابن سعد (٤/١٠٩).

(٣) **رجاله ثقات**. سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٩).

(٤) ذكره ابن عساكر (٥٣٥، ٥٣٦).

(٥) أخرجه ابن عساكر (٥٣١، ٥٣٢) قال الأرنؤوط: ورجاله ثقات خلا لقيط - وهو أبو المغيرة، فإنه لا يعرف بجرح ولا تعديل. هامش سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٣).

عن أبى لبيد، قال: «ما كنا نُشَبِّه كلام أبى موسى إلا بالجزار الذى ما يخطئ المفصل(١)».

نماذج من جهاده رضى الله عنه:

عن أبى موسى، قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعرى على جيش أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر فى ركبته بسهم، فأثبته.

فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه.

فقصدت له، فلحقته، فلما رآنى، ولى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحى؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟.

قال: فكف، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته.

ثم رجعت إلى أبى عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك.

قال: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزل منه الماء.

فقال: يا ابن أخى، انطلق إلى رسول الله ﷺ، فأقره منى السلام، وقل له: يستغفر لى. واستخلفنى أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا، ثم مات.

فلما قدمنا، وأخبرت النبى ﷺ، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد أبى عامر» حتى رأيت بياض إبطيه.

ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» فقلت: ولى يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس(٢) ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا(٣)».

---

(١) **إسناده صحيح**: ابن سعد (١١١/٤).

(٢) نوهنا فى بداية ترجمته رضى الله عنه أن اسمه «عبد الله بن قيس».

(٣) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وغيرهما: **وأوطاس**: واد فى ديار هوازن.

الاستعداد للموت:

من علامة الخير في المسلم الإكثار من طاعة الله، وعمل الخيرات كلما طال عمره ودنا من لقاء ربه.. فيموت على خير أحايينه.

والنبي ﷺ سئل: من أكيس الناس؟ فقال: «أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس[1]».

وكان التيمي رحمه الله يقول: «شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى».

ومن أشد استعدادًا لما بعد الموت من أصحاب رسول الله ﷺ؟

روى صالح بن موسى الطلحي، عن أبيه، قال: اجتهد الأشعري قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك؟

قال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها؛ والذي بقي من أجلي أقل من ذلك[2].

وتوفي رحمه الله في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، على الصحيح كما ذكر الذهبي.



(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩). وغيره.

(٢) ذكره ابن عساكر (٥٣٤).

٥٤- أبو أيوب الأنصارى

صاحب الوصية العجيبة

من هو؟

إنه السيد الكبير، أبو أيوب الأنصارى الخزرجى البدرى، الذى خَصّه النبى ﷺ بالنزول عليه فى بنى النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سَوْدة، وبنى المسجد الشريف.

شهد أبو أيوب بدرًا، ثم لم يتخلف عن غزاة إلا عامًا، استعمل على الجيش شاب، فقعد، ثم جعل يتلهف، ويقول:

ما علىَّ من استعمل علىَّ فمرض، وعلى الجيش يزيد بن معاوية، فأتاه يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنامِتُّ، فاركب بى، ثم تبلغ بى فى أرض العدو ما وجدت مساغًا؛ فإذا لم تجد مساغًا، فادفنى، ثم ارجع.

فلما مات، ركب به، ثم سار به، ثم دفنه. وكان يقول:

قال الله: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾ [التوبة: ٤١]، لا أجدنى إلا خفيفًا أو ثقيلاً[١].

احترامه للرسول ﷺ:

عن أبى رُهم: أن أبا أيوب حَدَّثه أن رسول الله ﷺ نزل فى بيتنا[٢]

---

(١) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد (٣/٤٨٥)، ورجاله ثقات (سير ٢/٤٠٥).

(٢) أى لما هاجر من مكة ونزل المدينة.. نزل ضيفًا كريمًا على أبى أيوب، وهذا شرف عظيم.

الأسفل، وكنت في الغرفة[١]، فأهريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء، ونزلت، فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة.

فأمر بمتاعه فنقل - ومتاعه قليل - قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام، فأنظر، فإذا رأيت أثر أصابعك، وضعت فيه يدي[٢].

شدة حب الصحابة لرسول الله ﷺ:

لم ينس أصحاب النبي ﷺ إكرام أبي أيوب لرسول الله ﷺ عندما نزل ضيفًا عليه.. مما جعل ابن عباس - رضي الله عنهما - يبالغ في تكريمه.

عن أبي حبيب بن أبي ثابت: أن أبا أيوب قدم على ابن عباس بالبصرة، ففرَّغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ، كم عليك؟

قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، ومتاع البيت[٣].

إتباعه للأثر:

عن محمد بن كعب، قال: كان أبو أيوب يخالف مروان، فقال: ما يحملك على هذا؟ قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصلي الصلوات، فإن وافقته، وافقناك، وإن خالفته، خالفناك[٤].

وصية عجيبة عند الموت:

عن أبي ظبيان، قال. أغرى أبو أيوب، فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صاففتم العدو، فارموني تحت أقدامكم أما إني سأحدثكم

(١) أي في الدور الثاني.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٤٢٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٤٦١، ٤٦٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات. المجمع (٢/٦٨).

حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول:

«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة».

قلت: ولعله رضى الله عنه أرد أن يدفن فى أرض العدو.. ليشحذ همم المسلمين.. بتحرير هذه الأرض من أعداء الله.. وكأنه يثبت ملكيتها للمسلمين، والله أعلم.



٥٥- زيد بن ثابت

شيخ المقرئين

إنه الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيين، مفتي المدينة أبو سعيد، وأبو خارجة الخزرجي الأنصارى، كاتب الوحى، رضى الله عنه.

وكان من حملة الحجة، وكان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة.

وهو الذى تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك.

وقد قتل أبوه قبل الهجرة يوم بعاث، فَرُبّى زيد يتيمًا.

وكان أحد الأذكياء. فلما هاجر النبى ﷺ، أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبى ﷺ أن يتعلم خط اليهود؛ ليقرأ له كتبهم. قال: «فإنى لا آمنهم».

عن خارجة، عن أبيه، قال: أتى بى النبى ﷺ مقدمة المدينة، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بنى النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ؛ فأعجبه ذلك، وقال: «يا زيد! تعلم لى كتاب يهود؛ فإنى والله ما آمنهم على كتابى».

قال: فتعلمته. فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم[١]».

قال زيد: قال لى رسول الله: «أتحسن السريانية؟». قلت: لا. قال:

(١) **إسناده حسن**: أخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» ٣/٣٨٠، وأبو داود (٣٦٤٥) وغيرهما.

«فتعلمها». فتعلمتها فى سبعة عشر يومًا[(١)].

وفى رواية! أنه قال: أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود. فقال: «إنى والله ما آمن يهود على كتاب».

قال: فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له.

قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبو إليه قرأت له كتبهم[(٢)]».

قلت: وهكذا ينبهنا النبى ﷺ لمخططات حكماء صهيون، فإنهم يمكرون بهذه الأمة من بداية ولادتها.. والله من ورائهم محيط.

كاتب الوحى:

نال هذا الصحابى شرف كتابة وحى السماء، وكان النبى ﷺ يستدعيه لهذه المهمة الجليلة.

قال زيد: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى، بعث إلى، فكتبته[(٣)].

وروى البخارى عن البراء، قال لى رسول الله ﷺ: «ادع لى زيدًا، وقل له: يجيء بالكتف والدواة».

قال: فقال: «اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله»وخلف النبى ﷺ ابن أم مكتوم - وكان أعمى - فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزلت مكانها: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [النساء ٩٥].

قلت: وتقدم الحديث عن جمعه للقرآن فى ترجمة «أبى بكر الصديق رضى الله عنه».

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١٨٢/٥) وغيره.

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذى وانظر: فضائل صحابة النبى للشيخ العدوى (٦٢).

(٣) أخرجه الطبرانى، وقال الهيثمى فى المجمع (١٧/٩): إسناده حسن.

موقف خالد بعد وفاة النبى ﷺ:

«لما توفى رسول الله ﷺ، قام خطباء الأنصار، فتكلموا، وقالوا: رجل منا، ورجل منكم. فقام زيد بن ثابت، فقال:

إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ونحن أنصاره؛ وإنما الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره.

فقال أبو بكر: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم[(١)].

وهكذا يتجلى الولاء الكامل لله ولرسوله.. فلا مجال للهوى وتسلط الشيطان.

علمه رضى الله عنه:

عن ابن عباس، قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد ابن ثابت، من الراسخين فى العلم[(٢)].

وكان ابن عباس - رغم رسوخ قدمه، وعلو كعبه فى العلم - يحترم زيدًا..

فعن أبى سلمة، أن ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت، فأخذ بركابه، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ! فقال: إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[(٣)]!!

ابن عباس يمسك بلجام دابة زيد!! هل يتعظ المتطاولون على رموزنا الإسلامية؟!!

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٥/١٢٢) وقال الذهبى: إسناده صحيح: (سير ٢/ ٤٣٣).

(٢) نسبه الحافظ فى «الإصابة» إلى البغوى، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) **إسناده حسن:** أخرجه الحاكم (٣/٤٢٣) وقال: صحيح، وأقره الذهبى.

وقال مسروق: كان اصحاب الفتوى من اصحاب رسول الله ﷺ: عمر، وعلى، وابن مسعود، وزيد، وأُبىٌّ، وأبو موسى.

مسألة شرعية:

عن مسروق، عن عبد الله - أى ابن مسعود - أنه كان يقول فى أخوات لأب وأم، وإخوة وأخوات لأب: للأخوات للأب والأم الثلثان، فما بقى، فللذكور دون الإناث.

فقدم مسروق المدينة، فسمع قول زيد فيها، فأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتترك قول عبد الله؟

فقال: كان زيد يشرك بين الباقين(١).

ونذكر القارئ أن الإمام مسروق كان تلميذاً لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ومع ذلك لم يتعصب لشيخه.. ولكنه يدور مع الدليل حيث دار وهذا هو الإنصاف.. وهذا درس عظيم لطلاب العلم.

حاله مع أهله:

إن أسعد الناس بالداعية إلى الله، وبالمسلم الحق هم أهله كما فى الحديث الصحيح: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى» وهكذا كان زيد بن ثابت.

عن ثابت بن عبيد، قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس فى أهله.

وفاته رضى الله عنه:

وبعد حياة حافلة بالعطاء.. أجملها الإمام الذهبى بقوله: «ومن جلالة زيد: أن الصديق اعتمد عليه فى كتابة القرآن العظيم فى صحف، وجمعه

---

(١) **إسناده صحيح**: تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥١). وقوله: «يشرك بين الباقين» أى: يسوى بينهم فى القسمة.

من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرقاع، واحتفظوا بتلك الصحف مدة، فكانت عند الصديق؛ ثم تسلمها الفاروق، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حفصة، إلى أن ندب عثمان، زيد بن ثابت ونفرًا من قريش إلى كتابة هذا المصحف العثماني، الذى به الآن فى الأرض أزيد من ألفى ألف نسخة(١). ولم يبق بأيدى الأمة قرآن سواه؛ ولله الحمد(٢)».

أقول: بعد هذا العمر المبارك، والجهد الميمون.. انتقل إلى جوار ربه راضيًا مرضيًا.

وصلى عليه مروان.

ولما مات رضى الله عنه، قال أبو هريرة: مات خير الأمة! ولعل الله أن يجعل فى ابن عباس منه خَلَفًا.

وعن عمار بن أبى عمار، قال: لما مات زيد، جلسنا إلى ابن عباس فى ظلٍ، فقال: هكذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علم كثير.

رضى الله تعالى عن زيد بن ثابت.. ووفقنا الله لاتباعه، وحشرنا فى زمرته.



(١) كان هذا العدد فى عصر الذهبى رحمه الله، أما الآن فأنه لا يحصى من كثرته.
(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٤٤١).
(٢) أخرجه ابن سعد (٢/٣٦٢) وغيره، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. (سير ٢/٤٣٩).

٥٦ – أبو قتادة الأنصاري

فارس رسول الله ﷺ

أبو قتادة الأنصارى السلمى.

هو: فارس رسول الله ﷺ. شهد أُحُدًا والحديبية.

قال رسول الله ﷺ: «خَيْر فُرْسَاننا أبو قَتَادة، وخَيْرُ رجَّالَتِنا سَلَمةُ بنُ الأَكْوَع»(١).

عَزَائِم تَفُلُّ الحَديد!!.

نلتقط من حياة هذا المجاهد الربانى صورًا تدل على شجاعته وفضله.

الصورة الأولى:

يحكيها أبو قتادة بنفسه، يقول رضى الله عنه: «إنِّى لأغسل رأسى، قد غسلتُ أحد شِقَّيه، إذ سمعتُ فرسى جِرْوة تَصهُلُ، وتبحث بحافرها. فقلت: هذه حربٌ قد حَضَرتْ فَقمتُ، ولم أغسلْ شِقَّ رأسى الآخر، فركبتُ، وعلىَّ بُرْدةٌ، فإذا رسول الله ﷺ يصيح: «الفَزَعَ! الفَزَعَ»!

قال: فأدرك المقداد(٢)، فسايرتُه ساعة، ثم تَقدَّمه فرسى، وكان أجود من فرسه.

وأخبرنى المقداد بقتل مسعدة، مُحرِزًا - يعنى ابنَ نضلة - فقلتُ للمقداد: إما أنْ أموت، أو أَقْتل قاتل مُحرز.

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه الطبرانى (٣٢٧٠) وغيره.

(٢) هو المقداد بن عمرو الصحابى رضى الله عنه.

فضرب فرسه، فلحقه أبو قتادة، فوقف له مسعدة، فنزل أبو قتادة فقتله، وجَنَب فرسه معه.

قال: فلمَّا مَرَّ الناسُ، تلاحقوا، ونظروا إلى بُردى، فعرفوها، وقالوا: أبو قتادة قُتِل! فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكنه قتيلُ أبى قتادة عليه بُردُهُ، فخلوا بينه وبين سَلبه وفرسه».

قال: فلما أدركنى، قال: «اللهم بَارِك له فى شَعْرِه وبَشَره، أفْلَحَ وَجْهُك! قَتَلْتَ مسعدة؟».

قلت: نعم.

قال: «فما هذا الذى بوجهك؟».

قلت: سهمٌ رُميتُ به.

قال: «فَادْنُ مِنِّى». فبصق عليه، فما ضَرَب علىَّ قط ولا قاح. فمات أبو قتادة وهو ابنُ سبعين سنة؛ كأنه ابنُ خمس عشرة سنة.

قال: وأعطانى فرس مسعدة وسلاحه(١).

الصورة الثانية:

وهى صورة حَيَّة من أرض المعركة «يوم حنين» يرويها لنا أبو قتادة أيضًا فيقول:

«خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فَلَمَّا التقينا، رأيت رجلاً قد علا المسلمين، فاستدرت له من ورائه، فضربتهُ بالسيف على حبل عاتقه، ضربة قطعت منها الدِّرع، فأقبل علىَّ، وضمَّنى ضَمَّة وجدتُ منها ريح الموت، ثم أرسلنى، ومات، إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَل قتيلاً له بَيِّنَةٌ، فَلَه سَلَبُه» فقمت، فقلتُ: مَنْ يشهدُ لى؟ وقصصتُ عليه، فقال رجلٌ:

(١) رواه الطبرانى فى «المعجم الصغير» (٢/١٥٢) و«المستدرك» (٣/٤٨٠).

صدق يا رسول الله، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى، فأرْضِه منه.

فقال أبو بكر: لاها الله، إذًا لا يَعْمدُ إلى أَسَد من أُسْد الله يقاتِلُ عن الله ورسوله، فيُعطيك سَلَبه! فقال النبىُّ ﷺ: «صدق» فأعطانيه، فبعتُ الدِّرْعَ، وابتعتُ به مَخْرَفًا فى بنى سلمة؛ فإنه لأول مال تأثّلته فى الإسلام(١).

الصورة الثالثة:

قال عبد الله بن عُبَيْد بن عمير: أن عمر بعث أبا قتادة، فَقَتَل مَلِك فارس بيده، وعليه مِنطقة، قيمَتها خمسة عشر ألفًا، فنفلها إياه عمر(٢).

حارس النبى ﷺ:

عن أبى قتادة، قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، إذ تأخَّرَ عن الراحة، فَدَعْمتُهُ بيدى، حتى استيقظ، فقال:

«اللهمَّ احْفَظْ أبا قتادةَ كما حَفِظنى منذُ الليلة، ما أرانا إلا قد شققنا عليك»(٣).

وفاته:

تُوفِّى رضى الله عنه فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

«وصَلَّى علىٌّ على أبى قتادة، فكبرَّ عليه سبعًا» رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٣/٣٠٤) ورجاله ثقات.



---

(١) **صحيح**: الموطأ (٢/١٠، ١٢)، والبخارى ومسلم وغيرهم، **حبل العاتق**: عَصَبه **والعاتق**: موضع الرداء من المنكب، **المخرف**: البستان. **تأثلته**: أى اقتنيته. لاها الله: أى لا والله.

(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات. (سير ٢/٤٥٢).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الطبرانى (٣٢٧١)، وهو عند مسلم.

٥٧ - عِمران بن حصين

الصحابى الذى كانت تعوده الملائكة!!

من هذا الصحابى الذى نال هذا الشرف ... رجل تعوده الملائكة ... وتسلم عليه؟!! نعم، إنه الصحابى المبارك، والإمام القدوة، عِمران بن حصين «أبو نُجَيد الخزاعى».

أسلم هو وأبوه وأبو هريرة فى وقت واحد، سنة سبع.

وولى قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم؛ فكان الحسن البصرى يحلف: ما قدم عليهم البصرة خيرٌ لهم من عِمران بن حصين.

وعن محمد بن سيرين، قال:

ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضل على عمران بن حصين.

غزا رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ غزوات، ولم يزل فى بلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة، فنزلها ومرض بها[١].

وقال ابن سيرين:

سُقِى بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يُعْرَض عليه الكَىُّ فيأبى أن يكتوى، حتى كان قبل وفاته بسنتين فاكتوى[٢].

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٣٤٦).
(٢) أخرجه ابن سعد (٤/٢٨٨). **والسقى:** ماء أصفر يقع فى البطن.

تعوده الملائكة!!

قال مطرف بن عبد الله: قال عِمرانُ بن حُصَيْن:

أحدثك حديثا عسى الله أن ينفعك به: إنَّ رسول الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات، ولم ينزلْ فيه قرآن، يُحَرِّمه، وأنه كان يُسَلَّم عليَّ - يعنى الملائكة - قال: فلما اكتويتُ، أمسك ذلك؛ فَلمَّا تركتهُ، عاد إليَّ»[1].

الأدب مع النبى ﷺ:

عن عمران بن حصين رضى الله عنه، قال:

«ما مسستُ ذكرى بيمينى منذُ بايعتُ بها رسول الله ﷺ »[2].

اعتزاله للفتنة:

«كان رضى الله عنه فيمن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علىّ».

وعن أبى قتادة: قال لى عِمرانُ بن حصين: الزمْ مسجدك.

قلت: فإن دُخِلَ عليَّ؟

قال: الزَمْ بيتَك.

قلت: فإن دُخل عليَّ؟

قال: لو دخل عليَّ رجلٌ يُريدُ نفسى ومالى، لرأيتُ أن قد حَلَّ لى أن أقتله[3].

الصبر على المرض:

مَرض رضى الله عنه ثلاثين سنة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٢٢٦) (١٦٧) فى الحج.

(٢) **رجاله ثقات**: رواه الحاكم (٤٧٢/٣) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

(٣) **رجاله ثقات**: وهو فى «الطبقات» (٢٨٨/٤).

وكان ينهى عن الكيّ، فـابْتُلى، فـاكتوى، فكـان يَعِـجُّ!، أى مـن الألـم، وعن مطرف، قلت لعمران: ما يمنعنى من عيادتك إلا ما أرى من حالك.

قال: فلا تفعلْ، فإن أحَبَّه إلىَّ أحبُّه إلى الله(١).

وكان رضى الله عنه يقول:

اكتوينا، فما أفلحن، ولا أنجحن، يعنى المكاوى(٢).

وتوفى سنة اثنتين وخمسين رضى الله عنه.



(١) **رجاله ثقات**: ابن سعد (٤/٢٩٠) .

(٢) **إسناده صحيح**: أبو داود (٣٨٦٥) وغيره.

٥٨ - جرير بن عبد الله

يوسف هذه الأمة!!

هو: جرير بن عبد الله البجلى، الأمير النبيل الجميل . . من قحطان. من أعيان الصحابة. بايع رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

قال الحافظ الذهبى: كان بَدِيعَ الحُسن، كاملَ الجمال.

قال جرير: لما دنوت من المدينة، أنخت راحلتى، وحللتُ عيبتى، ولبستُ حُلَّتى، ثم دخلت المسجد؛ فإذا برسول الله ﷺ يخطبُ؛ فرمانى الناسُ بالحدق[1]. فقلت لجليسى: يا عبد الله، هل ذكر رسول الله من أمرى شيئًا؟ قال: نعم، ذكركَ بأحسن الذِّكر، بينما هو يخطبُ، إذ عرضَ له فى خُطبته، فقال:

«إنه سيدخُلُ عليكم من هذا الفجِّ من خير ذى يَمَن؛ ألا وإنَّ على وَجْهه مسحةُ مَلَك». قال: فحمدت الله[2].

أدب النبوة:

عن عدى بن حاتم، قال:

لما دخل - يعنى جريرا - على النبى ﷺ، ألقى له وسادة، فجلس على الأرض. فقال النبى ﷺ:

«أشهدُ أنَّكَ لا تَبْغِى عُلُوًّا فى الأرض ولا فسادًا» فأسلم.

---

(١) أى: نظروا إليه بأعينهم.

(٢) **إسناده قوى**: أحمد فى «المسند» (٤/٣٦٤)، الأرنؤوط (سير ٢/٥٣١).

ثم قال النبى ﷺ: «إذا أتاكم كريمُ قوم، فأكرموه»[١].

قلت: أسلم جرير رضى الله عنه فى السنة العاشرة من الهجرة وكان رضى الله عنه لا يَثْبُت على الخيل، فدعا له النبى ﷺ.

فعن جرير: أن النبى ﷺ قال له: «ألا تريحنى من ذى الخَلَصَة[٢]، بيت خثعم». وكان يُسمَّى: الكعبة اليمانية.

قال: فخرّبناه، أو حرقناه حتى تركناه كالجمل الأجرب. وَبعثَ إلى ﷺ يُبشِّرُه، فَبَرَّك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

قال: وقلتُ يا رسول الله، إنى رجل لا أثبتُ على الخيل. فوضع يده على وجهى، وفى لفظ: فوضع يده فى صدرى، وقال:

«اللهمَّ، اجعلْهُ هاديًا مَهْدِيًّا».

وفيه: انطلقت فى خمسين ومائة فارس من أَحْمَس[٣].

ثناء الصحابة عليه:

عن جرير، قال:

رآنى عمرُ بن الخطاب مُجَرَّدًا، فنادانى: خُذ ردَاءَك، خُذ رداءك. فأخذت ردائى؛ ثم أقبلت إلى القوم، فقلتُ: ما له؟

قالوا: لما رآك متجرِّدًا، قال:

ما أرى أحدًا من الناس صُوِّر صورة هذا، إلا ما ذُكر من يوسف عليه السلام[٤].

---

(١) لهذا الحديث شواهد ضعيفة عند ابن ماجه، والبزار وغيرها يرتقى بها إلى الحسن. الأرنؤوط (سير ٢/٥٣٢).

(٢) **ذو الخلصة:** بالفتح أو بالضم، صنم.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم وأحمد.

(٤) **رجاله ثقات:** ذكره الحافظ فى «الإصابة» (٢/٧٧) ونسبه للبغوى.

وفى رواية لجرير رضى الله عنه، أن عمر قال:

جرير يوسف هذه الأمة[١]

وعن علىّ بن أبى طالب، قال: «جرير منا أهل البيت، ظهرًا لبطن، قالها ثلاثًا»[٢].

وعن الشعبى:

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد ريحا، وفى رواية: فتنفس رجل، يعنى أحدث، فقال: عزمتُ على صاحب هذه الريح لمَّا قام فتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعًا؟.

فقال عمر رضى الله عنه: رحمك الله، نعم السَّيِّد كنت فى الجاهلية، ونعم السيد أنت فى الإسلام[٣].

جهاده:

ساهم جرير رضى الله عنه فى قتال الأعداء، فى مواقع كثيرة، وضرب بسهم وافر وأبلى بلاءً حسنًا.

قال الشعبى: «كان على ميمنة سعد بن أبى وقاص يوم القادسية جرير ابن عبد الله».

وقال ابن سعد: «وقال يزيد بن جرير عن أبيه أن عمر قال له، والناس يتحامَوْن العراق وقتال الأعاجم: سِرْ بقومك فما غَلْبتَ عليه، فلك رُبعه.

فلما جُمعت الغنائم غنائم جَلُولاء، ادَّعَى جرير أن له رُبع ذلك كُلّه.

(١) **رجاله ثقات:** الأرنؤط. (سير ٢/٥٣٥).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥٣٤). وذكر مرفوعا، ولكن لا يصح.
(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٣٧٦).

فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك، فكتب عمر: صَدَق جرير، قد قلتُ ذلِك له.

قال: فإن شاء أن يكون له هو وقومه على جُعْلٍ، فأعطوه جُعْلَه، وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه وجنته، فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم الكتابُ على سعد أخبر جريرًا بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لى بذلك، أنا رجل من المسلمين(١).

وهكذا كان التجرد لله تعالى . . فكانوا يهدون بالحق وبه يعدلون.

ولما نشبت الفتنة، اعتزلها رضى الله عنه. . ولم يزل معتزلا لعلى ومعاوية بالجزيرة ونواحيها، حتى تُوفى بالشَّراة فى ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة(٢).

رضى الله عنه وأرضاه.



(١) انظر: صفة الصفوة (٣٧٦/١).

(٢) ابن سعد (٢٢/٢).

٥٩ - أبو ثعلبة الخشنى

مات وهو ساجد!!

أبو ثعلبة الخشنى، صاحبُ رسول الله ﷺ.

قال الدارقطنى وغيره: هو من أهل بيعة الرضوان، وأسهم له النبى ﷺ يوم خيبر، وأرسله إلى قومه، وأخوه عمرو بن جرهم، أسلم على عهد النبى ﷺ [١].

ولمَّا علم رضى الله عنه بحقيقة هذا الدين، وأسْلَم، أيقن بأن هذا الدين سيكتب له الخلود، وسوف يمكن الله تعالى لأهله، ويَمَنّ سبحانه وتعالى على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين.

يقول أبو ثعلبة:

أتيت النبى ﷺ، فقلت: يا رسول الله، اكْتبْ لى بأرض كذا وكذا بالشام - لم يظهر عليها النبيُّ ﷺ حينئذ - فقال: «ألا تسمعون ما يقول هذا؟».

فقال أبو ثعلبة: والذى نفسى بيده، لنظهرنّ عليها فكتب له بها[٢]!!.
انظروا إلى الثقة فى وعد الله تعالى ألم يقل النبى ﷺ لخباب كما تقدم معنا: «والله ليتمَّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضْرموت ..» الحديث.

ومن كلامه:

عن إسماعيل بن عبيد الله، قال:

---

(١) الإصابة (٧/٢٧٦)، ترجمة عمرو بن ثعلبة الخشنى.
(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد فى «المسند» (٤/١٩٣، ١٩٤).

بينا أبو ثعلبة الخشنى، وكعب جالسَيْن، إذ قال أبو ثعلبة: يا أبا إسحاق، ما من عبد تفرغ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا.

قال كعب: فإن فى كتاب الله المنزل[(١)]: من جعل الهموم همًّا واحدًا، فجعله فى طاعة الله، كفاه الله ما همَّه، وضمن السماوات والأرض، فكان رزقُه على الله وعملُه لنفسه. ومن فَرَّق همومه، فجعل فى كل وادٍ همًّا؛ لم يُبال الله فى أيّها هلك.

قال الإمام الذهبى، معلِّقًا:

«قلت: من التفرغ للعبادة السعىُ فى السبب، ولاسِيَّما لمن له عيال، قال النبى ﷺ:

«إن أفضل ما أكل الرجلُ من كَسْب يمينه»[(٢)].

أما من يعجزُ عن السبب، لضعف، أو لقلة حيلة، فقد جعل الله له حظًّا فى الزكاة[(٣)].

مَوْتَةٌ كَرِيمَةٌ:

طالت الحَياةُ بأبى ثعلبة رضى الله عنه، واشتاق إلى لقاء الله تعالى، وكانت له أمنية فى حياته، وهى: أن يلقى رَبَّه وهو ساجد.

وكان يقول: «إنى لأرجو ألاّ يخنقنى الله كما أراكم تُخنقون».

فبينا هو يُصَلّى فى جوف الليل، قُبض، وهو ساجد.

فرأت بنته أنَّ أباها قد مات، فاستيقظت فَزِعةً، فنادتْ أُمَّها: أين أبى؟

---

(١) ورد هذا فى حديث شريف، والمذكور بالمعنى.

(٢) **إسناده حسن فى الشواهد**: رواه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط» من حديث ابن عمر بلفظ: «أفضل الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» ورجاله ثقات كما قال الهيثمى فى «المجمع» (٤/٦١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٠).

قالت: فى مُصلاَّه. فنادته، فلم يُجبْها، فأنبهته، فوجدته ميتًا[١].

قال أبو حسان الزيادى، وأبو عبيد: توفى سنة خمس وسبعين. رضى الله عنه.



(١) انظر: الإصابة (١١/٥٦).

٦٠ – معاوية بن أبى سفيان

خال المؤمنين، وكاتب وحى رسول رب العالمين

من هو؟

هو: معاوية بن أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس عبد مناف ... أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشيُّ الأمويُّ المكى(١). «خال المؤمنين، وكاتب وحى رسول رَبِّ العالمين»(٢).

وأمه هى هِند بنت عتبة بن ربيعة.

قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عُمْرة القضاء، وبقى يخاف من اللحاق بالنبي ﷺ من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامُه إلا يومَ الفتح.

ذكر ابن أبى الدنيا وغيره: أن معاوية كان طويلا، أبيض، جميلاً.

فضائله:

١ – عن عبد الرحمن بن أبى عميرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال لمعاوية:

«اللهمَّ اجْعَلْه هَاديًا مَهْديًا واهد به»(٣).

٢ – وعن أبى إدريس الخولانى قال: لما عَزل عمرُ بن الخطاب، عمير بن سعد عن حمص، ولى معاوية. فقال الناس: عزل عُميرًا وولى معاوية!؟

فقال عمير: لا تذكر معاوية إلا بخير، فإنى سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/١٢٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٥/٦١٩).

(٣) **صحيح**: انظر: صحيح سنن الترمذى (٣٠١٨)، الصحيحة (١٩٦٩).

يقول: «اللهمَّ اهد به»(١).

٣- وعن عبد الله عمرو، قال: «كان معاوية يكتبُ لرسول الله ﷺ »(٢).

٤ - وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «اللهمَّ عَلِّم مُعاوية الكتاب، والحساب، وَقِه العذاب»(٣).

قلت: وهناك أحاديث كثيرة فى فضله لم يصح منها شيء فَضَرَبْتُ عنها صَفْحًا وهناك أخبار وردت فى ذَمِّه ليست صحيحة أيضا، وما صح منها له تأويل.

ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الشام، وأقَرّه عثمان.

قال الإمام الذهبى:

«قلت: حسبُكَ بمن يؤمِّره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر، فيضبطه، ويقومُ به أتَمَّ قيام، ويُرضى الناس بسخائه وحِلْمه، وإنْ كان بعضُهم تألم مرةً منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيرُهُ من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجلُ ساد، وساس العالم بكمال عقله، وفرطِ حلْمه، وسَعَةِ نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وله هنات وأمور، والله الموعد.

وكان مُحبَّبا إلى رعَيَّته. عمل على نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهجهُ أحَد فى دولته، بل دانت له الأمم، وحَكم على

(١) **صحيح بما قبله**: صحيح سنن الترمذى (٣٠١٩).
(٢) **رجاله ثقات**: الأرنؤوط «سير أعلام النبلاء ١٢٣/٣».
(٣) رواه أحمد فى «المسند» (١٢٧/٤). وفى إسناده: (الحارث بن زياد الشامى) قال الحافظ فى «التقريب»: لين الحديث، وباقى رجاله ثقات. وقال الذهبى: وللحديث شاهد قوى.

العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك»(١).

وصية النبي ﷺ له:

جاء في مسند الإمام أحمد: «أن معاوية، أخذ الإداوة، وتبع بها رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إليه، وقال:

«يا معاوية؛ إن وليتَ أمرًا، فاتق الله واعْدلْ».

يقول معاوية:

فما زلتُ أظنُّ أني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ، حتى ابتليت»(٢).

ثناء الصحابة عليه:

عن كُريب مولى ابن عباس: أنه رأى معاوية صلّى العشاء، ثم أوتر بركعة واحدة لم يزد، فأخبر ابن عباس، فقال:

أصاب، أى بُنيّ! ليس أحدٌ منا أعلم من معاوية، هى واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر(٣).

وقال مجالد، عن الشعبى، عن الحارث، عن على بن أبى طالب قال:

«لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تندر عن كواهلها(٤).

هجوم مريب!!

اتخذ الطاعنون فى دين الله تعالى الخلاف الذى دار بين على ومعاوية

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/١٣٣).
(٢) **رجاله ثقات**: رواه أحمد فى «المسند» (٤/١٠١).
(٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات وهو فى «مسند الشافعى» ١/١٠٨. (سير ٣/١٥٢).
(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٢/٣٧٨).

رضى الله عنهما متكئًا لضرب الدين، والتشكيك فى نوايا أصحاب رسول الله ﷺ، وقلبوا الأمور . . وضلت أفهام . . وزلت أقدام وساعدهم على ذلك قلة فهمهم لهذا الدين، ثم المرويات الباطلة المدسوسة على التاريخ لتزوير المفاهيم، وإظهارًا للحق نوضح رأى علماء الإسلام.

فماذا قال علماء المسلمين، وفقهاء الملة عن هذا الخلاف؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

«... ثم ما كان بينه، أى معاوية، وبين علىّ بعد مقتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأى، فجرى بينهما قتال عظيم ... وكان الحق والصواب مع على، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين، كما ثبت فى الحديث الصحيح: «تمرق مارقة على خير فرقة المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق» فكانت المارقة الخوارج، وقتلهم علىّ وأصحابه، ثم قُتِل علىٌّ، فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين، وكان يغزو الروم فى كل سنة مرتين، مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس، وحجّ هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين. وفيها أو فى التى بعدها أغزاه بلاد الروم ... فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت فى الصحيح: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»[1].

وقال الحافظ الذهبى رحمه الله:

«ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببرىءٍ من الهَنَات، والله يعفو عنه»[2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/٦٢٩، ٦٣٠)، وراجع هناك ترجمة معاوية.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/١٥٩).

فانظر أخى القارئ إلى أدب الذهبى رحمه الله . . وإنصافه.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عَمَّن يَلْعَن معاوية فماذا يجب عليه؟

فأجاب:

«الحمد لله، من لعن أحدًا من أصحاب النبى ﷺ، كمعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما . . . فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين وتنازع العلماء: هل يعاقب بالقتل؟ أو ما دون القتل؟ . . . .»[(١)].

وقال الميمونى: قال لى أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام[(٢)].

وقال الفضل بن زياد:

سمعت أبا عبد الله، أى أحمد بن حنبل، يُسئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضى؟.

فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا و له خبيئة سوء، ما انتقص أحَدٌ أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء[(٣)].

أما بعد: فهذا رأى علماء الأمة فى سلفها الأبرار، فماذا يقول المتطاولون فى عصرنا؟! ولحساب مَنْ هذا الهجوم المريب على أصحاب رسول الله ﷺ واتهامهم بالغباء والخيانة!!

يقول الداعية الكبير: الشيخ محمد الغزالى رحمه الله:

«الواقع أن الحزن خامرنى وأنا أرى التافهين يخاطبون السابقين الأولين

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/٣٧، ٣٨) ط دار الوفاء.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/٦٤٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/٦٤٤).

بهذا الأسلوب الفاجر، وإذا كان القادة الفاتحون يعاملون بهذا التهجُّم والاستهانة فهل يبقى للأمم تاريخ؟ .

إن نبينا صلوات الله وسلامه عليه استبعد من جماعة المسلمين مَنْ فقد الأدب الواجب مع الكبار وتعمد خدش أقدارهم فقال:

«ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».

إننى أقول ذلك لأنى لاحظت نابتة من الغوغاء تَتَبَّعُ الأَعلام من رجالنا، بدءًا من العصر الأول إلى هذا العصر فلا ترى سنى إلا ردمتْه، ولا غلطة إلا كبرَّتْها ألف مرة!

لمصلحة من يتم هذا الجَوْر؟

لحساب مَنْ تبدو أمتنا هزيلة فى عالم يحاول فيه النحاف أن يسمنوا؟»[1].

وفاته رضى الله عنه:

لما احتُضر رضى الله عنه أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال، كأنه أراد أن يطيب له، لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله . . . ثم ثقل بعد ذلك، فقال: «تبًا لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميرًا، وعشرين خليفة، ثم هذا حالى فيك، ومصيرى منك، تبًّا للدنيا ولمحبيها.

وتمثل بقول الشاعر:

إنْ تُناقشْ يَكُنْ نَقاشُكَ يارِبُّ ... عَذَابًا لا طَوْقَ لى بالعذابِ
أوْ تُجَاوِزْ تَجاوِز العَفْوَ واصْفَحْ ... عن مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كالتّرابِ

وقال محمد بن سيرين:

جعل معاوية لما احتُضر يضع خَدَّه على الأرض ثم يقلّب وجهه، ويضع

(١) الحق المر لفضيلته صـ ١١٦، ١١٧ بتصرف.

الخدّ الآخر ويبكى ويقول: اللهم إنك قلت فى كتابك:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

اللهم اجعلنى فيمن شئت أن تغفر له(١).

وجاء فى كتاب «الإحياء»: «لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال: أقعدونى، فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى، وقال:

تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط! ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان، وبكى حتى علا بكاؤه، وقال:

يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى، اللهم أقل العثرة واغفر الزلَّةَ وعد بحلمك على مَنْ لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك»(٢).

وعن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران: عن أبيه، أن معاوية أوصى(٣) فقال:

«كنت أُوَضِّئ رسول الله ﷺ، فنزع قميصه وكسانيه، فرفعتُه، وخبأتُ قُلامة أظفاره، فإذا مِتُّ، فألبسونى القميص على جلدى، واجعلوا القُلامة مسحوقة فى عينى، فعسى الله أن يرحمنى ببركتها»(٤).

رضى الله عنه وأرضاه.



(١) انظر: البداية النهاية (٥/٦٤٦، ٦٤٧).

(٢) انظر: الإحياء للغزالى (٤/٤٨٠).

(٣) أى عند الموت.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٢/٣٢٣)، تاريخ الطبرى (٥/٣٢٦، ٣٢٧).

٦١ - سعد بن عبيد

شهيد «يَنْعَى» نفسه!!

احفظوا هذا الاسم «سعد بن عبيد» فإن له نبأ عجيبًا، وخبرًا غريبًا.

كان المسلمون يسمونه «سعد القارئ».

فقد كان رخيم الصوت، رقيق النبرات، يقرأ آيات الله تعالى فيملأ النفوس روعة ومهابة وجلالا. فترق القلوب وتنهمر الدموع وتفاعل القرآن فى قلب «سعد بن عبيد» فملأه خشية ومهابة، وشوقا إلى الله تعالى . . . فكان إذا التحم مع أعداء الله تتوق نفسه إلى الشهادة لينتظم مع صفوف «الذين أنعم الله عليهم».

وكان أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

ولم يتخلف عن مشهد شهده الرسول ﷺ.

«وحين مضى الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، واشرأبت الأعناق المنافقة تجهر بالرِّدَّة، كان سعد بن عبيد فى مقدمة الكتيبة المؤمنة التى وأدت الرِّدة فى عقر دارها فى اليمامة.

كان سعد بن عبيد يقذف بنفسه، فى أرض المعركة، ليظفر بالرضوان. ولكن إرادة الله تعالى تخرجه سالمًا بعد كل عراك.

وجاءت حملة فتح العراق التى سيرها الخليفة العادل عمر بن الخطاب، فإذا بسعد بن عبيد فى مقدمة المجاهدين، يقاتل الكافرين فى النهار، وينكب على القرآن العظيم فى الليل.

وانتقلت الحملة من نصر إلى نصر، حتى كان «يوم الجسر»[1] حين تكاثرت سيوف الفرس، وأفيالهم، من حول المسلمين، فقتل صاحب لوائهم أبو عبيد الثقفى إذ برك فوقه فيل ضخم، ثم قتل أخوه، ثم قتل ابنه جبر، وكلُ يسلم اللواء للآخر، حتى تسلَّمه المثنى بن حارثة فانحاز بالمسلمين إلى مأمن يقيهم شر الهلكة الشاملة.

وكان سعد بن عبيد آنذاك من الذين نجوا بأنفسهم من الموت، فلمَّا هدأ هدير العراك، وثاب سعد إلى نفسه، هاله ما أقدم عليه من إثياره للنجاة، وهو الذى كان يقذف بنفسه فى كل أتون يطلب الاستشهاد.

وما زالت تلك الزلة تؤرقه وتقض مضجعه، حتى نادى منادى الخليفة عمر يندب المؤمنين للحاق بركب سعد بن أبى وقاص المتوجه لقتال الفرس، فيجدها سعد بن عبيد فرصة يمحو بها زلته « يوم الجسر»، فيأخذ البطل سيفه، ويركب فرسه وييمم وجَهْهَ شطر سعد بن أبى وقاص لينتظم فى صفوف المجاهدين . . وتحت راية التوحيد. ويلحق بركب سعد بن أبى وقاص.

ويبعث سعدُ بن أبى وقاص، سعدَ بن عبيد، رسولا إلى «النعمان بن المنذر» ملك الحيرة النصرانى الذى تصدى لمقابلة المسلمين بأمر من سيده «كسرى»، ويدخل سعد بن عبيد بلاط النعمان شامخ الرأس، فيصيح به الحُجّاب أن يركع للمَلِك، فيزدريهم، ويمضى حتى يصل إلى عرش النعمان، فيؤدِّى له الرسالة التى يحملها بعزة وشموخ، إمَّا الإسلام، أو الجزية عن يد وهم صاغرون، أو فالسيف بيننا وبينكم.

ويعود سعد بن عبيد، وهو يحمل إلى قائده، جواب النعمان الذى أخذته العزة بالإثم، واستحوذ عليه الشيطان ... وأبى إلا القتال.

---

(١) سُمِّى بجسر أبى عبيد.

وفى اليوم التالى جهز سعد بن أبى وقاص جيشه، فجعل سعد بن عبيد على الميمنة، واحتدم العراك يومين، وتناثرت الرءوس بدون حساب، ثم هدأ صوت المعركة فى مساء اليوم الثانى، فبرز سعد بن عبيد بين جنده أصحاب الميمنة، وخطب فيهم يقول:

«يا معشر من باع نفسه لله، إنا ملاقو العدو غدًا، وإنا مستشهدون، فلا يغسلن عنا دم، ولا نكفن إلا فى ثيابنا !!!».

ويسرى فى الجند همس خاشع: كأن سعدًا ينعى إلينا نفسه.

وكذلك كان، ففى اليوم الثالث لمعركة القادسية، يوم «الهرير»، أقبل سعد بن عبيد على القتال إقبال من يدق أبواب الجنة دقًا، وكان له ما أراد. إذ سقط شهيدًا يطرق أبواب الجنة والرضوان. وانتصر المسلمون يومذاك انتصارًا مبينًا. وطارت الأنباء إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالبشرى، فيحمد الله تعالى ويثنى عليه، ثم يأتيه نبأ استشهاد سعد بن عبيد، فينزل عليه نزول الصاعقة، فيأسى أسى شديدًا ويقول لمن حَوْلَه:

«والله لقد كاد مقتل سعد بن عبيد يُنَغِّص علىَّ هذا الفتح»[١].

رضى الله عن سعد وأرضاه.



(١) انظر: مواقف بطولية من صنع الإسلام. زيادة أبو غنيمة (٧٧ - ٨٠).

٦٢ - عمرو بن العاص

«أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص» حديث شريف

من هو؟

هو: الإمام الأمير عمرو بن العاص بن وائل.

داهيةُ قريش، ورجلُ العالم، ومن يضرب به المثلُ فى الفطنة، والدَّهاء، والحَزْم.

هاجر إلى رسول الله ﷺ مُسْلِمًا فى أوائل سنة ثمان، مرافقًا لخالد بن الوليد، وحاجب الكعبة عثمان بن طَلحة، ففرح النبى ﷺ بقدومهم وإسلامهم، وأمَّر عَمرًا على بعض الجيش، وجهزه للغزو.

قال البخارى: ولاَّه النبىُّ ﷺ على جيش ذات السلاسل. نزل المدينة ثم سكن مِصْرَ، وبها مات.

فضائله:

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال النبىُّ ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام»(١).

٢- وعن عقبة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص»(٢).

٣- قال الذهبى: وصَحّ عن أبى عثمان النهدِّىِّ، عن عمرو أن النبى ﷺ

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (٢/٣٠٤) وغيره.

(٢) **إسناده حسن:** أحمد (٤/١٥٥)، والترمذى (٣٨٤٤).

استعَملهُ على جيش ذات السلاسل، وفيهم أبو بكر وعمر[١].

قال الذهبى أيضًا:

«وكان من أَجَلِّ رجال قريش رأيًا، ودهاءً، وحَزْمًا، وكفاءةً، وبصرًا بالحروب، ومن أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين، والله يغفرُ له ويعفو عنه، ولولا حُبُّه للدنيا ودخولُه فى أمور، لصَلَحُ للخلافة، فإن له سابقة ليست لمعاوية. وقد تأمَّر على مثل أبى بكر وعُمر، لبصره بالأمور ودهائه»[٢].

إسلامه رضى الله عنه:

عن قيس بن سمى، أن عمرو بن العاص قال: يا رسول الله! أبايُعك على أن يُغْفَر لى ما تقدم من ذنبى؟

قال: «إن الإسلام والهجرة يَجُبَّان ما كان قَبْلَهُمَا».

قال: فوالله إنى لأشدُّ الناس حياءً من رسول الله ﷺ. فما ملأت عينى منه ولا راجَعْتُه[٣].

قلت: وكانت له قصة مع مهاجرة «الحبشة» انظرها فى ترجمة «جعفر بن أبى طالب».

إخلاصه رضى الله عنه:

عن موسى بن علىّ، عن أبيه، سمع عمرًا، يقول: بعث إلىّ رسولُ الله ﷺ فقال:

«خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتنى» فأتيتُه وهو يتوضأ، فصَعَّد فىَّ

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٧/١٨، ١٩). مسلم (٢٣٨٤).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٥٩).
(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/٢٠٤).

البَصَر، وصوَّبه، فقال:

«إني أريد أن أبعثك على جيش، فيُسلِّمك اللهُ ويُغْنمك، وأَرغبُ لَكَ رغبة صالحةً من المال» قلت: يا رسول الله! ما أسلمتُ من أجل المال، ولكني أسلمت رغبةً في الإسلام، ولأن أكونَ مع رسول الله ﷺ قال: «يا عمرو: نعمَّا بالمال الصَّالح للرجل الصالح»(١).

فقهه رضي الله عنه:

كان أصحاب النبي ﷺ يجمعون بين العلم والعمل . . كان أحدهم إمامًا في الصلاة، وإمامًا في الجهاد، ورأسًا في العلم والعمل وبهذا قادوا الأمم . . ودانت لهم البلاد . وما تأخرت أمَّةٌ إلا بعد أن قَدَّمت الإمّعَات، وأخَّرَت الثِّقات . . وقاد المخنثون رحى المعارك، ومن نظر إلى عمرو بن العاص يراه قائدًا في المعارك، فقيهًا في دينه. يقول رضي الله عنه:

«احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال:

«يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جُنُب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئًا»(٢).

جهاده رضي الله عنه:

نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص، فقال: «ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا».

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود والبيهقي، وعلقه البخاري في «صحيحه» (١/٣٨٥).

وإذا تتبعنا مواقف جهاده . . ضاق المقام عن ذكرها وحصرها ويكفى أن نعلم أنه:

١ - شهد اليرموك وأبلى بلاءً حسنًا.

٢ - بعثه أبو عبيدة، فصالح أهل حلب وأنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عنوة.

٣ - سار إلى مصر، وافتتحها.

٤ - فتح الإسكندرية.

٥ - افتتح طرابلس الغرب سنة أربع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث فماذا قَدَّم مُبْغِضوه للإسلام؟!!.

ولقد افترى أعداء الإسلام عليه أقوالاً هو برىء منها فتنبه.

أما ما حدث يوم «صِفّين» . . فلقد أشبعنا الكلام عن ذلك فى ترجمة «معاوية رضى الله عنه» فانظره هناك.

والتوقف فى مثل هذه الأمور أسلم، ونقول كما قال العبد الصالح: «هذه فتن نَجَتْ منها أيدينا فلا نخوض فيها بألسنتنا والموعد الله».

نهاية الأمير وأقواله عند الموت:

١- عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص: عجبًا لمن نزل به الموتُ وعقلُه معه، كيف لا يصفُه؟ فلما نزل به الموت، ذكره ابنهُ بقوله، وقال: صِفْه، قال: يا بُنيَّ! الموتُ أَجَلُّ من أن يوصف، ولكنى سأصفُ لك؛ أجدنى كأنَّ جبال رَضْوى على عُنُقى، وكأن فى جَوْفى الشوك، وأجدنى كأنَّ نفسى يخرج من إبرة[1].

٢ - وعن عبد الله بن عمرو؛ أن أباه قال حين احتُضر:

(١) أخرجه ابن سعد (٤/٢٦٠).

اللهم إنك أمرت بأمور، ونهيت عن أمور، تركنا كثيرًا مما أمرت، ورتعنا فى كثير مما نهيت. اللهم لا إله إلا أنت. ثم أخذ بإبهامه، فلم يزلْ يهلِّلُ حتى فاض، رضى الله عنه(١).

وعن أبى نوفل بن أبى عقرب، قال:

جزع عمرو بن العاص عند الموت جَزَعًا شديدًا، فقال ابنُه عبد الله: ما هذا الجزع، وقد كان رسولُ الله ﷺ يُدْنيك ويستعملك! قال: أىْ بُنَى قد كان ذلك، وسأخبرك، أى والله ما أدرى أَحُبًّا كان أم تأَلُّفًا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يُحبُّهما، ابن سُمَّية، وابن أم عبد(٢).

فلمّا جَدَّ به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: «اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعُنا إلاَّ مغفرتك. فكانت تلك هجيراه حتى مات»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو، أن أباه أوصاه:

إذا مِتُّ، فاغسلنى غَسْلةً بالماء، ثم جففنى فى ثَوْب، ثم اغسلنى الثانية بماء قَرَاح، ثم جففنى، ثم اغسلنى الثالثة بماء فيه كافور، ثم جففنى وألبسنى الثياب وزرَّ علىَّ، فإنى مُخَاصَم. ثم إذا أنت حملتنى على السرير، فامش بى مشيًا بين المشيين، وكن خلف الجنازة، فإنَّ مَقدَّمها للملائكة(٤). وخلفها لبنى آدم، فإذا أنت وضعتنى فى القبر، فَسُنَّ(٥) علىَّ التراب سَنًّا.

(١) ذكره ابن عساكر (٢٦٨/١٣/ب). **يهلل**: يقول: لا إله إلا الله. **فاض**: مات وخرجت روحه.

(٢) **ابن سمية**: هو: عمار بن ياسر، **ابن أم عبد**: هو: عبد الله بن مسعود.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أحمد فى «المسند» (١٩٩/٤، ٢٠٠).

(٤) **قال الألبانى**: «وكل من المشى أمامها وخَلْفها، ثبت عن النبى ﷺ فعلاً». أحكام الجنائز (٧٣).

(٥) **سُنَّ علىّ**: أى: صُب علىَّ.

ثم قال: «اللهم إنَّك أمرتنا فأضعنا، ونهيتنا فركبنا، فلا برىء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلا أنت، وما زال يقولها حتى مات[(١)].

قال يحيى بن بكير:

تُوفى عمرو بن العاص بمصر ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين، ودفن يوم الفطر، وصلَّى عليه ابنه عبد الله، وسنه نحو من مائة سنة[(٢)]. وخلف أموالاً كثيرة، وعبيدًا، وعقارًا[(٣)].

رضى الله عنه.



(١) **إسناده قوى** طبقات ابن سعد (٤/٢٦٠).
(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله إلى قائله ثقات. المجمع برقم (١٥٩٠١).
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٧٧).

٦٣ - محمد بن مسلمة

«لا تَضرّه الفِتْنَة» حديث شريف

هو: محمد بن مسلمة بن سلمة بن حُرَيْش الأنصارى الأوسىّ. شهد بدرًا والمشاهد بعدها.

قال ابن سعد: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى عبيدة، واستخلفه فى غزوة تبوك على المدينة[1].

قال الذهبى:

«وكان رضى الله عنه مِمَّن اعتزل الفتنة. ولا حضر الجمل، ولا صفين؛ بل اتَخَّذَ سيفًا من خشب، وتَحوَّل إلى الرَّبذة، فأقام بها مُدَيدةً»[2].

وقد استعمله عُمر على زكاة جُهَيْنة. وقد كان عُمر إذا شُكى إليه عاملٌ، نَفَّذ محمدًا إليهم ليكشف أمره.

وهو الذى قتل كعب بن الأشرف اليهودى، كما فى «الصحيحين».

قتله لكعب بن الأشرف اليهودى:

كعب بن الأشرف طاغية اليهود، الذى خان عهده مع المسلمين، وجعل يؤلب قريشًا وَيُحرضها على العرب، ويقول عن قتلى بدر من المشركين: هؤلاء أشرافُ العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها.

عن جابر بن عبد الله، قال:

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢/٣٠٥) للإمام الذهبى ط. دار الغد العربى.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٩). الإصابة (٩/١٣٢).

قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله».

فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟

قال: «نعم» قال: فأذن لى أن أقول شيئًا.

قال: «قل».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: أن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإنى قد اتيتُك أستسلفك.

قال: وأيضا والله لتُمِلنَّه قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقيْن. فقال: نعم، ارهنونى.

قالوا: أىّ شيء تريد؟ قال: ارهنونى نساءكم.

قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟!

قال: فارهنونى أبناءكم.

قالوا: كيف نرهنك ابناءنا فيُسب أحدهم، فيقال: رُهن بوسقٍ أوْ وسقيْن؟! هذا عارٌ علينَا، ولكنا نرهنك اللاّمة[1]. فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟.

فقال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة.

قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطُر منه الدم.

---

(١) **اللامة**: يعنى السلاح.

قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة؛ إن الكريم[١] لو دُعى إلى طعنة بليل لأجاب.

ويدخل محمد بن مسلمة معه رجالٌ: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر، فقال: إذا ما جاء فإنى قائلٌ بشَعْره فأشمّه، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فنزل إليهم متوشّحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحًا - أىْ أطيب.

قال: عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

فقال: أتأذن لى أن أشمَّ رأسك؟

قال: نعم. فشمه، ثم أشمّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لى؟

قال: نعم: فلما استمكن منه قال: دونكم فاقتلوه. (فقتلوه)[٢]، ثم أتوْا النبى ﷺ فأخبروه»[٣].

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

عن موسى بن أبى عيسى، يقال:

أتى عُمر مشربة بنى حارثة، فوجد محمد بن مسلمة، فقال: يا محمد، كيف ترانى؟ قال: أراك كما أُحِبُّ، وكما يُحبُ من يُحِبُّ لك الخير، قَويًّا على جمع المال، عفيفًا عنه، عدلاً فى قسمه، ولو مِلْتَ عَدَّلْناك كما يُعَدَّل السَّهمُ فى الثقاف. قال: الحمد لله، الذى جعلنى فى قَومٍ إذا مِلْتُ عَدَّلونى[٤].

(١) أى كرم عند هذا اللَّعين.

(٢) ما بين المعقوفتين من كلامنا ليتضح المعنى.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) **رجاله ثقات،** لكنه منقطع. الأرنؤوط هامش (سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٢).

اعتزاله للفتنة:

لما نشبت الفتنة، وأطلّت برأسها . . اعتزل محمد بن مسلمة وسكن «الرّبذة».

عن أبى بُردةِ، قال:

مررنا بالرَّبذة، فإذا فسطاط محمد بن مَسْلَمة، فقلتُ: لو خرجتَ إلى الناس، فأمرت ونهيت؟

فقال: قال لى النبىُّ ﷺ:

«يا محمد، ستكون فُرقة، وفتنة واختلاف، فاكسِرْ سَيْفَك، واقطعْ وَتَرَك، واجلس فى بيتك». ففعلْتُ ما أمرنى(١).

عن حذيفة، قال:

ما من أحد إلا وأنا أخاف عليه الفتنة إلا ما كان من مُحمَّد بن مَسْلَمة، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضُرُّه الفِتْنَة»(٢).

وعن الحسن: أن النبى ﷺ أعطى محمد بن مسلمة سيفًا، فقال:

«قاتل المشركين، فإذا رأيت المسلمين قد أقبل بعضُهم على بعض، فاضرب به أُحُدًا حتى تقطعه، ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يَدٌ خاطئة، أو مَنية قاضية»(٣).

وفى رواية لزيد بن أسلم: «فلما قتل عثمان خرج إلى صخرة، فضربها بسيفه حتى كسره(٤).

(١) أخرجه أحمد (٤٩٣/٣) وفيه على بن زيد، ضعيف، وباقى رجاله ثقات.
(٢) **رجاله ثقات**: أخرجه البغوى. الإصابة (١٣٢/٩).
(٣) **رجاله ثقات**، لكنه منقطع، الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة، رواه أحمد (٢٢٥/٤).
(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٣٠٦/٢).

وقال إسحاق بن أبى فروة:

كان محمد يقال له حارس نبى الله ﷺ، فلما كسر سيفه اتخذ سيفًا من خشب، وصيَّره فى الجفن فى داره، وقال: علَّقْتهُ أهيب به ذاعرًا.

صفة موته رضى الله عنه:

وعن جابر بن عبد الله قال:

قدم معاوية ومعه أهل الشام، يعنى إلى المدينة، فبلغ رجلاً شَقيًّا من أهل الأردن جلوس محمد بن مسلمة عن علىٍّ أو معاوية، فاقتحم عليه المنزل فقتله(١).

كان ذلك فى سنة ثلاث وأربعين فى صفر كما رجّحه الذهبى فى «تاريخ الإسلام».



(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢/٣٠٦).

٦٤ - خالد بن الوليد
سيف الله

من هو؟

إنه خالد بن الوليد بن المغيرة . . . سيف الله تعالى، وفارسُ الإسلام، ولَيْث المشاهد، السيد الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشيُّ المخزوميّ المكيُّ، وابنُ أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

هاجر مسلمًا فى صفر ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراءُ رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابنُ عَمِّه جعفر ذو الجناحين، وابنُ رواحة، وبقى الجيش بلا أمير، فتأمَّر عليهم فى الحال خالدٌ، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر وسمَّاه النبى ﷺ سيف الله.

وشهد الفتح وحُنينًا، وتأمَّر فى أيام النبى ﷺ . . . وحارب أهل الرِّدة، ومسيلمة، وغزا العراق، وقطع المفازة من حَدِّ العراق إلى أول الشام فى خمس ليال فى عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق فى جسده قِيدُ شبر إلا وعليه طابع الشهداء.

ومناقبه غزيرة، أمَّره الصِّدِّيق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو، وأبو عبيدة.

عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرّت أعينُ الجبناء(١).

تُوفى بحمص، وهذا هو المشهور عند الجمهور، سنة إحدى وعشرين.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٣٦٦، ٣٦٧).

مواقف تاريخية من حياته:

الموقف الأول: بعد فتح مكة:

لما فتح النبى ﷺ مكة فى عام «الفتح» أرسل خالدًا إلى اللات والعُزّى فأتى خالد عليها فقال:

يا عُزُّ كُفْرَانَكِ لا سُبحانكِ ... إنّى رأيتُ اللهَ قَدْ أهانَك

وعن قتادة أن النبى ﷺ بعث خالدًا إلى العُزَّى، وكانت بهوازن، وسدنتها بنو سُلَيم، فقال: انطلقْ، فإنه يخرج عليك امرأة، شديدةُ السواد، طويلة الشعر، عظيمة الثديين، قصيرة، فقالوا يحرضونها:

يا عُزُّ شُدِّى شدةً لا سواكها ... على خالدٍ ألقى الخمار وشمِّرى

فإنّك إنْ لا تقتلى المَرْءَ خالدًا ... تَبُوئى بذنبٍ عاجلٍ وتُقَصِّرى

فشدّ عليها خالد، فقتلها، وقال: ذهبت العُزَّى فلا عُزَّى بعد اليوم[١].

الموقف الثانى: لقاؤه مع هُرْمُز:

قال حميد بن منيب: قال جَدِّى أَوْس، لم يكن أحدٌ أعدى للعرب من هُرمز، فلما فرغنا من مسيلمة أتينا ناحية البصرة، فلقينا هرمز «بكاظمة» فبارزه خالد، فقتله، فنفله الصديق سَلَبَه، فبلغت قلنسوته مائة ألف درهم!!.

الموقف الثالث: يوم مؤتة:

تقدم معنا أن خالد بن الوليد تأمّر على المسلمين بعد استشهاد القواد الثلاثة، يقول خالد:

لقد رأيتنى يوم مُؤْتة اندق فى يدى تسعةُ أسياف، فصبرتْ فى يدى صفيحة يمانية»[٢].

(١) انظر: ابن هشام (٢/٤٣٦ - ٤٣٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤٢٦٥).

ويومها قال النبى ﷺ عن خالد:

« . . . . ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[١].

وعاد بالجيش إلى المدينة، وجنّبه خسارة مُحققة رضى الله عنه.

الموقف الرابع:

لما خرج أبو بكر رضى الله عنه إلى أهل الرِّدة كان خالد بن الوليد يحمل لواءه، فلما تلاحق الناس به استعمل خالدًا ورجع إلى المدينة، وكان خالد يقول: ما أدرى من أى يومىّ أفرّ؟ من يوم أراد الله عز وجل أن يهدى لى فيه شهادة أو من يوم أراد الله عز وجل أن يهدى لى فيه كرامة؟ [٢].

الموقف الخامس:

يوم اليمامة:

بعد أن فشل عكرمة بن أبى جهل، وَشُرَحبيل بن حَسَنَة - رضى الله عنهما - فى القضاء على المرتدين فى اليمامة، سار إليها خالد بن الوليد - رضى الله عنه - فلمَّا كان على بعد ليلة من معسكر مسيلمة، هجم على مفرزة من بنى حنيفة بإمرة «مجاعة بن مرارة الحنفى» قوّتُها ما بين ثلاثين أو أربعين فارسًا، فأسرهم وقُتل أصحاب «مجاعة» واستحياه رهينة لشرفة فى بنى حنيفة. والتقى الجمعان فى عقرباء، واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل، وانهزم المسلمون حتى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد، ولكنّ المسلمين عادوا فاقتتلوا، فقال خالد:

«يا أيها الناس، امتازوا، لنعلم بلاء كلِّ حىٍّ، ولنعلم من أين نُؤتى».

وكان النصر بعد جهد جهيد لأنصار دين الله، وانتصر ثلاثة عشر ألف مسلم على رجال مسيلمة وعددهم حوالى «أربعين ألف مقاتل أو أكثر»،

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤١٣/٧) وغيره.

(٢) انظر: صفة الصفوة (٣٣٢/١).

وقُتل من بنى حنيفة في معركة «اليمامة» أربعة عشر ألفا، وقُتل منهم فى الطلب سبعة آلاف، وقُتل عدو الله مسيلمة، وقتل من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة، وثلاثمائة من التابعين، وقتل من القُرَّاء خمسمائة، فكان جملة من قتل من المسلمين «ألفًا ومائتى شهيد» أى أن نسبة شهداء المسلمين إلى قتلى المشركين تُعادل ستة بالمائة فقط، وهذا يعدُّ من أروع الإنتصارات.

معاركه مع الفرس:

خاض خالد بن الوليد - رضى الله عنه - معارك كثيرة ضد الفرس نذكر منها:

معركة «كاظمة»:

وفيها كان قائد الفرس «هرمز»، أرسل إليه خالد رسالةً مع رجل اسمه «ازاذبة» وكان نص رسالة خالد:

«أما بعد، فأسْلِمْ تَسْلَمْ، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذِّمَّة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».... ورفض «هرمز» الإسلام، واستعد للحرب.

وكان خالد قمة فى سياسته العسكرية، وقدرته على المناورة وخداع، العدو، لإنزال الهزيمة به بأقل خسارة ممكنة فى جيش الإسلام، فتوقع «هرمز» أن خالدًا سيتجه بجيشه إلى «كاظمة» فى أول الأمر، فوجّه كافة قواته إلى «كاظمة»، واستعدَّ جُنْدُه وحفروا الخنادق، ولكن خالد الذى قسم جيشه وفرّقه إلى ثلاث فرق، لم يحملهم على طريق ليُعَمِّى وجهته عن عدوه، فيظل فى حيرة من أمره حتى آخر لحظة، وأربك خالد القائد الفارسى وفَتَّت أعصابه، فتخطىّ «كاظمة» واتجه نحو الحفير الواقعة شمال كاظمة وغربى «الأبلَّة».

وعندما لم يجد «هرمز» أى أثر لخالد فى «كاظمة»، وأنه تخطَّاها نحو «الحفير»، اغتاظ وأصدر أمره إلى الكتائب فى جيشه بأن يعودوا جميعًا إلى الحفير لمصادمة جيش خالد، وأمر «هرمز» قواته بأن تُجهد نفسها فى التّحرّك، ليسبق خالدًا إلى «الحفير»، وهذا هو الذى هدف إليه خالد رضى الله عنه؛ أن يُرْهق عدوه نفسيًا وجسديًا قبل نشوب المعركة، وعن عمد تباطأ خالد بجيشه فى السير نحو «الحفير» ليسبق إليها القائد «هرمز»، وفعلاً وصل «هرمز» «الحفير» على عجل ليسبق إليها خالدًا، ثم أمر جنده بحفر الخنادق فى «الحفير» استعدادًا لمواجهة خالد، ولمّا تلقىّ خالد من استخباراته أن هرمز قد أرهق جنده بحفر الخنادق والتعبئة للقتال، عطف بجيشه راجعًا إلى «كاظمة»، وكان المغاوير من مقاتلى الفرس - بعد حفر الخنادق فى «الحفير» - قد ربطوا بعضهم ببعض بالسلاسل؛ توطينًا لأنفسهم على الموت، أو إحراز النصر، ولمّا أبلغت «هرمز» استخباراتهُ أن خالدًا وجيشه قد عطف نحو «الكاظمة» راجعًا، استشاط غضبًا وتوترت أعصابه، فأصدر أمره إلى جيشه بالعودة نحو «كاظمة» وهناك وجد خالدًا فى انتظاره، قد عبأ جيشه للقتال، وكانت قوات الفرس أضعاف أضعاف المسلمين، وحال هرمز وقواته بين المسلمين وبين نهر الفرات، ومنعوهم الماء، فقال خالد كلمته الخالدة:

«ألا انزلوا وحطّوا رحالكم، فلعمرى ليصيرنّ الماء لأصْبر الفريقين وأكرم الجُنْدَيْن»(١).

ودعا «هرمز» خالدًا للبراز، وسرعان ماأجابه خالد، ولكن هرمز الخبيث - الذى ضرب به المثل فيه فقيل: «أخبث من هرمز» قد عهد إلى فرسانه عهدًا للغدر بخالد، فلما نزل خالد نزل هرمز، ومشى إليه خالد، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد، وحملت حاميةُ هرمز وغدرتْ،

(١) تاريخ الطبرى (٣/٣٤٩).

فاستلحموا[١] خالدًا، فماشغله ذلك عن الهرمزان، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز، فأبادها جميعًا، أمَّا خالد فقد تمكنَّ فى الحال من ذبحْ هرمز ذبح النِّعَاج، وركن الفرس إلى الفِرار بعد قتل قائدهم، فركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون إلى الليل، ولم ينج من الفرس إلاّ من استطاع ركوب السُّفن، وجمع خالد الرثاث[٢] وفيها السلاسل، فكانت وقر بعير؛ ألف رطل، فَسُمِّيَتْ «ذات السلاسل» ونَفَّل أبو بكر رضى الله عنه خالدًا قلنسوة هرمز، وكانت قيمتها مائة ألف[٣].

الموقف السادس:

معركة الأُبُلَّة:

سار خالد بجيشه إلى الأُبلَّة، وفيها جيوش كثيفة للفرس، وسبق «سويد بن قطبة الذهلى» - وكان من جيش خالد - فى جماعة من قومه خالدًا فى اتجاه الأُبلَّة، وعسكر حولها، ولما وصل خالد بقواته مكان «البصرة» اليوم، وجد سويدًا يتعقب أهل «الأبلَّة» فى انتظار أن يهاجموه، فيقاتلهم خارج مدينتهم، ولكن سويدًا أخبر خالدًا بأن أهل الأبلة يهابون مقامه، وأنهم سيظلُّون معتصمين بقلاعهم مادام خالد موجودًا فى المعسكر، فقال سويد لخالد:

إن أهل الأبلة قد جمعوا لى ولا أحسبهم امتنعوا منى إلا لمكانك؛ أى خوفًا منك.

وهناك رسم خالد بالإتفاق مع «سويد» خُطة يخدعون بها الفرس، حتى يأمنوا فيخرجوا لمقاتلة «سويد»، وذلك بحيث يعتقدون أن خالدًا الذى بثَّ فى قلوبهم الرُّعب بعد قتله «هرمز»، قد ترك معسكر «سويد»، وأنه لم يبق

(١) أى: تبعوه.
(٢) المتاع.
(٣) صلاح الأمة (٣/٥٥٢، ٥٥٣).

قائد للمسلمين فى المعسكر سوى «سويد» فقط؛ فقال خالد لسويد:

فالرأى أخْرُجُ من المعسكر نهارًا، ثم أعود إليه ليلاً، فأدخل بأصحابى، فإن صبّحوك حاربهم، ونفذ خالد خطته لتضليل حامية الأُبُلَّة الفارسية، واستدراجهم لمهاجمة سويد، فتوجّه خالد بمعظم قواته فى وضح النهار فى اتجاه الحيرة، فاطمأن الفرس إلى تَرْك خالد للمكان، وعاد - رضى الله عنه - بقواته إلى المعسكر ليلاً، فلما خرجت جيوش الفرس من «الأُبلَّة» قاصدين مهاجمة «سويد»، وما كادوا يصلون مدخل معسكر سويد، حتى رأوْا كثرة العساكر وهم على أهبة الاستعداد، فأُسقط فى أيديهم لَّما علموا بوجود خالد فى المعسكر، ولم يشرع الفرس سيفًا ولا رمحًا فى وجه خالد، وما كان همّهم إلا الفرار للعودة إلى الأُبلّة المحصَّنة، فولّوا الأدبار مسرعين نحو أبواب المدينة، ولكن خالدًا حال بينهم وبين ذلك، وانفرط عقد جيش الأبلَّة، وتمزّق شملهم، وكثُر القَتلَ فيهم، وقذف كثير منهم نفسه فى نهر دجلة والفرات فغرقوا وبعث خالد «معقل بن مقرن المزنىّ» إلى الأبلَّة التى كانت خالية من المحاربين، فسيطر عليها بدون قتال، وجمع ما فيها من غنائم وأسلحة[1].

الموقف السابع:

معركة المذار:

جهّز «شيرويه» ملك الفرس جيشًا جّرارًا، وأعطى قيادة الجيش لأكبر قائد من قوَّاده وهو «قارن بن قرباس» يسانده قائدان كبيران وهما: «الأنوشجان» و«قباذ»، وكان هذا الجيش يضم أيضًا فلول «الأبلَّة» و«الكاظمة» وأهل الأهواز وفارس والسواد والجبل، وتعاهدوا بعدم الفرار.

وبلغت قوات فارس ما يقرب من الثمانين ألفًا، بينما خالد فى جيش لا

(١) صلاح الأمة (٣/٥٥٤، ٥٥٥).

يزيد على ثمانية عشر ألفًا. وبدأت المعركة اللاهبة بدعوة قارن إلى البراز، فاستبق إليه اثنان من المسلمين: «خالد بن الوليد» وأبيض الركبان «معقل بن الأعشى النباشى» فسبق «معقل» على فرسه خالدًا، وبارز «قارنًا» فقتله فى الحال.

وهجم «عاصم بن عمرو» على الأنوشجان فقتله فى الحال، وبادر البطل الميمون «عدى بن حاتم» إلى القائد «قباذ» فقتله، وقاتل الفرس على حنق وغيظ، واضطرب شمل الفرس بعد مقتل «قارن»، وقتل من الفرس فى الميدان «ثلاثون ألفًا» سوى من غرق فى دجلة(١).

إخلاصه رضى الله عنه:

لما عزله عمر بن الخطاب عن قيادة الجيش . . لم يزل مرابطًا بحمص حتى مَرض فدخل عليه أبو الدرداء عائدًا فقال(٢): إن خيلى وسلاحى على ما جعلته فى سبيل الله عز وجل، ودارى بالمدينة صدقة، قد كنتُ أشهدت عليها عمر بن الخطاب ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتى وإنفاذ عهدى إلى عمر، فَقَدِم بالوصية على عمر، فَقَبِلَهَا وترحم عليه، فانظر إلى الإخلاص، والتجرد الكامل لله، والولاء المطلق، لدينه عزله عمر عن الإمارة، فلم يتغير، إنه لا يبحث عن الإمارة، إنما يبحث عن شىء واحد وهو مرضاة الله تعالى.

أفضل من ليلة الزفاف:

ملك حب الجهاد فى سبيل الله قلب خالد . . فكان لا يستريح إلا على ظهر جواده . . كل يوم يضيف أرضا جديدة للإسلام!! أبعد هذه السعادة سعادة؟!

---

(١) تاريخ الطبرى (٣٥٢/٣). صلاح الأمة (٥٥٥/٣، ٥٥٦).

(٢) أى: خالد رضى الله عنه.

اسمع إليه وهو يقول:

«ما مِنْ ليلة يُهدى إلىَّ فيها عروسٌ أنالها مُحِبّ أحب إلىَّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد فى سَرِيَّةٍ أُصبِّح فيها العَدُوَّ»[1].

وفاته رضى الله عنه:

وبعد حياة حافلة بالعطاء . . قَدَّم خلالها دروسًا فى عزة المسلم واستعلائه بإيمانه، وثقته بربه، ولَقَّن فيها أعداءَ الله تعالى دروسًا لا تُنْسى.. تمنى أن ينال شرف الشهادة فى سبيل الله على أرض المعركة، ولكن الله أراد له أن يموت على فراشه ﴿**كَانَ ذَلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾ [الأحزاب ٦].

ولما حضرته الوفاةُ قال:

«لقد طلبت القتل فى مظانَّهُ فلم يُقدَّر لى إلاَّ أن أموت على فراشى.

وما مِن عملى شىءٌ أرجى عندى بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس، والسماء تهلّنى ننتظر الصبح حتى نُغيرَ على الكفار ثم قال: إذا مِتُّ، فانظروا إلى سلاحى وفرسى، فاجعلوه عدة فى سبيل الله».

وبكى وقال:

«لقد لقيتُ كذا وكذا زحفًا وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموتُ العيْر، فلا نامت أعين الجبناء[2]. رحمك الله أبا سليمان.



(١) قال الهيثمى فى المجمع (٩/٣٥٠): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٣٣٢).

٦٥- طليحة بن خويلد

المرتد التائب، والبطل الشهيد!!.

نحن أمام قضية هامة من قضايا البشر، هى قضية الإنسان المسرف على نفسه ظلمًا وبهتانًا وكفرانًا، فإذا أفاق فهو قمة الشجاعة والإيمان . . . ومادمنا لسنا صدِّيقين ولا أنبياء ونخطىء ونصيب فإن لنا فى طليحة - رضى الله عنه - نموذجًا للإعتبار وقدوة للإهتداء.

من هو طليحة؟

إنه طليحة بن خُويلد بن نوفل الأسدى.

البطل الكرَّار صاحب رسول الله ﷺ، ومن يُضْرب بشجاعته المثل، من بنى أسد، إحدى القبائل التى تسكن ما بين نجد إلى الفرات.

وفى العام «التاسع» للهجرة جاء وفد أسد إلى المدينة ومعهم «طليحة بن خويلد» ليعلنوا إسلامهم بين يدى رسول الله ﷺ.

أسلم طليحة، ثم ارتدّ وظلم نفسه، وتنبأ بنجد - ادَّعى النبوة - وتمت له حروب مع المسلمين، ثم انهزم، وخُذِل.

فلقد أطلَّت الفتنة برأسها قبل وفاة الرسول ﷺ، وكان طليحة من صانعيها . . فبعث أخاه «خيالاً» إلى النبى ﷺ يخبره أنه صار نبيًّا مثله، ويدعوه إلى موادعته وأخذ يسجع: «والحمام واليمام، والصرد الصرام، قد صُمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكنا العراق والشام!!!».

فأرسل النبى ﷺ «ضرار بن الأزور الأسدى» ليتصدى لطليحة فاشتد عليه حتى أوقعه فى همٍّ وخوف، وظل المسلمون فى زيادة، وحزب طليحة

فى نقصان حتى ضربه ضرار بسيفه فتلافاها طليحة وكان مقاتلاً قَلّ نظيره فى قوته ولياقته وخفة حركته، واستغلها فزعم أن السلاح لا يؤثر فيه!! وفى هذه الأثناء تُوفىِّ الرسول الله ﷺ، فانفض الناس عن ضرار إلى طليحة، واضطر ضرار ومن معه إلى الفرار أمام طليحة.

وازدادت شوكته خطرًا على المسلمين، فأعد أبو بكر ألوية لحروب الرِّدة، وأرسل إليه خالد بن الوليد فى - خمسة آلاف - والتقى بطليحة، وكان جيشه يزيد عن جيش خالد، وجلس طليحة والقتال دائر فى فناء بيته، وكان عيينة بن حصن يتردد بينه وبين جيشه ويسأله: هل جاءك جبريل؟ فيقول: لا. والدائرة تدور عليهم . . وأخيرًا ادَّعى أن الوحى نزل عليه: «إن لك رحا كرحاه، وحديثًا لا تنساه!»، فصاح عيينه فى قومه: هذا والله كذَّاب فانصرفوا، واعترف طليحة بكذبه بعد الهزيمة، فحمل زوجته على فرسه وهربا سويًا قائلاً: «من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل، قاتلوا عن أحسابكم فأمَّا دين فلا دين!» وفَرّ إلى الشام وانتهت المعركة.

المرتد التائب:

لحق طليحة بآل جفنة الغسانيين بالشام(١)، ثم ارعوى، وأسلم وحسن إسلامه، ثم خرج معتمرًا، فلما مرّ بجانب المدينة فى طريقة إلى مكة قالوا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه: هذا طليحة! فقال: «ما أصنع به، خلّوا عنه فقد هداه الله للإسلام».

وبقى طليحة فى الشام إلى أن مات أبو بكر، وكان أبو بكر قد حظر على كل من سبقت له ردة ألا يساهم فى الفتوح، فظل طليحة قعيد بيته ثم سمح لهم عمر بشرط ألاّ يتولوا قيادات.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٧/١)، والبداية والنهاية (١٩٦/٥).

وجاء طليحة يبايع عمر بن الخطاب فجرى بينهما هذا الحوار:

قال عمر: أنت قاتل الرجل الصالح عكاشة بن محصن(١)، وثابت أقرم، والله لا احبك أبدًا.

وكان طليحة لبقًا حاضر البديهة فقال: «يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدى ولم يُهنِّى بأيديهما، وإن الناس قد يتصالحون على الشنآن. فأعجب عمر كلامه ورضى عنه»(٢).

وانضوى طليحة تحت راية الإسلام مجاهدًا فى سبيل الله تعالى . . وخرج عام «١٤هـ» فى جيش سعد بن أبى وقاص لفتح العراق . . كان جيش المسلمين يزيد على ثلاثين ألفًا، فيهم ثلاثة آلاف من بنى أسد طليحة فرد منهم لا يقود وجيش الفرس يَرْبو على مائة وعشرين ألف مقاتل، فأحب سعد أن يرسل طليعة استكشافية، وأن يصيبوا أسيرًا من جيش فارس ليستخبره، وكانوا لا يختارون لمثل هذا سوى الصناديد المغاوير، فكان عمرو بن معد يكرب فى خمسة من اصحابه، وطليحة منفردًا . . ورجع عمرو وأصحابه بعد أن رأوا الفرس يقتربون من القادسية، أما طليحة فسار وحيدًا حتى دخل معسكر رستم مستترًا بالليل، وبات فيه يتفحص جيشهم!! فلما كان آخر الليل انتقى جوادًا أعجبه فقطع رباطه بسيفه، وانطلق يعدو به، وأحس المجوس به فانطلقوا ورائه فلم يلحقوه سوى رجل اقترب منه وصوب رمحه نحوه ودفعه فى ظهره فمال طليحة عن مسار الرمح فانكب الفارس أمامه فطعنه طليحة برمحه فقصم ظهره، وانطلق فلحقه آخر

---

(١) ستأتى ترجمته إن شاء الله، وكان هو وثابت بن أقرم طليعة لخالد يوم بزاخة، فقتلهما طليحة وأخوه.

(٢) ونرجو أن يكون طليحة وعكاشة ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدُهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا فى سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم، فيقاتل فى سبيل الله فيُستشهد رواه البخارى ومسلم.

ففعل به مثل الأول، ثم أدركه الثالث فأسره وساقه أمامه حتى سَلَّمه إلى سعد بن أبى وقاص!!.

البطل الشهيد:

جاء رستم بأفياله . . وبدأ القتال . . وكان طليحة أحد خطباء جيش المسلمين وكان يقوم بأشق المهام مثل مهاجمة الأفيال، وأبلى بلاءً حسنًا . . وأرسل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لسعد بن أبى وقاص أربعة أسياف وأربعة أفراس مكافأة لأصحاب البطولة فنال طليحة سيفًا منها.

وفى معركة أخرى فى «**جلولاء**» كان طليحة بطلها.

وفى معركة «**نهاوند**» حشد الفرس ما يقرب من مائة وخمسين ألفًا لرد المسلمين، فأرسل عمر بن الخطاب لهم «**النعمان بن مقرن**» على رأس ثلاثين ألفًا، وأمره باستشارة طليحة وعمرو بن معد يكرب وعمرو بن أبى سلمى . . فأرسلهم «النعمان» طليعة استكشافية أيضًا . . وسار كل منهم فى طريق، فرجع الإثنان ولم يفعلا شيئًا، وذهب طليحة وحيدًا فسار «١٣٠ كم» حتى بلغ «نهاوند» واطلع على ما أراد ثم رجع!!. وظن بعض المسلمين لمّا غاب أنه ارتدّ ثانية . . وما أن رآه المسلمون حتى كبَّروا . . وأخبر النعمان بما شاهده.

والتحم الفريقان . . وقاتل طليحة يومئذ أشد القتال . . وكان يُعَدّ بألف فارس . . كما ذكر صاحب «الطبقات»(١) .. وقُتِل النعمان رضى الله عنه . . واستشهد طليحة فى هذه المعركة رضى الله عنه - بعد أن فعل فى جيش الفرس الأفاعيل.

قال الإمام الذهبى:

«أبلى - أى طليحة - يوم نهاوند، ثم استشهد، رضى الله عنه،

(١) ذكر محمد بن سعد، طليحة بن خويلد فى «طبقاته» فى الطبقة الرابعة من الصحابة وقال: كان يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب» البداية (١٩٦/٥).

وسامحه» ونختم ترجمته بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وبقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].



٦٦ – عكاشة بن محصن

يدخل الجنة بغير حساب!!

من هو؟

إنه السعيد الشهيد: عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة . . . الأسدى حليف قريش.

من السابقين الأولين البدريين أهل الجنة. يكنى أبا محصن، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، وكان من أجمل الرجال.

هاجر، وشهد بدرًا وأبلى يومئذ بلاء حسنا، وشهد أحُدًا والخندق وما بعدها[١] رضى الله عنه.

معجزة:

قال ابن إسحاق:

وقاتل عكاشة بن مِحْصن . . . حليف بن عبد شمس بن عبد مناف، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذْلاً من حَطَب – وفى رواية: عُرْجونًا من نخل – فقال: **«قاتل بهذا يا عُكَاشَة»!!**، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هَزَّه، فعاد سيفًا فى يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين[٢] وكان ذلك

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٠٧).

(٢) رواه البيهقى فى «دلائل النبوة» (٣/٩٨، ٩٩)، من طريق ابن إسحاق من غير إسناد، وذكره ابن حجر فى «الفتح» (٧/٤١٩) من غير إسناد وسكت عنه، وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/٤٦) وسكت عنه، وسير أعلام النبلاء (١/٣٠٨) وسكت عنه الذهبى أيضا، وإسناده ضعيف.

السيف يسمى «العَوْن»، ثم لم يزل عنده يَشْهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتِل فى الرِّدة، وهو عنده» ا.هـ.

واستعمله النبى ﷺ على سرية «الغَمْر»[1] فلم يلقوا كيدًا.

الفوز العظيم:

نال هذا السيد الكبير، والسعيد المبارك، عِزَّ الدنيا وكرامة الآخرة . . فلقد بَشَّره رسول الله ﷺ بأنه من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب !!! فهنيئًا لك أيها السعيد الشهيد.

فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على الأمم، فجعل النبى والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبىُّ ليس معه أحد، حتى رفع لى سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتى هذه؟ قيل: بل موسى وقومه.

قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق.

ثم قيل لى: انظرها هنا وها هنا - فى آفاق السماء - فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أُمَّتُك، ويدخُلُ الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب». ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم وقالوا:

نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم، أو أولادنا الذين وُلِدُوا فى الإسلام، فإنا وُلِدنا فى الجاهلية. فبلغ النبى ﷺ فخرج فقال:

---

(١) كذا فى «سير اعلام النبلاء (٣٠٧/١)، وفى «معجم البلدان» ٢١٢/٤: «الغمرة» وكذلك هى فى «السيرة» (٦١٢/٢). وقال ياقوت:
وهو منهل من مناهل طريق مكة، ومنزل من منازلها. وهو فصل بين تهامة ونجد. وقال ابن الفقيه:
«غمرة» من أعمال المدينة، على طريق نجد، أغزاها النبى ﷺ، عكاشة بن محصن، فى أربعين رجلاً فذهبوا إلى «الغمر» فعلموا القوم بمجيئه فهربوا، ونزل على مياههم وأرسل عيونه، فعرفوا مكان ماشيتهم فغزاها فوجد مائتى بعير، فساقها إلى المدينة.

«هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟

قال: «**نعم**».

فقام آخرُ فقال أمِنهم أنا؟

قال: «**سبقك بها عكاشة**»(١).

فائدة:

الأمر بالتداوى ورد فى أحاديث صحيحة كثيرة منها على سبيل المثال:

١- عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزلَ لَهُ شفاء**»(٢).

٢- وعن أسامة بن شريك - رضى الله عنه - قال:

كنت عند النبى ﷺ، وجاءت الأعرابُ، فقالوا: يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال:

«**نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داءٍ واحد**».

قالوا: ما هو؟

قال: «**الهَرَم**»(٣).

٣- وعن أبى خذامة، قال: قلتُ يا رسول الله! أرأيت رُقى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل تَرُدُّ من قدر الله شيئًا؟

فقال: «**هى من قدر الله**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى فى كتاب «الطب» (٥٧٠٥)، ومسلم والترمذى وغيرهم.

(٢) **صحيح**: متفق عليه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/٢٧٨)، والترمذى (٢٠٣٩) وقال: حديث حسن صحيح.

٤- وثبت فى «الصحيح» أن النبى ﷺ أذن بالكَىّ!!

فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ بعث إلى أُبىّ بن كعب طبيبًا، فقطع له عِرْقًا وكواه عليه(١).

فكيف نوفق بين أحاديث النهى وأحاديث الإباحة؟

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«وفى الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوى، وأنه لا ينافى التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا . . .

وقال رحمه الله تعالى:

«وقد تضمنت أحاديث الكى أربعة أنواع، أحدُها: فعله، والثانى: عَدَمُ محبته له، والثالث: الثناء على تركه، والرابع: النهى عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله تعالى، فإن فعله يدل على جوازه، وعدمَ محبته له لا يدلُّ على المنع منه. وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل. وأمّا النهى عنه، فعلى سبيل الإختيار والكراهة، أو عن النوع الذى لا يحتاج إليه، بل يفعله خوفًا من حدوث الداء، والله أعلم»(٢).

قلت: وعلى ما تقدم فإن من ترك التداوى فقد أخذ بالعزيمة، ومن تداوى فقد أخذ بالرُّخصة، ومدار الأمر على حسب قدرة العبد وطاقته . . «وحيث كانت المصلحة فَثَمَّ شرع الله».

استشهاده رضى الله عنه:

خرج عكاشة - رضى الله عنه - مع خالد بن الوليد يوم إمرة الصدِّيق

---

(٤) أخرجه أحمد (٣/٤٢١) وغيره، وفى الباب عند الحاكم وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

(١) **حديث صحيح:** أخرجه مسلم (٢٢٠٧) فى السلام: باب لكل داء دواء.

(٢) زاد المعاد (٤/١٥)، (٤/٦٥، ٦٦).

- رضى الله عنه - «**بذى القصة**» فبعثه وثابت بن أقرم[١] بين يديه طليعة، فتلقاهما طليحة الأسدى - فى أيام رِدتُه - وأخوه سلمة فقتلاهما. وإليك القصة كما ذكرها الإمام ابن كثير:

«روى الإمام أحمد من طريق وحشى بن حرب، أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الرِّدة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نِعْمَ عَبْدُ الله وأخو العشيرة، خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين**» وأمره أن يذهب أولاً إلى طلحة الأسدى، ثم يذهب بعده إلى بنى تميم، وكان طليحة فى قومه بنى أسد، وفى غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان ... وجاء خالد فى الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس، وبعث بين يديه «ثابت بن أقرم» و«عكاشة بن محصن» طليعة، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتًا وعكاشة تبارزوا، فَقَتَل عكاشةُ حُبَالَ بن طليحة ... وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة، ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين[٢] فشق ذلك على المسلمين - ثم أمر بهما فَدُفِنَا بدمائهما فى ثيابهما. رضى الله عنهما»[٣].



---

(١) صحابى جليل القدر، شهد بدرًا وما بعدها، وكان ممن حضر مؤتة، فلما قُتل عبد الله ابن رواحة دفعت الراية إليه فسلمها لخالد بن الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال منى، استشهد مع عكاشة كما ذكرنا» البداية (٤١/٥).

(٢) تم هذا اللقاء عند ماء لبنى أسد يسمى «بُزاخة».

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢١/٥) بتصرف.

٦٧- أبو لبابة بن عبد المنذر
صاحب النفس اللّوامة

من هو؟

هو: الولىُّ التقىّ، أبو لبابة بن عبد المنذر .... كان نقيبًا شهد العقبة ... وسار مع النبى ﷺ إلى بَدْر فردَّه إلى المدينة فاستخلفه عليها وضرب له بسهم»(١).

وضيفنا هذا، كانت له قصة مع «بنى قريظة» وحدثت منه هَفوة . . ثم عاد لربه . . فتاب عليه وَهَدَى.

ما هي قصته؟

فى غزوة «الأحزاب» . . كان النبى ﷺ قد أبرم عهدًا مع بنى قريظة . . وكان.

من بنود هذا «العقد» الدفاع المشترك عن المدينة إذا تعرضت لاعتداء خارجى..، ولما أقبلت الأحزاب تريد استأصال شأفة المسلمين، ونزلت حول المدينة، جاءت الأنباء أن يهود بنى قريظة قد نقضوا عهدهم(٢)، وقالوا: ليس بيننا وبين محمد عقد ولاعهد!!(٣).

وكادت تعصف هذه الخطة المجرمة بالمسلمين أجمعين لولا لطف ربنا

(١) انظر: أسد الغابة (٦/٢٦٥).

(٢) راجع ترجمة «سعد بن معاذ» رضى الله عنه.

(٣) قال الشيخ/ محمد الغزالى: «ومسلك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التى أمضوها قديمًا وحديثًا يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبدًا . . فلو تركت الحمير نهيقها، والأفاعى لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود» فقة السيرة.

العزيز . . وبلغ الكرب بالمسلمين مداه، وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا.

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال:

قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شىء نقول، فقد بلغت القلوب الحناجر؟

قال: «نعم، قولوا، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا».

قال: فضرب وجوه اعدائه بالريح، فهزمهم بالريح[1].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩]. ولما فرغ النبى ﷺ من الأحزاب . . انطلق بالمسلمين لمحاصرة بنى قريظة الذين نقضوا عهدهم فى ساعة العُسرة.

قال ابن إسحاق:

وقدَّم رسول الله ﷺ علىَّ ابن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة، وابتدرها الناسُ، فسار علىٌّ بن أبى طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث.

قال: «لِمَ؟ أظنّك سمعت منهم لى أَذَى؟».

قال: نعم يا رسول الله؛

قال ﷺ: «لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئًا»

فلما دنا رسول الله ﷺ من حصُونهم قال:

(١) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٣/٣).

«يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟».

قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً»[١].

وحاصرهم النبى ﷺ خمسًا وعشرين ليلة، حتى جَهَدَهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب . . . ودعاهم النبى ﷺ للنزول على حُكْمه. فبعث بنو قريظة إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا «أبا لبابة بن المنذر» أخا بنى عمرو بن عوف، وكانوا حُلفاء الأَوْس، لنستشيره فى أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرقَّ لهم[٢]، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذَّبْح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماى عن مكانهما حتى عرفتُ أنى خنتُ الله ورسوله ﷺ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمده، وقال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله عَلىَّ مما صنعت، وأعاهد الله: أن لا أطأ بنى قريظة أبدًا، ولا أُرى فى بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبدًا.

قال ابن هشام: وأنزل الله فى «أبى لبابة» فيما قال سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله بن أبى قتادة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

---

(١) وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/٣٤، ٣٥) عن عائشة رضى الله عنها بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى . . . وقال ابن كثير فى «التاريخ» (٤/١١٨): ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها.

(٢) كان أبو لبابة يعلم حكم رسول الله ﷺ فيهم . . ولم يأذن له بإفشاء هذا السِّر.

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبرُه، وكان قد استبطأ، قال: «أما إنه لو كان جاءنى لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه»(١).

قال ابن إسحاق:

فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ «من السَّحَر» وهو فى بيت أمّ سلمة - رضى الله عنها - فقالت أمّ سلمة: سمعت رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك. فقالت فقلت: ممَّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سِنَّك؟ قال:

«تيب على أبى لبابة»، قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى، إن شئت».

قال: فقامت على باب حُجْرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهنَّ الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

قالت: فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسولُ ﷺ هو الذى يطلِقنى بيده، فلما مَرَّ عليه رسول الله ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه(٢).

قال ابن هشام:

أقام أبو لبابة مُرْتبطًا بالجذع ستَّ ليال، تأتيه امرأته فى كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذْع، فيما حدثنى بعض أهل العلم.

والآية التى نزلت فى توبته(٣) قول الله تعالى:

---

(١) ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٩٧/٢١)، والواحدى فى «أسباب النزول» (١٩٣).
(٢) **إسناده مرسل**: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (١٧/٤).
(٣) أخرجه الواحدى النيسابورى فى «أسباب النزول» (٢١٣)، وعزاه إلى ابن جرير (١٠/١١) من طريق الوالبى وهو منقطع.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

عاش أبو لبابة بعد نزول توبته، وفيًّا لدينه . . عابدًا لربه. . إلى أن أدركته الوفاة . . ليلحق بسلفنا الأبرار. رضى الله عنه وأرضاه.



٦٨- كعب بن مالك

«أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمك» حديث شريف

من هو؟

هو: كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى، الخزرجيُّ العَقَبيُّ الأُحُدىّ شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خُلِّفوا، فتاب الله عليهم.

ومن السبعين الذين شهدوا العقبة.

قال ابن سيرين: كان شعراء أصحاب النبى ﷺ: حَسَّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك.

قال عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه: أنه قال: يارسول الله، قد أنزل الله فى الشعراء ما أنزل(١). قال ﷺ:

«إن المجاهد، مجاهد بسيفه ولسانه؛ والذى نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نُضْح النَّبل»(٢).

وقال ابن أبى حاتم: ذهب بصره فى خلافة معاوية رضى الله عنه.

جهاده فى سبيل الله تعالى:

جاهد كعب فى سبيل الله تعالى حق جهاده . . وأبلى يوم «أُحُد» بلاءً حسنًا.

---

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

وقوله تعالى: «يتبعهم» قال ابن عباس: ضلال الجن والإنس. وقيل: «الغاوون» الزائلون عن الحق. والشعر: حَسَنُه حسن، وقبيحه قبيح. وراجع تفسير القرطبى لهذه الآيات.

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه عبد الرزاق فى «المصنف» (٢٠٥٠٠) قاله الأرنؤوط (سير ٢/٥٢٥)

وعن هشام بن عروة، عن أبيه:

أن رسول الله ﷺ آخى بين الزبير - أى ابن العوام - وكعب بن مالك، فارتُثَّ كعب يوم أُحد، فجاء به الزُّبير؛ فانزل الله:

﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ [(١)]﴾[الأنفال: ٧٥].

وعن كعب: لمّا انكشفنا يوم أُحُد، كنت أول من عرف رسول الله ﷺ وبشَّرتُ به المؤمنين حَيًّا سويًّا، وأنا فى الشِّعب. فدعا رسول الله ﷺ كعبًا بلأْمَتَه - وكانت صفراء - فلبسها كعْبٌ، وقاتل يومئذ قتالاً شديدًا، حتى جُرح سبعة عَشَرَ جُرْحًا.

تخلفه عن غزوة تبوك:

فى السنة التاسعة من الهجرة فكرَ الروم أن يعيدوا الكَّرة فيضربوا الإسلام «وترامت إلى النبى ﷺ فى المدينة أنباء هذا الإعداد الماكر، . . . فلم ير النبى ﷺ بُدًّا من استنفار المسلمين، لملاقاة هذا العدوان المبيت والتهيؤ لملاقاة الروم جاء فى أيام قيظ وقحط.

والسير إليهم يتطلب جهدًا ونفقة كبيرة.

وقتال الروم ليس صدامًا مع قبيلة محدودة العدد والعُدَّة، بل هو كفاح مرير مع دولة تبسط سلطانها على جملة قارات.

على أن أصحاب العقيدة لا ينكصون أمام الصعاب . . . وللظروف الصعبة التى اكتنفت إعداد هذا الجيش سُمىّ «جيش العُسرة»، وخرج المسلمون فى تعبئة لم يخرجوا من قبل فى مثلها، وانطلقوا صوب الشمال، حيث تربض جيوش الروم . . ».

(١) **رجاله ثقات:** أورده ابن كثير بنحوه (٤٦٨/٣) . . . وذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (٢٠٧/٣) . . الأرنؤوط (سير ٥٢٤/٢).

وتجلت - فى هذا الإعداد - طوايا النفوس، فهناك أغنياء أخرجوا ثرواتهم لتجيهز الجيش وإمداده . . . ومنهم الفقراء الذين شاقهم الجود بأنفسهم فى سبيل الله ثم أعجزتهم الوسائل تبلغهم الميدان فسَّحت أعينهم الدمع لهذا الحرمان . . .

وهناك أهل الريبة الذين يلتمسون للفرار الأعذار، وتقعد بهم كراهيتهم للإسلام عن إسداء أى عون له.

ومن أسخف الأعذار التى تمحلها أولئك القاعدون المنافقون ما قال: «الجد بن قيس» للنبى ﷺ - وقد عرض عليه الجهاد - يا رسول الله . . أو تأذن لى ولا تَفْتنى؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عجبًا للنساء مِنىِّ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر «الروم» ألا أصبر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وفيه نزلت الآية:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلا تَفْتِنِّى أَلا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وهناك من أهل الصدق من تخلف عن هذه الغزوة بغير عذر وكانوا ثلاثة كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

وَصَلَ النبى ﷺ بجيشه حتى وصل «تبوك» ومكث هناك بضعة عشر يومًا، يمد بصره وراء الصحراء حيث اختفى الرومان، فقرر أن يقفل عائدًا إلى المدينة . . . وقدم رسول الله ﷺ المدينة . . . وقوبل جيش العسرة بحفاوة بالغة. إنه أكبر جيش خرج مع رسول الله ﷺ، إذ وصل تعداده نحو الثلاثين ألفًا . . .

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس، فجاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم. ووكل سرائرهم إلى الله.

لقاء كعب مع رسول الله ﷺ:

وجاءه «كعب بن مالك» فلما سَلَّم عليه. تبسم تبسم المغضب، ثم قال له: «تعال».

قال: فجئت أمشى حتى جلستُ بين يديه.

فقال لى: «ما خَلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»

فقلت: بلى والله إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جَدَلاً. ولكنى والله لقد علمتُ إن حدثتك اليوم حديث كذب تَرْضى به علىَّ، ليوشكن الله أن يُسخطك علىَّ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تجد علىَّ فيه، إنّى لأرجو فيه عفو الله عَنيِّ والله ما كان لى من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مِنّى حين تخَلّفت عنك!

فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك». فقمت.

وثار رجال من بنى سلمة، فاتبعونى يؤنبوننى، فقالوا لى: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا. ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبوننى، حتى أردتُ أن أرجع فأكذّب نفسى ثم قلت لهم: هل لقى هذا معى أحد؟

قالوا: نعم رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل الذى قيل لك، فقلت: من هما؟

قالوا: «مرارة بن الربيع العامرى» و«هلال بن أمية الواقفى» فذكروا رجلين صالحين شهدًا بَدْرًا، فيهما أُسْوَةَ!

فمضيتُ حين ذكروهما لى.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين مَنْ تَخلّف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيرَّوا لنا حتى تَنَكّرت لى الأرض، فما هى بالتى أَعْرف!

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمَّا صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنْتُ أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف فى الأسواق، ولا يكلمنى أحد، وآتى رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى: هل حَرَّك شفتيه بردّ السلام أم لا، ثم أصلى قريبًا منه أسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتى أقبل إلىّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عَنىِّ.

حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة المسلمين، مشيتُ حتى تَسَّورتُ جدار حائط أبى قتادة - وهو ابن عمِّى وأحب الناس إلىَّ - فسلَّمتُ عليه فوالله ماردَّ علىَّ السلام!

فقلت: يا أبا قتادة . . أنشدك الله، هل تعلمنى أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدتُّ له، فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم!.

ففاضت عيناى، وتوليت حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشى بسوق المدينة. وإذا نبطى من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على «كعب بن مالك»؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءنى دفع إلىَّ كتابًا من «مَلِك غسّان» فإذا فيه:

أما بعد . . فإنه بلغنى أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها -: وهذا أيضًا من البلاء،

فتيممت بها التنور فسجرتها[١].

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسول الله ﷺ يأتيني فقال:

إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أُطلّقها أمّ ماذا؟

قال: لا، ولكن اعتزلها ولا تَقْربها.

وأرسل إلى صاحَبيَّ مثل ذلك.

فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله . . إن هلال بن أميّة شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟

قال: «لا، ولكن لا يقربك».

قالت: إنه - والله - ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال «كعب»: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول لي رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟

ولبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حيث نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا.

فلما صليتُ صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، على سطح بيت من بيوتنا،

---

(١) سجرها: أي حرقها.

وبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله تعالى، قد ضاقت علَىَّ نفسى، وضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أو فى على جبل يبلغ بأعلى صوته: يا كعب مالك، أبشر!

فخررتُ ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرج من الله.

وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صَلَّى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبل صاحبىَّ مبشّرون. وأركض إلىَّ رجل فرسًا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على ذروة الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءنى الذى سمعتُ صوته يبشّرنى، نزعت له ثوبىَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ! فتلقانى الناس فوجًا فوجًا، يهنئوننى بالتوبة يقولون: لِيْهنك توبة الله عليك.

قال كعب:

حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس، وحوله الناس فقام إلىَّ «طلحة بن عبيد الله» يهرول حتى صافحنى وهنأنى، والله ما قام إلىَّ رجل من المهاجرين غيره، ولست أنساها لطلحة. فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال: - وهو يبرق وجهه من السرور -: «أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أُمّك».

قال: قلت: أهو من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟

قال: «لا .. بل من عند الله».

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال:

«أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك».

قلت: فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر.

فقلت: يا رسول الله إن الله نجّانى بالصدق.

وإن من توبتى أن لا أُحدِّث إلا صِدْقًا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحد من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ما أبلانى، والله ما تعمدت بعد ذلك إلى يومى هذا كذبًا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت، فأنزل الله تعالى على رسوله:

﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩]. فوالله ما أنعم الله علىَّ نعمة قط - بعد أن هدانى للإسلام - أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شرّ ما قال لأحد ... قال:

﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قال كعب:

وكان تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ أمرنا، حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله:

﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**﴾ [التوبة: ١١٨]. وليس الذى ذكر الله

مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[١].

تُوفِّى رضى الله عنه فى سنة أربعين، وقيل: فى سنة إحدى وخمسين رضى الله عنه.



(١) **حديث صحيح:** أخرجه البخارى (٨/٩٢ - ١٠٠)، ومسلم (٨/١٠٦ - ١١٢).
وقوله: «أيها الثلاثة» مبنى على الضم فى محل نصب على الإختصاص، أى: متخصصين بذلك دون بقية الناس.

٦٩- النعمان بن مُقرِّن

«وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان»

من هو؟

هو: النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ . . . أبو عمرو المزني الأمير أول مشاهده «الأحزاب»، وشهد بيعة الرضوان، ونزل الكوفة ولى «كَسْكَر» لعمر بن الخطاب، ثم صرفه، وبعثه على المسلمين يوم وقعة «نهاوند» فكان يومئذ أول شهيد.

هذا، ولقد أبدى «النعمان» وإخوانه وقبيلته[١] من صدق المواقف مع الله ورسوله ما شدّ إليه الأنظار، وبوأه من الصحابة مركزًا مرموقًا، ومكانة محترمة.

ولقد لازم «النعمان» وإخوته ومن معه قبيلته «المدينة المنورة» وأقاموا بها، لا يرون بديلاً عن قربهم من رسول الله ﷺ. لم يكونوا عالة على الناس . . . بل كانوا طليعة من طلائع الجيش الإسلامى، إلى جانب المهاجرين والأنصار، وعدّة يحسب لها ألف حساب؛ فإذا ما دعا الداعى كانوا فى المقدمة.

صفحات مشرقة من جهاده رضى الله عنه

النعمان ويوم «ذى القصة»:

و«ذو القصة» مكان على بعد أربعة وعشرين ميلاً من المدينة، فى الطريق

---

(١) جاءت قبيلته «مزنية» وهو معها - معلنة إسلامها . . قيل: والمسلمون محاصرون لـ «لخيبر» فى أوائل سنة سبع من الهجرة.

إلى «نجد»، هناك اجتمعت قبائل «أسد» و«غطفان» وغيرهما - كما تقدم - وعلى رأسهم: «جبال[١] بن سلمة بن خويلد» - ابن أخى «طليحة» يريدون الإغارة على المدينة ... وقبل أن يفعلوا ذلك أرسلوا وفدًا منهم إلى المدينة، فأتوا وجوه الناس، يتوسطونهم عند «أبى بكر» - رضى الله عنه - على أن يقيموا الصلاة، وعلى أن لا يؤتوا الزكاة. فكان رَدّ أبى بكر: «والله لو منعونى عقالاً[٢] كانوا يؤدُّونه لرسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه، ولو أفردت من بينكم».

وعاد الوفد إلى أقوامهم بـ «ذى القصة» وأخبروهم بما سمعوا، وحدثوهم عن قلة المسلمين بالمدينة، وأطمعوهم فيهم.

ولقد توجّس «أبوبكر - رضى الله عنه - شرًا منهم فأعد العدة لغدرهم . . . وجمع الناس فى المسجد، وخطب فيهم فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «إن القوم قد رأوا منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهارًا . . . وقد كانوا يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا ذلك عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا».

ولم تمض سوى ثلاثة ليال حتى شَنَّ المرتدّون الغارة . . . وأرسل المراقبون إلى «ابى بكر» ينذرونه، فقال لهم: الزموا أماكنكم، وخرج فيمن معه على النواضح[٣] . . . حتى واجه العدو، فتقهقروا إلى «ذى حُسا» حيث يعسكر جيشهم.

استعمل المرتدّون الحيلة، فنفخوا قِرَبًا من الجلود، وربطوها بالحبال، ثم ألقوها فى وجوه الإبل، فنفرت منها وارتدت على أدبارها بمن تحمل، والمسلمون عاجزون عن كبح جماحها حتى دخلت المدينة . . . لكن من دون خسائر.

---

(١) وضبطت «حبال».

(٢) **العقال**: الحَبْل.

(٣) **النواضح**: الإبل المُسنَّة التى تستخدم فى السقى.

وظن المرتَدّون أن الوهن أصاب المسلمين . . . ثم استعدوا للهجوم العام. أما «أبو بكر» - رضى الله عنه - فقد بات ليلته يتهيأ، فعبأ الناس، ثم خرج بهم وعلى ميمنته «النعمان بن مقرن»، وعلى ميسرته «عبد الله بن مقرن» وعلى الساقة - مؤخرة الجيش - «سويد بن مقرن» ...!

فما طلع الفجر إلا والمسلمون والعدو فى صعيد واحد، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثبت فيه أبناء بيت «مقرن» ثبوت الجبال الرواسى . . . وأبدوا من ضروب الشجاعة والقتال فنونًا، وكانوا فى الطليعة، فما ذَرَّ قرن الشمس حتى ولَّى العدو الأدبار، وقتل قائد المرتدين «جبال بن سلمة»، وتبعهم «أبو بكر» والمسلمون حتى نزلوا بـ «ذى القصة» . . .، ثم رجع أبو بكر إلى المدينة(١)، فكانت هذه المعركة أول الفتح فى وجوه المرتدين عامة، وفى كل الديار»(٢).

النعمان يوم «تستر»:

لم يزل «يزدجرد»(٣) يثير أهل فارس . . . فتحركت حمية أهل فارس وأهل الأهواز، وتعاقدوا وتعاهدوا وتوافقوا على النصرة، وصمموا على متابعة القتال - بعد هزيمتهم فى مواطن كثيرة على أيدى المسلمين - وتوحدت راياتهم.

فلما علم أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» بذلك، كتب إلى سعد بن أبى وقاص أمير الكوفة: أن ابعث إلى الأهواز بعثًا كثيفًا مع «النعمان بن مقرن» . . . فانطلق «النعمان» فى أهل «الكوفة» فأخذ طريقه وسط السواد حتى قطع «دجلة» ثم أخذ البَرّ إلى «الأهواز» . . . ثم سار نحو «الهرمزان» الذى كان يقوم بـ «رامهرمز».

---

(١) أرسل أبو بكر - رضى الله عنه - خالد بن الوليد بعد ذلك . . ليكمل المسيرة.
(٢) النعمان بن مقرن. للأستاذ/ محمد على قطب (٩ - ١٣) بتصرف.
(٣) ملك الفرس.

وعرف «الهرمزان» بمسير «النعمان» إليه، فأراد أن يبادره، راجيًا أن ينال منه، طامعًا فى نصر أهل فارس الذين اقبلوا من كل مكان وتجمعوا فى «تستر».

وكان اللقاء عند «أَرْبُك» وهى مدينة بالأهواز، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم إن الله تعالى هزم «الهرمزان»، ففرّ بفلوله إلى «تستر» واستولى «النعمان» على «رامهرمز» وأقام بها، يعيد تنظيم قواته، وينتظر الأوامر.

وكان أهل البصرة بقيادة «أبى رهم بن سبرة» قد بلغتهم أنباء النصر الذى حققه «النعمان» ولجوء «الهرمزان» إلى «تستر»، فساروا إليها، وكتبوا بذلك إلى «عمر» أمير المؤمنين، فأمَّدهم بـ «أبى موسى الأشعرى» على رأس قوات جديدة.

وعند «تستر» التقت جيوش المسلمين، فحاصروهم . . .، والهرمزان بها.

وطال أمد الحصار أشهرًا . . . وتزاحف الطرفان إلى بعضهم . . . واشتد القتال[١] . . . وانتصر المسلمون فى النهاية، وأسروا «الهرمزان»[٢] والحمد لله تعالى.

النعمان يوم «نهاوند»:

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى النعمان:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله «عمر» أمير المؤمنين إلى «النعمان ابن مقرن» سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو،

أما بعد:

---

(١) النعمان بن مقرن: للأستاذ/ محمد على قطب (٢٦ - ٢٩) بتصرف.

(٢) وعادوا به إلى المدينة، وأسلم.

فإنه بلغنى أن جموعًا من الأعاجم كثيرة، قد اجتمعوا لكم بمدينة «نهاوند»، فإذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئنهم وَعَّرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة[1] فإن رجلاً من المسلمين أحب إلىَّ من مائة ألف دينار، والسلام عليك».

ثم كتب لأهل الكوفة أن يوافوا «النعمان» وعليهم «حذيفة بن اليمان وكتب إلى أبى موسى الأشعرى أن يسير بأهل البصرة، وأرسل إليه جموعًا من أهل المدينة فيهم ابنه «عبد الله بن عمر».

ثم كتب لـ «النعمان»:

إن حدث بك حدث فعلى الناس «حذيفة بن اليمان» فإن حدث بـ «حذيفة» حدث فعلى الناس «نعيم بن مقرن».

الشهادة فى سبيل الله تعالى:

تحرك الجيش الإسلامى تجاه «نهاوند» . . وتحصن الفرس فى «حصون منيعة».

وبدأ التناوش من بعيد ... فرأى المسلمون أن طول مدة الحصار . . له خسارته فاجتمعوا فى خيمة النعمان، فقال طليحة بن خويلد[2]:

أرى أن تبعث خيلاً لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطرادًا[3].

فإنا لم نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم، فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فينا ما أحب.

(١) **الغيضة**: مجتمع الشجر فى مغيض الماء.
(٢) كان رضى الله قد عاد للإسلام بعد ارتداده، وحسن إسلامه، وقد تقدمت ترجمته.
(٣) أى المهزومين الفارين، وهذه خطة قتال العرب.

فاستحسن النعمان وباقى القادة رأى «طليحة» واتفقوا على تفاصيل الخطة وأبعادها، وكان الوقت قد قارب الفجر.

وأرسل «النعمان» أحد قادته الفرسان «القعقاع بن عمر التميمى»[1] على رأس الخيل، حتى دقوا أبواب الحصون، فخرج إليهم خيالة الفرس، ونشب القتال بين الطرفين.

ثم تراجع «القعقاع» أمامهم بمن معه، فظن الأعاجم أن انسحاب العرب كان نتيجة ضعفهم . . .، فقاموا بمطاردتهم واللحاق بهم، وأغرى هذا التصرف آخرين من الفرس لا يزالون فى خنادقهم وحصونهم، فخرجوا يتبعون «القعقاع» وخيله . . .

وكان المسلمون على تعبئتهم الكاملة، وقد أمرهم «النعمان» أن يثبتوا فى أماكنهم، ولا يلتحموا بقتال حتى يأذن لهم.

وأقبل الفرس عليهم يرمونهم بالسهام . . . وانتظر «النعمان» حتى تم خروج الفرس من الحصون . . . ثم ركب فرسه، وسار بين صفوف جندة . . يبوىء المؤمنين مقاعد للقتال . . ويحرضهم على الصبر والجهاد ثم أعلن:

«إنى مكبر ثلاثًا، فإذا كَبَّرتُ الأولى فليتهيأ من لم يكن قد تهيأ، فإذا كبرتُ الثانية، فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، فإذا كبرتُ الثالثة فإنى حامل إن شاء الله، فاحملوا معى . . .».

ورفع «النعمان» يديه إلى السماء ودعا:

«اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين، وافتح عليهم» فأمَّنوا، وهَزَّ لواءه ثلاثًا. ثم حمل عليهم بجيشه.

---

(١) قال عنه عمر بن الخطاب: «لا يغلبن جيش فيه القعقاع».

وهكذا استدرج «النعمان» أعداءه إلى قرب من العراء خارج حصونهم وخنادقهم . . «واقتتلوا اقتتالاً شديدًا ... استجاب الله تعالى دعاء ونداء «النعمان» فكان أول شهيد.

إذ زلقت فرس «النعمان» في الدماء فسقط صريعًا . . .

فبادره أخوه «نعيم» فسجّاه بثوبه، وأخذ اللواء من يده، ودفعه إلى «حذيفة بن اليمان».

وأخفى «نعيم» خبر استشهاد أخيه عن الجند حتى لا يؤثر ذلك فى معنوياتهم، واستمر المسلمون فى القتال حسب الخطة..

وحين أقبل الليل كانت قوات الفرس قد أصيبت بالهزيمة، وطاردهم المسلمون فى كل ناحية[1]».

قال معقل بن يسار:

«أتيت النعمان وبه رمق، فأتيته بماء، فصببت على وجهه أغسل التراب، فقال: من ذا؟

قلت: معقل.

قال: ما فعل الناسُ؟

قلت: فتح الله.

فقال: «الحمد لله» اكتبوا إلى عمر بذلك، وفاضت نفسُه رضى الله عنه[2].

وبكى عمر بن الخطاب:

عن أبى عثمان، قال:

---

(١) معظم مادة هذا العنوان اقتبسناها من «النعمان بن مقرن» للأستاذ/ محمد على قطب.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الحاكم (٣/٢٩٣).

أتيتُ عمر بنعي النعمان بن مُقَرِّن، فوضع يده على وجهه يبكى[1].

قال الحافظ ابن كثير: فكان - أى النعمان - ممن قال الله تعالى فى حقه:

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . .» الآية [التوبة: ١١]. البداية (٥/١٩٨).



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/٤٠٤).

٧٠ – سعد بن الربيع

النقيب الشهيد

من هو؟

هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير . . . الأنصارى الخزرجى البدرىّ النقيب الشهيد. كان أَحد النقباء ليلة العقبة، واستشهد يوم أُحُد.

فضائله:

عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبى بكر الصدِّيق – رضى الله عنه – فألقى لها ثوبًا حتى جلست فدخل عليه عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقال: يا خليفة رسول الله من هذه؟

قال: «هذه بنتُ من هو خير، مِنِّيٍّ ومنك، إلا رسول الله ﷺ، رجل قُبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مَقْعَده من الجنة، وبقيتُ أنا وأنت[1]».

موقف كريم:

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

نزلت هذه الآية الكريمة فى «الأنصار».

قال الإمام القرطبى:

---

(١) رواه الطبرانى، وفيه: إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد، وهو ضعيف قال الهيثمى. المجمع برقم (١٥٧٠٤).

«لا خلاف أن الذين تبوءوا الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها»[١].

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال:

قدم عبد الرحمن بن عوف - أى إلى المدينة زمن الهجرة - فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فعرض عليه - أى سعد بن الربيع - أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك، دلَّنى على السوق. فربح شيئًا من أَقْـط[٢] وسمن، فرآه النبى ﷺ وعليه وضر من صفرة، فقال النبى ﷺ: «مَهْيَم يا عبد الرحمن».

قال: يا رسول الله ﷺ تزوجت امرأة من الأنصار.

قال: «فما سُقْتَ فيها؟».

قال: وزن نواة من ذهب.

قال النبى ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[٣].

وفى رواية: أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فقال له سعد:

أى أخى أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالى فخذه!!

وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها!!

فقال عبد الرحمن:

بارك الله لك فى أهلك ومالك، دلُّونى على السوق . . . الحديث»[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢١).

(٢) **الأقط**: قطع الجبن.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخارى فى (٦٣) كتاب: مناقب الأنصار (٥٠) باب: كيف آخى النبى بين أصحابه (٣٩٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» برقم (١٣٨٦٤).

انظر أخي القارئ. كيف تمكنت فيهم محبة الله تعالى فآثروا ما يبقى على ما يفنى . . ولم يتفرد سعد بن الربيع بهذا الإيثار، ولكن شاركه كل الأصحاب . . وأقدم بعض النمازج التي عطرت صفحات التاريخ بنور إيمانها . . وحلاوة إخلاصها . . لتعلم بأن هذه التربية ليست صناعة بشرية، ولكنها ربانية، كما قال تعالى لموسى عليه السلام «ولتصنع على عيني».

١- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نَوِّمي الصِّبية وأطفئي السِّراج، وقَرِّبي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[1]﴾ [الحشر: ٩].

وفي رواية:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ الماء.

ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلُّنّ مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ ماء. قال:

«مَنْ يُضيف هذا الليلة رحمه الله؟».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله.

فانطلق به إلى رَحله فقال لامرأته:

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٢).

هل عندك شيء؟

قالت: لا، إلا قوت صبياني.

قال: فَعَلِّليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفيء السِّراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السِّراج حتى تطفئيه.

قال: فقعدوا وأكل الضيف. فلما أصبح غدا على النبيِّ ﷺ فقال: «قد عجب الله - عز وجل - من صنيعكما الليلة»(١).

٢- وقال ابن عمر:

أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاه فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا مِنّا؛ فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك !!.

وفي رواية ذكرها «الثعلبي» عن أنس، قال:

أهْدِي لرجل من الصحابة رأس شاة وكان مجهودًا فوجه به إلى جار له، فتداولته سبعة أنفس في سبعة أبيات، ثم عاد إلى الأوّل؛ فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية(٢).

٣ – وقال حذيفة العدويّ:

انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رَمَق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أنْ نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إليَّ ابن عمي أن أنطلق إليه، فإذا

---

(١) **صحيح**: متفق عليه. قال الخطابي: إطلاق العجب على الله محال، ومعناه الرضا، فكأنه قال: عن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم. (فتح ٨/٦٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/٢٤، ٢٥).

هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات(١). وبقيت شربة الماء كما هى!!.

ريح الجنة ... والشهادة فى سبيل الله تعالى:

قال ابن إسحاق:

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة، أن رسول الله ﷺ، قال: - أى بعد انتهاء غزوة أُحُد -:

«مَنْ رَجُلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا، فخرج يطوف فى القتلى، حتى وجد سعدًا جريحًا مُثْبتًا(٢) بآخر رمق. فقال:

يا سعد! إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم من الأموات؟

قال: فإنى فى الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ وقل: إن سعدًا يقول: جزاك الله عنى خيرما جزى نبيًا عن أمته، وأبلغ قومك منى السلام، وقل لهم: إن سعدًا يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلصَ إلى نبيِّكم وفيكم عين، تَطْرِف»(٣).

وعن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال:

بعثنى النبى ﷺ يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لى: إن رأيته، فَأَقْرِه

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٨/٢٧).
(٢) أى: أثبته جرحه فلم يتحرك.
(٣) انظر: ابن هشام (٢/٩٤، ٩٥).

منى السلام، وقل له:

«يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟» فطفت بين القتلى، فأصبته وهو فى آخر رمق، وبه سبعون ضربة، فأخبرته، فقال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ، وفيكم شفر[1] يطرف، قال: وفاضت نفسه، رضى الله عنه[2].

آية المواريث:

عن جابر بن عبد الله قال:

جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد فقالت:

يا رسول الله! هاتان بنتا سعد، قُتل أبوهما معك يوم أُحُد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يَدَعْ لهما مالاً، ولا تُنكحان إلاّ ولهما مال، قال:

«يقضى الله فى ذلك» فأنزلت آية المواريث، فبعث إلى عمهما فقال: «أعط بنتى سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقى فهو لك»[3].

رضى الله عن سعد بن الربيع وجميع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



(١) **شفر العين:** ما نبت عليه الشعر، وأصل منبت الشعر فى الجفن.

(٢) رواه البيهقى فى «دلائل النبوة».

(٣) **حديث حسن:** رواه ابن ماجة (٢٧٢٠) وانظر: صحيح سنن الترمذى (١٧٠١).

٧١- عبد الله بن حذافة

الإستعلاء بالإيمان

من هو؟

هو: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عديّ. أحد السابقين.

هاجر إلى الحبشة، ونفَّذه النبى ﷺ رسولاً إلى كِسْرى.

قال ابن منده: شهد بَدْرًا.

وقال ابن شهاب:

أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عتبة، أن ابن عباس أخبره:

أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبد الله بن حذافة السهمى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه خرقه، قال الزهرى: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزَّق(١).

قلت: فاستجاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ فمزّق مُلْك كسرى وأباد مملكته، «وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين».

أدب التلاوة:

عن أبى سلمة - رضى الله عنه -: أن عبد الله بن حذافة قام يُصلِّى، فجهر، فقال النبى ﷺ: «يا ابن حذافة، لا تُسمِّعْنى وَسَمِّعِ الله»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٩٦/٨) فى المغازى.

(٢) **رجاله ثقات**: أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١٩٠/٤).

قلت: وجاءت أحاديث كثيرة فى «الصحيح» وغيره، دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة، مثل قوله ﷺ:

«ما أذن الله لشىء ما أذن لنبىٍّ حَسَنِ الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهرُ به»[(١)]. ومعنى «أَذِنَ»: استمع، وهو إشارة إلى الرِّضا والقبول[(٢)].

قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى:

«وطريق الجمع بين الأخبار والآثار المختلفة فى هذا، إن كان الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء بالجهر ورفع الصوت، فالجهر ورفع الصوت أفضل لأن العمل فيه أكثر. ولأن فائدته تتعدى إلى غيره. والنفع المتعدى أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيدُ فى النشاط، ويوقظ غيره من نائم أو غافل وينشِّطُهُ، قالوا: ومهما حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل، فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر»[(٣)]. ا.هـ.

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق:

عن أبى سعيد، قال:

بعث رسول الله ﷺ سرية، عليهم علقمة بن مُجَزِّز، وأنا فيهم، فخرجنا، حتى إذا كنا ببعض الطريق، استأذنه طائفة. فأذن لهم، وأمَّر عليهم « عبد الله بن حذافة»، وكان من أهل بدر، وكانت فيه دعابة. فبينما نحنُ فى الطريق، فأوقد القوم نارًا يصطلون بها، ويصنعون عليها صنيعًا لهم، إذ قال: أليس لى عليكم السمعُ والطاعة؟

---

(١) **صحيح:** متفق عليه.

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى (١٠٤).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالى (١/٢٧٨، ٢٧٩).

قالوا: بلى.

قال: فإنىِّ أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار، فقام ناس، فتحجزوا(١)، حتى إذا ظن أنهم واقعون فيها قال: أمسكوا، إنما كنت أضحك معكم.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ، ذكروا ذلك له.

فقال: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه»(٢).

الثبات على الحق:

ضرب عبد الله بن حذافة مثلاً يحتذى فى «الثبات على الحق» . . وأعطانا درسًا لا يُنْسى فى العزَّة والإباء والاستعلاء بالإيمان.

عن أبى رافع، قال:

وجه عمر - أى ابن الخطاب - جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم.

فقالوا: إنَّ هذا مِنْ أصحاب محمد.

فقال: هل لك أن تتنصَّر وأعطيك نصف مُلْكى؟

قال: لو أعطيتنى جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع مُلك العرب، ما رجعتُ عن دين محمد طرفة عينٍ.

قال: إذًا أقتلك.

قال: أنت وذاك.

فأمر به، فَصُلِبَ، وقال للرُّماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه، ويأبى، فأنزله.

(١) أى: شدوا أوساطهم فعل من يتهيأ.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجة . . والحديث متفق عليه بنحوه.

ودعا بِقِدْر، فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقى فيها، وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى. ثم بكى.

فقيل للملك: إنه بكى. فظنَّ أنَّه قد جَزِع.

فقال: رُدُّوه. ما أبكاك؟

قال: قلت: هى نَفْس، واحدة تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهى أن يكون بعدد شعرى أنفس تُلْقى فى النار فى الله.

فقال له الطاغية: هل لك أن تُقَبِّل رأسى وأخلِّى عنك؟

فقال له عبد الله: وعن جميع الأُسارى؟

قال: نعم. «فَقَبَّل رأسه».

وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره.

فقال عمر: «حَقٌّ على كل مسلم أن يُقبِّل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ» فقبل رأسه(١).

وعن مالك بن أنس:

أن أهل قيسارية أسروا ابن حذافة، فأمر به مَلِكُهم، فَجُرِّب بأشياء صبر عليها. ثم جعلوا له فى بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثًا لا يأكل، فاطّلعوا عليه، فقالوا للملك:

قد انثنى عنقه، فإن أخرجته وإلا مات. فأخرجه، وقال: ما منعك أن تأكل وتشرب؟

---

(١) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن عساكر فى «تاريخه» من طريق البيهقى، وكذا الحافظ فى «الإصابة»، من حديث ابن عباس، موصولاً عند ابن عساكر.

قال: أما إنَّ الضرورة كانت قد أحَلَّتها لى، ولكن كِرهتُ أن أشمتك بالإسلام.

قال: فَقَبِّل رأسى، وأُخَلِّى لك مائة أسير.

قال: أمَّا هذا، فنعم.

فقبل رأسه، فخلى له مائة، وخلَّى سبيله.

وقد روى ابن عائذ قصة ابن حذافة فقال:

حدثنا الوليد بن محمد: أن ابن حذافة أُسر، فذكر القصة مطولة، وفيها: أطلق له ثلاث مائة أسير، وأجازه بثلاثين ألف دينار، وثلاثين وصيفة، وثلاثين وصيفًا.

قال الإمام الذهبى - رحمه الله تعالى -:

«ولعل هذا المَلِك قد أسلم سِرًا. ويدل على ذلك مبالغته فى إكرام ابن حذافة . . . فمن أسلم في باطنه هكذا، فيرجى له الخلاص من خلود النار؛ إذ قد حَصَّل فى باطنه إيمانًا ما، وإنما يخاف أن يكون قد خضع للإسلام وللرسول، واعتقد أنهما حق، مع كون أنه على دين صحيح، فتراه يُعَظِّم للدينين، كما قد فعله كثير، من المسلمانية الدواوين، فهذا لا ينفعه الإسلام حتى يتبرأ من الشرك»(١).

وفاته:

توفى ابن خذافة - رضى الله تعالى عنه - فى خلافة عثمان رضى الله عن الجميع.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١٥، ١٦).

٧٢- خزيمة بن ثابت

ذو الشهادتين

من هو؟

إنه: خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة، الفقيه، أبو عمارة الأنصارى الخَطْمىُّ المدنى، ذو الشهادتين.

قيل: إنه بدرى. والصواب: أنه شهد أُحُدًا وما بعدها.

وكان من كبار جيش على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فاستشهد معه يوم صِفّين.

قتل رضى الله عنه سنة «سبع وثلاثين» وكان حامل راية بنى خَطْمة.

وشهد «مؤتة».

ذو الشهادتين:

عن عمارة بن خزيمة، أن عمة حدثه وهو من أصحاب النبى ﷺ أن النبى ابتاع فرسًا من أعرابى، فاستتبعه النبى ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشى، وأبطأ الأعرابى، فطفق رجال يعترضون الأعرابى، فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابىُّ رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس، وإلا بعته، فقام النبى ﷺ حين سمع نداء الأعرابى، فقال:

«أوليس قد ابتعتُه منك؟»

فقال الأعرابى: لا، والله ما بعتكه.

فقال النبى ﷺ: «بلى قد ابتعته منك»

فطفق الأعرابى يقول: هَلُمَّ شهيدًا.

فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنــك قـد بايعتـه، فـأقبل النبـى ﷺ علـى خزيمة، فقال: «بم تشهد»؟

فقال: بتصديقك يا رسول اللـه، فجعـل رسـول اللـه ﷺ شـهادة خزيمـة بشهادة رجلين[1].

قال خارجة بن زيد، عن أبيه، قال:

لَمَّا كتبنـا المصـاحف، فقـدت آيـة كنـت سـمعتها مـن رسـول اللـه ﷺ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت: «من المؤمنين رجال صدقوا مـا عـاهدوا اللـه عليه».

قال: وكان خزيمة يدعى: ذا الشهادتين، أجـاز رسـول اللـه ﷺ شـهادته بشهادة رجلين»[2].

قلت: وكان زيد بن ثابت رضى الله عنه، لا يثبــت الآيـة إلا بشـاهدى عدل من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يجـد هـذه الآيـة إلا مـع خزيمـة بـن ثابت رضى الله عنه فأثبتها لأن شهادته بشهادتين.

كان خزيمة رضى الله عنه من قبيلة «الأوس» . . وكـانت الأوس تفتخـر به.

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال:

افتحز الحيان من الأنصار، فقالت الأوس: منّا غسيل الملائكة: حنظلة بـن

(١) **إسناده صحيح:** رواه أبو داود (٣٦٠٧) فى الأقضية.

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه عبد الرزاق فـى «المصنـف» (٢٠٤١٦). وأخرجـه البخـارى (٣٩٨/٨)، وفى رواية تقدمت: أن الآية: آخر سورة التوبة.

الراهب، ومنا من اهتز له العرش: سعد، ومنا من حمته الدّبر: عاصم بن أبى الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادتين: خزيمة بن ثابت.

رضى الله عنهم أجمعين.



٧٣- عبد الله بن سلام

الحَبْر الذى شهد له الرسول بالجنة!!

من هو؟

هو: عبد الله بن سلام بن الحارث. الإمام الحَبْر، المشهود له بالجنة. أبو الحارث الإسرائيلى، حليف الأنصار من خواصِّ أصحاب النبى ﷺ.

أسلم رضى الله عنه وقت هجرة النبى ﷺ وقدومه.

قال ابن سعد:

هو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام . . . وهو من أحبار اليهود.

عن عبد الله سلام رضى الله تعالى عنه، قال:

لما قدم النبى ﷺ المدينة، انجفل الناس عليه، وكنت فيمن انجفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كَذَّاب فكان أول شىء سمعته يقول:

«يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(١).

«الحوار الذى دار بينه وبين رسول الله ﷺ »:

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه -:

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد، والترمذى، والحاكم (١٣/٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى. وقوله: انجفل الناس عليه: ذهبوا مسرعين نحوه. (سير ٢/٤١٤) الهامش.

أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مَقْدَمَه إلى المدينة، فقال:

إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبى:

ما أول أشراط الساعة؟

وما أول ما يأكل أهل الجنة؟

ومن أين يُشْبِهُ الولدْ أباه وأمه؟

فقال: «أخبرنى بهن جبريل آنفًا».

قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة[1].

قال - ﷺ -:

«أما أول أشراط الساعة فنار، تخرج من المشرق، فتحشرُ الناس إلى المغرب.

وأما أول ما يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد حوت.

وأما الشبه، فإذا سبق ماءُ الرَّجُلِ، نزع إليه الولد. وإذا سبق ماء المرأة، نزع إليها».

قال: أشهد أنك رسول الله.

وقال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْت، وإنهم إن يعلموا بإسلامى بهتونى، فأرسل إليهم، فسلهم عنى.

فأرسل إليهم. فقال:

«أى رجل ابن سلام فيكم»؟

---

(١) **رد الله تعالى عليهم:** ﴿قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

قالوا: حَبْرُنا، وابن حَبْرِنا، وعالمنا، وابن عالمنا.

قال: «أرأيتم إن أسلم، تُسْلِمون»؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

قال: فخرج عبد الله، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمدًا رسول الله».

فقالوا: شَرُّنا وابن شَرِّنا، وجاهلنا وابنُ جاهلنا.

فقال: يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بُهْت»[1].

فضائله رضي الله عنه:

١- روى الإمام أحمد في «المسند»:

«أن النبي ﷺ أتي بقصعة من ثريد، فأكل ففضل منه فضلة، فقال:

«يدخل من هذا الفج رجل من أهل الجنة، يأكل هذه الفضلة» قال سعد: وقد كنت تركت أخي عمير بن أبي وقاص يتهيأ لأن يأتي النبي ﷺ، فطمعت أن يكون هو، فجاء عبد الله بن سلام، فأكلها»[2].

٢- وعن قيس بن عباد، قال:

كنتُ في مسجد المدينة، فجاء رجل بوجهه أثر، من خشوع؛ فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة. فصلى ركعتين، فأوجز فيهما. فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله، فدخلتُ معه، فحدثته؛ فلما استأنس، قلت:

إنهم قالوا لما دَخَلْتَ المسجد كذا وكذا.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٦/٢٦١). وقوله: بُهْت: وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

(٢) **إسناده حسن**: رواه أحمد (١/١٦٩)، والحاكم (٣/٤١٦) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قال: سبحان الله! ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم. وسأحدثك: إنى رأيت رؤيا، فقصصتها على النبى ﷺ:

رأيت كأنى فى روضة خضراء، وسطها عمود حديد، أسفله فى الأرض، وأعلاه فى السماء، فى أعلاه عُرْوة، فقيل لى: اصعد عليه. فصعدت حتى أخذت بالعروة.

فقيل: استمسك بالعروة.

فاستيقظت وإنها لفى يدى. فلما أصبحت، أتيت رسول الله ﷺ، فقصصتها عليه. فقال:

«أما الروضة، فروضة الإسلام، وأما العمود، فعمود الإسلام، وأما العروة، فهى العروة الوثقى؛ أنت على الإسلام حتى تموت». قال: وهو عبد الله بن سلام(١).

تواضعه:

عن عبد الله بن حنظلة، قال:

أن عبد الله بن سلام مَرَّ فى السوق، عليه حزمة من حطب. فقيل له: أليس أغناك الله؟

قال: بلى، ولكن اردتُّ أن أقمع الكِبر. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقالُ حَبْة خَرْدل من كِبْر»(٢).

النبى ﷺ يحبُّ أولاده:

عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال:

أجلسنى رسول الله ﷺ فى حِجْره ومسح على رأسى وسمانى يوسف»(٣).

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (٧/٩٨)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٢) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/٤١٦) وقال: صحيح.

(٣) قال الهيثمى: رواه أحمد بأسانيد ورجال إسنادين منها ثقات. المجمع برقم (١٥٨٠٧).

جهاده فى سبيل الله تعالى:

روى بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام: أنه شهد فتح نهاوند.

وعن ابن سيرين، قال:

نبئت أن عبد الله بن سلام قال:

إن أدركنى، وليس لى ركوب[١]، فاحملونى، حتى تضعونى بين الصفين. يعنى قُبال الأعماق[٢].

ورعه رضى الله عنه:

عن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى، قال:

أتيت المدينة، فإذا عبد الله بن سلام جالس فى حلقة متخشعًا عليه سيماء الخير، فقال:

يا أخى. جِئْتَ ونحن نريد القيام.

فأذنت له، أو قلت: إذا شئت. فقام، فاتبعته، فقال: من أنت؟

قلت: أنا ابن أخيك؛ أنا أبو بردة بن أبى موسى.

فرحَّب بى، وسألنى، وسقانى سويقا، ثم قال: إنكم بأرض الريف، وإنكم تسالفون الدهاقين، فيهدون لكم حُمْلان القتِّ والدواخل؛ فلا تقربوها، فإنها نار»[٣]. وفى رواية: «فإنه رِبًا».

قوله: «تسالفون»: من السلف وهو القرض.

وقوله: «والحملان» ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة.

---

(١) **الركوب**: كل دابة تركب.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٢/٢، ٤٢٣).

(٣) **رجاله ثقات**: الإصابة (١١٠/٦)، هامش (سير ٤٢٤/٢).

«والدواخل»: جمع دوخلة: زبيل من خوص يجعل فيه التمر والرُّطب.

«والقت»: هو علف الدواب.

قال الحافظ ابن حجر:

يحتمل أن يكون ذلك رأى عبد الله بن سلام، وإلاَّ فالفقهاء على أنه إنما يكون ربا إذا شرطه، نعم الورع تركه»(١).

وفاته رضى الله عنه:

قال الذهبى رحمه الله تعالى:

«اتفقوا على أن عبد الله بن سلام تُوفى سنة ثلاث وأربعين».

رضى الله عنه وأرضاه.



(١) هامش سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٤).

٧٤- حكيم بن حزام
أُشْهدكم أنى قد جَعلْتُها لله

من هو؟

إنه: حكيم بن حزام، بن خويلد بن أسد . . . أبو خالد القرشى الأسدى.

قال ابن منده:

«ولد حكيم فى جوف الكعبة، وعاش مائة وعشرين سنة» ا.هـ.

أسلم يوم الفتح وحَسُنَ إسلامه. وغزا حنينًا والطائف. وكان من أشراف قريش، وعقلائها، ونبلائها. وكانت خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - عمته، وكان الزبير بن العوام ابن عمه.

قال الذهبى رحمه الله تعالى:

«وكان حكيم من سادات قريش . . . علامة بالنسب فقيه النفس كبير الشأن».

وكان رضى الله عنه إذا اجتهد فى يمينه، قال:

«لا والذى نجانى يوم بدر من القتل».

قلت: كان على الشرك يومئذ، ولو قُتل لمات كافرًا، ولكن أدركته رحمة الله تعالى.

حُبّه للنبى ﷺ فى الجاهلية!

عن عراك بن مالك أن حكيم بن حزام، قال:

كان محمد ﷺ أحَبَّ الناس إلىّ فى الجاهلية، فلما نُبِّىء وهاجر، شهد حكيم الموسم كافرًا، فوجد حُلَّةً «لذى يزن»(١) تُباع فاشتراها بخمسين دينارًا ليهديها إلى رسول ﷺ، فقدم بها عليه المدينة، فأراده على قبضها هدية، فأبى.

قال عبيد الله: حَسِبْتُه قال:

«إنا لا نقبل من المشركين شيئًا، ولكن إن شئتَ بالثمن».

قال: فأعطيته حين أبى على الهدية(٢).

زاد الطبرانى - فى رواية -:

فلبستها، فرأيتها عليه على المنبر، فلم أر شيئا أحسن منه يومئذ فيها، ثم أعطاها أسامة فرآها حكيم، على أسامة، فقال:

يا أسامة! أتلبس حُلَّةَ «ذى يزن»؟

قال: نعم، والله لأنا خير منه، ولأبى خير من أبيه.

فانطلقت إلى مكة، فأَعْجَبْتُهم بقوله.

القناعة سبيل الغنى:

ضرب حكيم بن حزام - رضى الله عنه - المثل فى التعفف والقناعة . . والرضا بقسمه الله تعالى . . فأعقبه ذلك بسطة فى الرزق ووفرة فى المال.

عن الزهرى، عن سعيد وعروة:

«أن رسول الله ﷺأعطى حكيمًا يوم حُنَيْن فاستقلّه، فزاده، فقال: يا رسول الله! أىُّ عطيتك خَيْرٌ؟

---

(١) ملك من ملوك اليمن.

(٢) **رجاله ثقات**: أخرجه أحمد (٣/٤٠٢، ٤٠٣)، والحاكم (٣/٤٨٤، ٤٨٥)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى. هامش (سير ٣/٤٦).

قال: «الأولى». وقال:

«يا حكيم إن هذا المال خَضْرةٌ حلوةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس وحُسْن أُكله، بورك له فيه، ومن أخذه باستشراف نفس وسوء أكلةٍ، لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع»،

قال: ومنك يا رسول الله؟

قال: «ومِنى».

قال: فوالذى بعثك بالحق لا أرزأُ أحدًا بعدك شيئًا.

قال: فلم يقبل ديوانًا ولا عطاء حتى مات.

فكان عمر يقول:

اللهم إنى أشهدك على حكيم أنى أدعوه لِحَقّه وهو يأبى. فمات حين مات، وإنه لمن أكثر قريش مالاً[١].

سخاؤه:

عن هشام بن عروة، عن أبيه:

أن حكيم بن حزام أعتق فى الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير، فلما أسلم حمل على مائة بعير، وأعتق مائة رقبة، قال:

فسألت رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله، أرأيت أشياء كنت أصنعها فى الجاهلية، كنت أتحنث بها، (يعنى: أتبرر بها) قال: فقال رسول الله ﷺ:

«أسلمت على ما سلف لك من خير»[٢].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، والطبرانى (٣٠٧٨).

(٢) **صحيح**: متفق عليه.

وعن مصعب بن ثابت، قال:

«بلغنى والله أن حكيم بن حزام حضر يوم عرفة، ومعه مائة رقبة، ومائة بَدَنة، ومائة بقرة، ومائة شاة، فقال: «الكل لله»[1].

وثبت: أن حكيمًا باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف.

فقال له ابن الزبير: بْعتَ مَكْرُمَةَ قريش؟

فقال: ذهبت المكارم يا ابن أخى إلا التقوى، إنى اشتريت بها دارًا فى الجنة، أشهدكم أنى قد جعلتها لله[2].

خاتمة سعيدة:

مات حكيم - رضى الله تعالى عنه - سنة أربع وخمسين. ودُخِل عليه عند الموت وهو يقول:

«لا إله إلا الله قد كنت أخشاك، وأنا اليوم أرجوك».

ثم فاضت روحه إلى ربه رضى الله عنه.



(١) أخرجه الطبرانى (٣٠٧٥) وهو مرسل.
(٢) **حسن**: أخرجه الطبرانى بإسنادين أحدهما حسن. المجمع (٩/٣٨٤).

٧٥ - عبد الله بن عمرو بن العاص
الإمام العابد

من هو؟

هو: الإمام الحَبْر العابد، عبد الله بن عمرو بن العاص ..... صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه.

أسلم قبل أبيه، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ فى العلم والعمل، حمل عن النبى ﷺ علمًا جَمًّا، هاجر بعد سنة سبع، وشهد بعض المغازى. وكتب الكثير بإذن النبى ﷺ، وترخيصه له فى الكتابة بعد كراهيته للصحابه أن يكتبوا عنه سوى القرآن وسوَّغ ذلك ﷺ.

ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة رضى الله عنهم على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة.

قال الإمام الذهبى رحمه الله تعالى:

«والظاهر أن النهى كان أولاً لتتوفر هِمَمهُمُ على القرآن وحده، وليَمْتازَ القرآن بالكتابة عَمَّا سواه من السنن النبوية، فيؤمَنُ اللَّبسُ، فلما زال المحذورُ واللَّبْسُ، ووضح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس أُذن فى كتابة العلم، والله أعلم»(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

«قد صح عن النبى ﷺ النهى عن الكتابة والإذن فيها متأخر، فيكون ناسخًا لحديث النهى، فإن النبى ﷺ قال فى غزاة الفتح: «أكتبوا لأبى

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٨١).

شاه»... وأذن لعبد الله بن عمرو فى الكتابة، وحديثه متأخر عن النهى، لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهى الصحيفة التى كان يسميها «الصادقة» ولو كان النهى عن الكتابة متأخرًا، لمحاها عبد الله، لأمر النبى ﷺ بمحو ما كتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحها، وأثبتها، دل على أن الإذن فى الكتابة متأخر عن النهى عنها»[(١)].

فضائله:

١- عن عقبة بن عامر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله»[(٢)].

وفى رواية: «عمرو بن العاص مِنْ صالحى قريش، ونعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله».

٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: كنت يومًا مع رسول الله ﷺ فى بيته فقال:

«هل تدرى مَنْ معنا فى البيت؟».

قلت: من يا رسول الله؟

قال: «جبريل عليه السلام».

قلت: السلام عليك يا جبريل ورحمة الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إنه قَدْ رَدَّ عليك السلام»[(٣)].

تعبده:

عن عبد الله بن عمرو، قال:

---

(١) تهذيب السنن (٥/٢٤٥) لابن القيم.

(٢) **رجال ثقات**: رواه أحمد، وانظر: المجمع برقم (١٥٩٠٢، ١٥٩٠٣).

(٣) **إسناده حسن**: رواه الطبرانى، وانظر: المجمع برقم (١٥٩٠٤).

زوجنى أبى امرأة من قريش فلما دخلت علىَّ جعلت لا أنحاشُ لها مما بى من القوة على العبادة من الصلاة والصوم.

فجاء عمرو بن العاص «أبوه» كنَّته حتى دخل عليها فقال: كيف وجدت بَعْلَك؟[١]

قالت: خير الرجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفًا ولم يعرف لنا فراشًا.

فأقبل علىَّ وعضنى بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلْتَها[٢] وفعلْت؟

قال: ثم انطلق إلى النبى ﷺ فشكانى. فأرسل إلىَّ النبى ﷺ فأتيته فقال لى: «أتصوم النهار»؟

قلت: نعم.

قال: «وتقوم الليل»؟

قلت: نعم.

قال: «ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأمسّ النساء فمن رغب عن سُنتِّى فليس منىِّ».

وقال: «اقرأ القرآن فى كل شهر».

قلت: إنى أجدنى أقوى من ذلك.

قال: «فاقرأه فى كل عشرة أيام».

---

(١) **البَعْل**: الزوج.

(٢) يقال: أعضلنى فلان أعيانى أمره، وقد أعضل الأمر: اشتد واستغلق (مختار الصحاح ٤٣٨).

قلت: إنى أجدنى أقوى من ذلك.

قال: «فاقرأه فى كل ثلاث».

ثم قال: «صم فى كل شهر ثلاثة أيام»

قلت: إنى أقوى من ذلك.

قال: فلم يزل يرفقنى حتى قال:

«صم يومًا وأفطر يومًا فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخى داود»(١).

قال حصين فى حديثه: ثم قال ﷺ:

«فإن لكل عابد شِرَّةٌ، ولكل شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فإما إلى سُنَّة وإما إلى بدعة، فمن كانت فَتْرَتُهُ إلى سنَّة فقد اهتدى، ومن كانت فَتْرَتُهُ إلى غير ذلك فقد هلك»(٢).

قال الإمام الذهبى رحمه الله:

« .... فأقل مراتب النهى أن تُكره تلاوة القرآن كُلّه فى أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلى فى أقل من ذلك.

ولو تلا ورتّل فى أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملاً فاضلاً، فالدين يُسْر، فوالله إن ترتيل سُبع القرآن فى تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عندْ النوم واليقظة، ودُبرُ المكتوبة والسَّحَر، مع النظر فى العلم النافع والإشتغال به مخلصا لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض فى جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء الواجب، واجتناب الكبائر وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدق

(١) **رجال ثقات**: أحمد فى «المسند» (٢/١٥٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن أبى عاصم، وابن حبان فى «صحيحه» وانظر: ظلال الجنة (٥١).

وصلةِ الرحم، والتواضع، والإخلاص في جميع ذلك، لشُغْل عظيم جسيم، ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب.

فمتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم، فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرنا ولا تدبر ما يتلوه.

وهذا السيد العابد الصاحب - أي عبد الله بن عمرو - كان يقول لما شاخ: ليتني قبلتُ رُخصة رسول الله ﷺ(١).

علمه رضي الله عنه:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال:

«لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»(٢).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده - عبد الله بن عمرو - قال:

قلت: يا رسول الله! أكتبُ ما أسمع منك؟

قال: «نعم».

قلت: في الرِّضى والغضب؟

قال: «نعم، فإني لا أقول إلا حقًا»(٣).

بكاؤه وشيء من مواعظه:

«عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، قال:

كنت أصنع الكحل لعبد الله بن عمرو، وكان يطفيء السراج بالليل، ثم يبكي حتى رسِعَتْ عيناه».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤/١٨٩، ١٩١). وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/٨٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١/١٨٤) في العلم: باب «كتابة العلم».
(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/٢٠٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٨٩).

رسِعت: أى تَغيَّرت وفسدت، والتصقت أجفانها. «الحلية ١/٢٩٠».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

«لأن أدمع دمعة من خشية اله عز وجل أحب إلىَّ من أن أتصدق بألف دينار»[١].

وعن عبد الله بن أبى مُليكة، عن عبد الله بن عمرو قال:

«لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا»[٢].

عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو قال:

«أرواح المؤمنين فى جوف طير خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة»[٣].

عبد الله يندم!:

فى إحدى المناسبات . . شكا عمرو بن العاص ولده عبد الله لرسول الله ﷺ . . فقال النبى ﷺ لعبد الله:

«أطع أباك ما دام حَيًّا».

وانتقل النبى ﷺ إلى جوار ربه . . ودارت عجلة الزمن . . ولما نشب القتال فى «صِفّين» كان عبد الله بن عمرو مع أبيه فى جيش «معاوية رضى الله عنه . . وشهد القتال ولم يضرب بسيف ولم يَرْم بسهم . . فقال له معاوية: فما بالك معنا؟

قال: «إن أبى شكانى إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أطع أباك ما دام حيًا» فأنا معكم، ولست أقاتل»[٤].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٣٣٤).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/٣٣٤).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/٣٣٤).

(٤) **إسناده صحيح:** رواه أحمد فى «المسند» ٢/١٦٤، وصححه الأرنؤوط: سير (٣/٩٢).

ورغم هذا . . كان يقول: «مالي ولصفين، مالي ولقتال المسلمين، لودِدْتُ أني مِتُّ قبلها بعشرين سنة - أو قال بعشر سنين - أما والله على ذلك ماضربتُ بسيف، ولا رميتُ بسهم»[١].

عبد الله يبكي!

عن عبيد بن سعيد: أنه دخل مع عبد الله بن عمرو المسجد الحرام، والكعبة محترقة حين أدبر جيش «حصين بن نمير»، والكعبة تتناثر حجارتها. فوقف وبكى حتى إني لأنظر إلى دموعه تسيل على وجنتيه. فقال:

«أيها الناس! والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم، ومحرقوا بيت ربكم، لقلتم: ما أحد أكذب من أبي هريرة. فقد فعلتم، فانتظروا نقمة الله فليلبسنكم شيعًا، ويذيق بعضكم بأس بعض».

غناه رضي الله عنه:

لا بأس بالغنى لمن اتقى . . وكان بعض السلف يقول: «لولا الفقراء ما اتجرْت».

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:

«ورث عبد الله من أبيه قناطير مقنطرة من الذهب المصري، فكان من ملوك الصحابة»[٢].

قلت: وهذا الغنى هو ثمرة الجهاد في سبيل الله وحصاد الفتوحات الإسلامية وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«بُعْثُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِل رزقي تحت ظِلِّ رُمْحي، وجعل الذلة والصِّغارُ على من خالف

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٩٢).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٩٠).

أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم»(١).

وفاؤه بالوعد عند الموت:

عن هارون بن رئاب، قال: «لما حضرتْ عبد الله بن عمرو الوفاة قال:

إنه خطب إلى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلث النفاق. اشهدوا أنّى قد زوجتها إياه»(٢).

وفاته:

قال يحيى بن بُكَير: توفى عبد الله بن عمرو بمصر، ودفن بداره الصغيرة سنة خمس وستين.

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «وهو الصحيح، فقد روى الكندى فى كتاب «الولاة» (٦٤٥) قصة قتل «الأكدر بن حمام» الذى قتله مروان بن الحكم حين قدم مصر سنة (٦٥)، ... فعن موسى بن على بن رباح، عن أبيه، قال:

كنت واقفًا بباب مروان حين أتى بالأكدر . . . وكان قَتْل الأكدر للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستين، ويؤمئذ توفى عبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لتشغيب الجند على مروان، فدفن في داره»(٣). رضى الله عنه وأرضاه.

وبترجمة هذا الصحابى الجليل ينتهى القسم الأول من الكتاب

«رجال حول الرسول»

ويليه القسم الثانى «نساء حول الرسول» والحمد لله تعالى



---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد، وحَسَّنه الحافظ فى «الفتح» (٢٣٠/١٠).

(٢) انظر: صفة الصفوة (٣٣٥/١).

(٣) هامش (سير أعلام النبلاء ٩٤/٣).

القسم الثانى

نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فليس صحيحًا ما يقال: «كانت المرأة فى صدر الإسلام لا تخرج أبدًا إلا ثلاث مرات، من بطن أمها إلى الدنيا، ومن دار أبيها إلى الزوج، ومن دار زوجها إلى القبر!!!». فهذا قول مُفْترى.

وليس صحيحًا كذلك ما يُرْوى أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت فى شأن النساء: «لا تنزلوهن الغرف، يعنى لا يسكن فى الأعالى، ولا تعلموهن الكتابة!!!».

بل الحقيقة أن المرأة عاشت فى ظل هذا الدين الخالد متمتعة بكامل حقوقها تشارك أُمتَّها فى آمالها وآلامها .... رأينا منهن المجاهدات، والعابدات، والفقيهات .....

فالإسلام صان حقها، وعِرْضها ... وقُتِل الخرَّاصون الذين يَدَّعون ظلمًا وزورًا أن المرأة فى ظل الإسلام مهيضة الجناح، مهضومة الحق!!!

وعلى الصفحات القادمة نعيش مع نساء خالدات، ومؤمنات صالحات،

فقيهات، مجاهدات .... هُنَّ أصدق دليل، وأوضح برهان على عظمة هذا الدين، وخلود مبادئه، والله غالب على أمره.

المؤلف

سعد يوسف أبو عزيز

١ - خديجة بنت خويلد

خير نساء العالمين

أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين فى زمانها، أم القاسم ابنة خويلد بن أسد، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ. وأول من آمن به وصدَّقه قبل كل أحد.

قال الإمام الذهبى: ومناقبها جَمَّة، وهى ممن كمل من النساء. كانت عاقلةً جليلة ديِّنة، مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبى ﷺ يثنى عليها، ويفضِّلها على سائر أمهات المؤمنين.

ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج إمراة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قطّ .... فكانت نعم القرين وكانت تنفقُ عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها.

فضائلها:

١ - عن على بن أبى طالب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيرُ نسائها خديجةُ بنتُ خويلد، وخير نسائها مريمُ بنْتُ عمران»[١].

٢ - وعن أنس، أن النبى ﷺ، قال: «حسبك من نساء العالمين مريمُ بنْتُ عمران، وخديجة بنتُ خويلد، وفاطمة بنتُ محمدٍ، وآسية امرأةُ فرعون»[٢].

٣ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم.

(٢) **صحيح:** صحيح سنن الترمذى (٣٠٥٣).

أتى جبريل النبى ﷺ فقال: هذه خديجة أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من رَبِّها ومنىّ وبشِّرها ببيت فى الجنّة من قصب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب[1].

الزواج المبارك:

كان السَّادات والرؤساء فى مكة يحرصون على الزواج من خديجة، فتأبى ذلك عليهم، وتردّهم جميعًا، ولكنها وجدت ما تنشده وما تبغيه فى سيدنا محمد ﷺ، وهنا أفضتْ عما يدور فى نفسها إلى صديقتها «**نفيسة بنت منية**».

فذهبت نفيسة إلى النبى الكريم ﷺ وكلمته أن يتزوَّج الطَّاهرة[2] خديجة، وقالت: يا محمد ما يمنعك أنْ تزَّوجَ؟

فقال: «ما بيدى ما أتزوج به».

قالت: فإن كُفيتَ وَدُعيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب؟

قال: «فمن هى»؟

قالت: خديجة.

قال: «وكيف لى بذلك»؟

قالت: علىَّ.

قال: «فأنا أفعل».

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٢) عُرفت السيدة خديجة بلقب «الطاهرة» بين نساء مكة (سير أعلام النبلاء ٢/١١١).
وكانت خديجة أولاً أبى تحت هالة بن زرارة التميمى، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عابد ثم بعده النبى ﷺ فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسنَّ منه بخمس عشرة سنة.

ورجعت نفيسة إلى الطاهرة خديجة تحمل خبر نجاحها فى مهمتها، وزفَّتْ إليها نبأ موافقة محمد ﷺ بالزواج، فأرسلت الطاهرة خديجة إلى عَمِّها عمرو بن أسد ليزوّجها، فحضر، وجاء رسولُ الله إلى بيت خديجة فى آل عبد المطلب، وقام أبو طالب خطيبًا، وألقى خطبة رائعة نقتطف منها فِقرات كاشفة، فكان مما قال:

«الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرْع إسماعيل، ... وجعلنا حضَنَةَ بَيْته وسُوّاس حَرَمه، وجعل لنا بيتا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، ثم إنَّ ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يُوزنُ به رجلٌ مِنْ قريش شرفًا ونبلاً وفضلاً إلا رجح به، . . . ومحمد مَنْ عرفتم قرابته . . . وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصَدَاق - المهر - فعلىَّ».

وافق عمها عمرو بن أسد وكان شيخًا كبيرًا فقال: هو الفحلُ لا يُقْدحُ أنفه»(١).

موقف كريم:

عن عائشة، رضى الله عنها، قالت:

أول ما بُدئ به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله يتزود لذلك، ثم رجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء، فجاء الملك فقال: «اقرأ» قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، قلت:

(١) نساء مبشرات بالجنة (١/٢١، ٢٢) للأستاذ/ أحمد خليل جمعة.
ومعنى: هو الفحل لا يقدح أنفه: هذا مثل يضرب للرجل الكفء الكريم، والفحل: الذكر من الإبل. ومعنى الكلام «هو كفء كريم لا يُرد».

ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢] . . . . إلخ.

فرجع رسول الله ترجف بوادره! حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملونى. زملونى» فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع ثم قال لخديجة: «أى خديجة، مالى؟» وأخبرها الخبر: ثم قال: «لقد خشيت على نفسى».

قالت له: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصَّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمى، فقالت له خديجة: أى ابن عم: اسمع من ابن أخيك! فقال له ورقة: يا ابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة له: هذا الناموس الذى نَزَّل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجىّ هم؟.

قال: نعم! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى وإن يدركنى يومك حيًا أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن تُوفى وفَتَر الوحى(١).

ألا ما أجل هذا الفضل المقبل، وما أعظم ما يواجه محمدًا فيه من شئون وشجون! .

وكان موقف زوجه خديجة رضى الله عنها منه من أشرف المواقف التى تحمد لامرأة فى الأولين والآخرين. طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد،

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

وذكّرته بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبدًا وإن الله إذ طبع رجلاً على المكارم الجزلة والمناقب السمحة فلكيما يجعله أهل إعزازه وإحسانه، وبهذا الرأى الراجح والقلب الصالح استحقت السيدة خديجة أن يحييها رب العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين(١).

الصابرة:

ضربت أم المؤمنين خديجة فى الصبر مثلا رائعًا . . وفازت بالنجاح من جراء صبرها فى الخطوات الأولى لسير الرسالة النبوية.

فكان النبى ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها وحالها كما قال القائل:

وهى لا تنثنى عن الحقِّ صبرًا ودفاعًا عن خاتم الأنبياءِ

وعندما صدع النبى ﷺ بالدعوة وجهر بها، قاطعت قريش، بنى هاشم «اشتدت الأزمات، وتفاقمت الأحداث، واستشرى الأمر بين رسالة رسول الله، وبين الطغيان الوثنى المتمثل بصناديد قريش، فاضطربت عقولهم فى رؤوسهم الخاوية إلا من البغى والظلم واستعباد الضعفاء، ورجفت قلوبُهم الفارغة إلا من الفساد والتعبد للأصنام، غير أن المسلمين صبروا صبر الكرام.

وظلت أمُّنا خديجة من وراء رسول الله تشدُّ أزره، وتشاركه فى حَمْلِ الأذى من قَوْمه بنفس راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله تعالى قضاءه فى هذه المقاطعة الظالمة المريرة التى مكثت سيفًا مصلتًا على أعناق المحاصرين المؤمنين.

انتهى الحصار، وخرجت الطاهرة من الحصار ظافرة بثمرة صبرها لتتابع

---

(١) فقه السيرة للغزالى (٩٣، ٩٤).

مع رسول الله ﷺ سيرها فى الحياة زوجة أمينة(١).

البرّة الوصولة:

قضت السيدة خديجة فى كنف رسول الله ﷺ مرحلة تقارب ربع قرن من الزمن، فكانت فى حياتها معه أوفى وأبَّر زوجة لزوجها، كانت تشاركه مباهجة ومسرَّاته، وتتطلع إلى رضاه وسعادته، وتبرُّ من يحبُّهم ... وقد ظهر من كرمها «لما أصابت الناس سنةَ جَدب بعد زواجها من رسول الله ﷺ .. جاءت السيدة حليمة السعدية، مرضعته ﷺ، زائرة، فعادت من عنده، ومعها من مال خديجة بعير، يحمل الماء وأربعون رأسًا من الغنم(٢)».

وداعًا:

عندما خرجت السيدة خديجة من الحصار الظالم، لم تلبث إلا قليلا حتى لَبَّت نداء ربها . . وصعدت روحها الطاهرة إلى السماء راضية مرضية.

قال عروة: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ودفنت رضى الله عنها «بالحَجُون».

ولله در القائل:

ولو كان النِّساء كَمَنْ فَقَدْنا   لفُضلتِ النِّساءُ على الرِّجالِ

رثاء ووفاء:

ترك موتها رضى الله عنها أثرًا فى نفس رسول الله ﷺ . . وكانت دائمًا فى ذاكرته، واسمها على لسانه، يحب من أحبها، ويكرم من أكرمها.

تقول السيدة عائشة: ذكر رسول الله ﷺ خديجة، فتناولتها، فقلت: عجوز! كذا وكذا، قد أبدلك الله بها خيرًا منها.

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (١/٣٥، ٣٦) بتصرف.
(٢) نفس المرجع (١/٣٢). بتصرف.

قال: «ما أبدلنى الله خَيْرًا منها، لقد آمنت بى حين كفر الناس، وأشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها، وحرمنى ولد غيرها» قلتُ: والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم(١).

وجاءت عجوز من صويحبات خديجة إلى النبى ﷺ بعد موتها، فأحسن النبى ﷺ لقائها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لَمَّا خرجت: تُقبِلُ على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: «إنها كَانت تأتينا أيام زمان خديجة، وإنَّ حسن العهد من الإيمان»(٢).

وفى صحيح مسلم عن عائشة، رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان إذا ذبح الشَّاة، قال: «أرسلوها إلى أصدقاء خديجة» فذكرتُ له يومًا فقال: «إنِّى لأحِبُّ حبيبها».

أرأيتم وفاءً يدانى هذا الوفاء. . ما أجمل الحياة فى ظل الإسلام، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.



(١) أخرجه أحمد (٦/١١٧، ١١٨). ومجالد ضعيف، وباقى رجاله ثقات.
(٢) رواه الحاكم، والبيهقى فى «الشعب».

٢ - فاطمة بنت أسد

اضطجع النبى ﷺ فى قبرها، وأثنى عليها خيرًا !!

يا تُرى من هذه؟

إنها الصحابية الجليلة: «فاطمة بنت أسد» ابن هشام بن عبد مناف . . الهاشمية، والدة علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهى «حماة فاطمة».

أسلمت رضى الله عنها، وكانت من المهاجرات الأول. وهى أول هاشمية ولدتْ هاشميًا.

رعايتها للنبى ﷺ:

«لما أحسَّ عبد المطلب جَد النبى ﷺ بدنو أجله، أوصى ولده أبا طالب بأن يحوط ابن شقيقه محمد بن عبد الله، ولعلّ عبد المطلب قصد مِنْ هذا إلى أن اليد الحانية الأمينة تكمن فى بيت أبى طالب، وعند زوجه فاطمة على حُسْن الرِّعاية لمحمد ﷺ، فقد جعلت فاطمة تشمله برعايتها وتشرف عليه مع زوجها، وكانت ترى البركة تحلُّ فى طعام أولادها إذا أكل معهم محمد ﷺ »(١).

وكانت، رضى الله عنها، تعطى محمدًا ﷺ عناية خاصة عن بقية أولادها!!

ففى السيرة الحلبية (١/١٨٩) يذكر مؤلفها حال النبى ﷺ فى بيت عمه فيقول: «وكان الصبيان يصبحون شعْثًا رُمْصًا(٢)، ويصبح رسول الله ﷺ دهينًا كحيلاً».

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (١/٥٩).

(٢) **الرمص**: وسخ أبيض جامد يجتمع فى مُوق العينين.

وفاء النبى عند موتها:

عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ على، رضى الله عنها، دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها فقال:

«رحمك الله يا أمى، كنت بعد أمِّى تجوعين وتشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيِّبًا وتطعمينى، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة» ثم أمر أن تغسل ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور، سَكَبَهُ رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفَّنها ببُرْدٍ فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللَّحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضجع فيه، فقال: «الله الذى يحيى ويميت، وهو حَىّ لا يموت، اغْفَر لأمِّى فاطمة بنت أسد، ولقنها حُجَتها، ووسِّع عليها مَدْخَلها، بحقِّ نبيِّك والأنبياء الذين قبلى فإنك، أرحم الراحمين» وكبَّر عليها أربعًا، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم»(١).

وعن ابن عباس، قال:

لما ماتت فاطمة أمُّ علىٍّ ألبسها النبىُّ ﷺ قميصه، واضطجع معها فى قبرها فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا! فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ بى منها. إنما ألبَستُها قميصى لتكسى من حُلل الجَنَّة، واضطجعت معها ليُهوَّن عليها»(٢).

فرضى الله عن فاطمة بنت أسد وأرْضاها.



(١) قال الهيثمى: رواه الطبَرانى فى الكبير والأوسط وفيه: روح بن الصلاح، وثقة ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله الصحيح. المجمع برقم (١٥٣٩٩).

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٢٥٧/٩) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سعدان بن الوليد السابرى، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

٣ – فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

«يؤذينى ما آذاها» حديث شريف

سيدة نساء العالمين فى زمانها البَضْعة النبوية، والجهة المصطفوية، «أُمُّ أَبيها»[١]، بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ، وأمُّ الحسنين مولدها قبل المبعث بقليل.

وتزوجها على بن أبى طالب فى ذى القعدة، أو قُبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

وقال ابن عبد البر:

دخل بها بعد وقعة أُحد.

قلت: وهذا لا يصح . . لأن عليا أراد أن يبنى بفاطمة قبيل بدر كما فى «الصحيحين».

وقد كان النبى ﷺ يُحبها ويُكرمها ويُسِرُّ إليها. ومناقبها غزيرة. وكانت صابرة دينة خيرة صَيِّنة قانعةً شاكرةً لله.

وقد غضب لها النبى ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هَمَّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبى جهل، فقال:

«والله لا تجتمع بنتُ نبى الله و بنتُ عدوِّ الله، وإنما فاطمة بَضْعَةٌ منى، يَريبنى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها»[٢] فترك علىٌّ الخطبة رعايةً لها. فما تزوج عليها ولا تَسرَّى. فلمَّا تُوفيت تزوج وتَسرَّى، رضى الله عنها.

---

(١) فى الإصابة (٧١/١٣) وكانت تكنى أم أبيها.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٦٧/٧، ٦٨)، مسلم (٢٤٤٩).

فضائلها:

١ - قالت عائشة رضى الله عنها:

جاءت فاطمة تمشى ما تخطىء مِشيتُها مِشية رسول الله ﷺ. فقام إليها، وقال: «مرحبًا بابنتى»[١].

٢ - وعن أم سلمة: أن النبى ﷺ جلَّل عَلَى: الحسن، والحسين، وعلىّ، وفاطمة كساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء، أهلُ بيتى وخاصتى؛ أَذْهِب عنهم الرِّجْسَ وطَهْرهم تطهيرًا».

فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**إنك على خَيْر**»[٢].

٣ - عن أبى سعيد. قال رسول الله ﷺ: «لا يبغضنا أهل البيت أحَدٌ، إلا أدخله الله النار»[٣].

٤ - عن عائشة رضى الله عنها، قالت:

ما رأيت أحدًا كان أشبة كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دَخَلتْ عليه قام إليها، فقبَّلها، ورحَّب بها، وكذلك كانت هى تصنع به[٤].

طليعة المجاهدات:

بدأ جهادها رضى الله عنها مع بداية الدعوة إلى الله تعالى وكان أبوها ﷺ قد نال من الأذى ما تنوء بحمله الجبال . .

«وفى إحدى المجالس الوثنية الفاجرة سمع عقبة بن أبى معيط نفرًا من

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٥٢١٧)، والترمذى (٥٢١٧) وأصله فى الصحيحين.

(٢) **صحيح بشواهده:** صحيح سنن الترمذى (٣٠٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/١٥٠) وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبى.

(٤) **إسناده حسن:** أخرجه أبو داود والحاكم (٣/ ١٥٤) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

أجلاف قريش قالوا: مَنْ يقوم إلى هذا السَّلا[١] فيلقيه على ظهر محمد وهو ساجد؟

وتبرّع عقبةُ، أخزاه الله، بتنفيذ رغبتهم الدنيئة وقال: أنا؛ وأسرع إلى السَّلا وحمله، ثم ألقاه على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد . . . . وبقى سيد المرسلين فى سجوده، حتى وصل الخبر إلى فاطمة فجاءت رضى الله عنها وأخذت الأقذار عن ظهر أبيها، وغَسَلَتْ ما لحق به من أذى.

وفى غزوة أحد، لما رأت الدماء تسيل من وجه رسول الله . . سارعت إليه واعتنقته «وجعلت تمسح الدماء عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: «اشتد غضب الله على قومٍ دموا وجهَ رسول الله»[٢].

وشاركت رضى الله عنها فى غزوة الخندق، وخيبر، وغزوة الفتح.

عند وفاة أبيها:

عن عائشة رضى الله عنها، قالت:

كنا أزواج النبى ﷺ اجتمعنا عنده، فلم يُغادر منهن واحدة. فجاءت فاطمة تمشى ما تخطىءُ مِشيتُها مشية رسول الله ﷺ فلما رآها. رحَّب بها، قال:

«مرحبًا بابنتى». ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره. ثم سارَّها، فبكت؛ ثم سارَّها الثانية، فضحكت فلما قام، قلتُ لها: خصَّكِ رسول الله بالسرِّ وأنت تبكين، عزمت عليك بمالى عليك من حَقٍّ، لما أخبرتنى مِمَّ ضحكت؟ وممَّ بكيت؟ قالت: ما كنتُ لأُفشى سرَّ رسول الله ﷺ. فلمَّا تُوفىَّ، قلت لها: عزمت عليك بمالى من حقٍّ لما أخبرتينى قال: أما الآن فنعم، فى المرة الأولى حدثنى «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كُلَّ سَنَةٍ مَرَّة، وأنه عارضنى العام فى هذه السنة مرتين، وأنىِّ لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب

---

(١) **السلا:** هو ما يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة، ويكون به قذر ودماء.

(٢) رواه البيهقى فى (دلائل النبوة) (٣/٢٨٣).

أجلى، فـاتقى اللـه واصْبرى، فنعـم السَّـلفُ لـك أنـا» فبكيـتُ. فلمـا رأى جزعى، قال: «أما تَرْضيْن أن تكونى سـيدة نسـاء العـالمين، أو سـيدة نسـاء هذه الأمّة؟» قالت: فضحكتُ(١).

ولما تُوفّى النبى ﷺ حزنــت عليـه، وبكتـه، وقـالت: ياأبتـاه! إلى جـبريل ننعاه! يا أبتاه! أجاب ربًا دعاه! يا أبتاه! جنة الفردوس مأواه!

وقالت بعد دفنه: يا أنسُ، كيف طابتْ أنفُسُـكم أن تحثـوا الـتُّرابَ علـى رسول الله ﷺ(٢).

وتوفيت رضى الله عنها بعد النبى بخمسة أشهر أو نحوها، وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة. وأكثر مـا قيـل إنهـا عاشـت تسـعًا وعشـرين سـنة والأول أصح(٣).

الأدب مع الزوج:

عن الشعبى، قال: لما مرضتْ فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علـىٌّ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذنُ عليـك. فقـالت: أتُحِـبُّ أن آذن لـه. قـال: نعم.

قال الذهبى، مُعَلِّقًا:

«قلت: عملت السُّنَّة رضى اللـه عنهـا، فلـم تـأذنْ فـى بيـت زوجهـا إلا بأمره» اهـ.

قلت: فأين هذا الأدب الإسلامى فى عصرنا .. الذى تحولت فيـه بيـوت كثير مـن المسـلمين إلى فوضـى أخلاقيـة .. فدفنـت الكرامـة .. وانتهكـت الأعراض، رضى الله عن فاطمة.



(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٨/١١٣) فى صحيحه.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/١٢٢).

٤ – أم عمارة

«قُطِعَتْ يَدُهَا فى الجهاد !!!»

مَنْ هى؟

إنها الفاضلةُ المجاهدة الأنصارية الخزرجية «نسيبة بنت كعب» رضى الله عنها.

كان أخوها عبد الله بن كعب المازنى من البدريين.

وكان أخوها عبد الرحمن، من البكَّائين.

شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أُحُدًا، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدتْ، وفعلت الأفاعيل، وقطعت يُدها فى الجهاد(١).

يقول الدكتور/ محمود عمارة:

«وهكذا كانت المرأة المسلمة .. زمان .. يوم أن كانت دنيا المسلمين مقبلة .. كانت المرأة صحيحة العقل .. سليمة البدن .. صائبة الرأى .. ثم خلف من بعد ذلك خلف زحمت فيه المرأة وجهها بالمساحيق .. فأفسدت الوجه .. ومعدتها بالحبوب المستوردة فأوهنت العظم .. وكانت النتيجة: أن ضمر الجسم .. فلم يبق هناك عقل .. إلا بقايا من أعصاب متوترة لا تصبر على حال من القلق .. ثم لا تحسن تربية .. ولا تحسن تبعلا!»(٢).

أسطورة الجهاد:

قال الواقدى: عنها رضى الله عنها:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٨).

(٢) تأملات فى السيرة النبوية (١٨٠).

«شَهدتْ أُحُدًا، مع زوجها غَزيَّة بن عمرو، مع ولَدَيْها.

خرجت تَسْقى، ومعها شَنٌّ، قِرْبة، وقاتلتْ، وأبلت بلاءً حسنًا وجرحت اثنى عشر جرحًا».

وكان الرسول ﷺ يقول: «لمقام نسيبة بنت كعبٍ اليوم، أى يوم أُحُد، خير من مقام فلان وفلان».

وكانت يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها[١]، حتى جُرحت ثلاث عشر جُرْحًا.

وكان ضمرة بن سعيد المازنى يحدث عن جدتّه، وكانت قد شهدت أُحدًا، قالت: «إنى لأنظر إلى ابن قُميئة وهو يضرِبُها على عاتقها. وكان أعظمَ جراحها، فداوته سَنَة. ثم نادى منادى رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد. فشدَّتْ عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم رضى الله عنها ورحمها[٢].

تقول أم عمارة:

رأيتنى، وانكشف عن رسول الله ﷺ - أى يوم أحد - فما بقى إلا فى نُفير ما يُتِمُّون عشرة؛ وأنا وابناى وزوجى بين يديه نَذُبُّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآنى ولا ترس معى، فرأى رجلاً موليًا ومعه تُرس، فقال:

«ألق تُرْسكَ إلى من يُقاتل» فألقاه، فأخذتُه، فجعلتُ أُتَرِّسُ به عن رسول الله. وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل[٣]؛ لو كانوا رجَّاله مثلنا، أى يمشون على أرجلهم، أصبناهم إن شاء الله.

---

(١) أى: ربطته وشدته على وسطها.

(٢) ابن سعد (٨/٤١٣).

(٣) كان قائدهم خالد بن الوليد قبل إسلامه.

فيُقبل رجل على فرس، فيضربنى، وتَرَّستُ له، فلم يصنع شيئًا، وولى؛ فأضرب عُرْقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبىُّ ﷺ عليه وسلم يصيح: «يا ابن أم عمارة، أُمَّك! أُمَّكَ!» قالت: فعاوننى عليه، حتى أوردته شَعوب، أى حتى قتلته»[١].

يقول وَلدُها «عبد الله بن زيد»:

جُرحتُ يومئذ جُرحًا، وجعل الدم لا يرقأ. فقال النبى ﷺ: «اعصبْ جُرْحك».

فتُقبل أمِّى إلىِّ، ومعها عصائبُ فى حَقْوها؛ فربطت جرحى، والنبى ﷺ واقفٌ، فقال: «انهض بنىَّ، فضارب القوم» وجعل يقول: «من يُطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارة!!».

تقول أم عمارة:

فأقبل الذى ضرب ابنى، فقال رسول الله: «هذا ضاربُ ابنك» قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك.

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسمُ، حتى رأيتُ نواجذه، وقال: «استقدت يا أم عمارة»!

ثم أقبلنا نَعُلُّهُ[٢] بالسلاح، حتى أتينا على نفسه. فقال النبى ﷺ «الحمد الله الذى ظفَّرك»[٣].

وينظر النبى ﷺ إلى جُرْح أم عمارة فيقول لولدها «أُمَّك أُمَّك! اعصب جُرحَها! اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة».

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٩).
(٢) **نعلّه**: نتابع ضربه بالسلاح.
(٣) ابن سعد (٨/٤١٤).

قلت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا[1].

وبعد أن انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى . . . واصلت أم عمارة مسيرتها الجهادية . . وَفيَّة لدينها إلى آخر رمق.

عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، قال:

جُرحت أم عمارة بأُحُد اثنى عشر جرحًا، وقطعت يَدُها يوم اليمامة، وجرحت يوم اليمامة سوى يدها أحد عشر جُرحًا، فقدمت المدينة وبها الجراحة، فلقد رُئى أبو بكر رضى الله عنه، وهو خليفة، يأتيها يسأل عنها[2].

وابنها حبيب بن زيد هو الذى قطَّعه مسيلمة الكذاب.

وبعد رحلة من العطاء مباركة، آن للجسد المجاهد أن يصل إلى داره، [التى وعد الرحمن عباده بالغيب، إنه كان وعده مأتيا] . . فلبَّت نداء ربها.

وطارت روحُها هناك: «فى مقعد صدق عند عليك مقتدر»، فهنيئًا لك أم عمارة، والله يرحم ضعفنا وتقصيرنا.



(١) ابن سعد (٨/٤١٤).
(٢) ابن سعد (٨/٤١٦).

٥ - أسماء بنت يزيد

قتلت تسعة من الروم يوم اليرموك ! !

من هى؟

هى: أسماء بنت يزيد بن السكن، أم عامر، وأم سلمة، الأنصارية الأشهلية. بنت عمة معاذ بن جبل. من المبايعات المُجاهدات(١).

«حازت أسماء بنت يزيد، رضى الله عنها، شهادة الفصاحة من الصحابة الكرام، فقد عُرفت بحسن المنطق، وقوة البيان، وسحر الكلام، وقد زادت سماتها تلك بأنْ نهلت من القرآن الكريم والحديث الشريف ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، حتى لقّبُوها «**خطيبة النساء**» مما جعل لها بهذا اللقب مكانة متميزة بين نساء الأنصار»(٢).

وافدة النساء:

أتت أسماء رضى الله عنها رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبى وأمِّى أنت يا رسول الله، إنّى رسول مَنْ ورائى من جماعة المسلمين كُلّهن يقلن قولى، وعلى مثل رأيى.

إن الله تعالى بعثك إلى الرِّجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحنُ معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرِّجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجُمعة والجماعات، وشهود الجنائز والجهاد، فى سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٦).

(٢) نساء مبشرات بالجنة (٢/٢١٠، ٢١١).

وربينا أولادهم، أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها مِنْ هذه؟» فقالوا: بلى والله يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا فالتفت النبى ﷺ إليها فقال:

«انصرفى يا أسماء وأَعْلمى مَنْ وراءك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته، يعدل كلّ ما ذكرت للرِّجال».

فانصرفت أسماء وهى تهللُ وتكبِّرُ استبشارًا بما قال لها رسول الله ﷺ(١).

درس فى طاعة الزوج:

عن أسماء بنت يزيد، قالت:

مَرّ بي النبى ﷺ وأنا فى جَوَارٍ أتراب لى، فسلم علينا وقال: «إيَّاكن وكُفْرَ المُنَعَّمين».

وكنت مِنْ أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟

قال: «لعلَّ إحداكن تطولُ أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضب فتكفر فتقول: ما رأيتُ منك خيرًا قط»(٢).

أسماء والجهاد فى سبيل الله تعالى:

---

(١) نساء مبشرات بالجنة (٢/٢١١، ٢١٢). والحديث له شواهد كثيرة منها عند الطبرانى والبزار، وانظر: الترغيب برقم (٢٩١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١٠٤٧)، وأحمد فى «المسند» (٣٥٧/٤).

وقوله: «فتكفر» هو كفر نعمة، وليس شركًا بالله.

اشتركت رحمها الله تعالى، فى معركة «اليرموك» وأبلت بلاءً حسنًا.

قال ابن كثير:

«وقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم، وقتلوا خَلْقًا كثيرًا من الروم، وكَنّ يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعُلُوج، فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال»(١).

أما دور أسماء رضى الله عنها ونصيبها فى هذا القتال فيقول ابن حجر فى الإصابة «٤/٢٢٩».

«أسماء بنت يزيد بن السكن، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة مِنَ الرُّوم بعمود فسطاطها. . .».

وقال الإمام الذهبى:

«وقتلت بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم»(٢).

وعاشت رضى الله عنها إلى دولة يزيد بن معاوية، وانتقلت إلى رحمة الله.

وبهذا طويت صفحة بيضاء من تاريخها المجيد، ولكن تبقى أعمالها نورًا لمن اهتدى.



(١) البداية والنهاية (١٣/٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٧).

٦ - أم سُلَيم

صداقها الإسلام ! !

أم سليم هى:

الرميصاء، ويقال: [الغُمَيْصاء] بنت ملحان . . الأنصارية الخزرجية. أُمُّ خادم النبى ﷺ: أنس بن مالك.

ما ت زوجها مالك بن النضر، ثم تزوجها الصحابى أبو بطلحة زيد بن سهل الأنصارى، فولدت له: أبا عمير، وعبد الله. شهدت: حُنينًا، وأُحُدًا. من أفاضل النساء.

صداقها الإسلام ! !

عن أنس، قال:

خطب أبو طلحة أمَّ سُلَيم، فقالت: إنه لا ينبغى أن أتزوج مُشْركًا! أما تعلم يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم يَنْحَتُها عبد آل فلان، وأنكم لو أشعلْتُم فيها نارًا لاحترقت؟ قال: فانصرف وفى قلبه ذلك، ثم أتاها وقال: الذى عرضت علىَّ قد قَبِلْتُ.

قال: فما كان لها مَهْرٌ إلا الإسلام(١).

وفى رواية للنسائى: عن أنس، قال:

خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن

(١) **إسناده صحيح:** وهو فى «الطبقات» (٨/٤٢٦، ٤٢٨)، وله طرف عند أحمد والنسائى.

تسلم، فذاك مهرى، وما أسألك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرها. قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم الإسلام، فدخل بها فولدت له.

الرسول يداعب ولدها!!

عن أنس بن مالك:

أن النبى ﷺ كان يزور أُمَّ سليم فَتُتْحِفُه بالشىء تصنعه له، وأخ لى أصغر منى يُكنى أبا عُمير، فزارنا يومًا، فقال: «مالى أرى أبا عمير خائر النفس؟»

قالت: ماتت صَعْوَةٌ [له كان يلعب بها] فجعل النبىُّ يمسحُ رأسه ويقول: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير؟»[١].

وعن أنس، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتًا غير بيت أم سليم.

فقيل له. فقال: «إنى أرحمها، قُتل أخوها معى»[٢].

وأخوها، هو حَرام بن مِلْحان، الشهيد الذى قال يوم «بئر معونة»: فَزْتُ وَربِّ الكعبةِ، لما طَعُن من ورائه، فطلَعَتْ الحربةُ من صدره. رضى الله عنه.

فضلها:

عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «رأيتنى دخلتُ الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال»[٣]. الخشفة: الحِسّ والحركة.

جهادها:

عن أنس: أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن سعد (٤٢٧/٨)، والبخارى مختصرًا.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقالت: يا رسول الله، إنْ دنا مِنى مُشْرِكٌ بقرتُ به بطنه(١).

الصبر الجميل:

ما هو الصبر؟

قال ابْن القيم: «هو خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها».

وقال ذون النون: «هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة»(٢).

وأم سُلَيم ضربت لنا مثلاً رائعًا فى حسن استقبال القضاء والبلاء.

قال أنس: ثَقُل ابن لأمِّ سُلَيم، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فَتُوفِّى الغلام فهيأتْ أمُ سليم أمره، وقالت: لا تُخبروه.

فرجع، وقد سَيَّرت له عشاءه، فتعَشَّى، ثم أصاب من أهله. فلما كان من آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل أبى فلان استعاروا عارية، فمنعوها، وطُلبت منهم، فَشَقَّ عليهم. فقال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، فَقَبضَه، فاسترجع، وحمد الله.

فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فَلَّما رآه، قال: «بارك الله لكما فى ليلتكما».

فحملتْ بعبد الله بن أبى طلحة، فولدتْ ليلاً، فأرسلتْ به معى، وأخذتُ تمرات عجوة، فانتهيتُ به إلى النبى ﷺ، وهو يهنأ أبا عِرَله، ويَسمِهُا، فقلت: يا رسول الله، ولدتْ أمُّ سليم الليلة.

---

(١) **إسناده صحيح:** الطبقات (٨/٤٢٥).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (١٤).

فمضغ بعض التمرات بريقه، فأوجره إياه، فتلَّمظَ الصبىُّ، فقال: «حِبُّ الأنصار التَّمْر»، فقلت: سَمِّه يا رسول الله، قال: «هَو عبد الله»(١).

فضل الصبر:

قال عبايَة: فلقد رأيتُ لذلك الغلام، أى عبد الله، سبعَ بنين، كُلَّهم قد ختم القرآن(٢).

رضى الله عن أم سليم وجزاها بما صبرت جَنَّة وحريرًا.



(١) **إسناده صحيح:** الطبقات (٨/٤٣١)، والبخارى (٩/٥٠٩)، ومسلم (٢١٤٤).
(٢) أخرجه ابن سعد (٨/٤٣٤)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات (سير ٢/٣١١).

٧ - أمُّ حَرَام بنتُ مِلْحان

الأنصارية الشهيدة

أخت أُمّ سُلَيم، وخالة أنس بن مالك، وزوجة عبادة بن الصامت.

عن أنس، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، ما هو إلا أنا وأُمِّى وخالتى أمُّ حرام، فقال: «قوموا فَلأُصَل بكم»، فصلَّى بنا فى غير وقت صلاة[(١)].

الشهيدة:

استُشهدت رضى الله عنها، فى خلافة عثمان رضى الله عنه، فى غزوة «قبرص» وكان أمير الجيش معاوية بن أبى سفيان، وذلك فى سنة سبع وعشرين.

عن أنس بن مالك، قال: حدثتنى أمُّ حَرام بنتُ ملحان: أن رسول الله ﷺ، قال فى بيتها يومًا، فاستيقظ، وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما أضحكك؟ قال: «عُرِض علىَّ ناسٌ من أُمَّتى يَركَبُون ظهر هذا البَحْر، كالمُلُوكِ على الأَسِرَّة». قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: «أنْتِ من الأَولين».

فتزوجها عبادة بن الصامت، فغزا بها فى البحر، فحملها معه. فلَّما رجعوا قُرِّبت لها بغلةٌ لتركبها فصرعتْها، فدُقَّت عنقُها، فماتت رضى الله عنها[(٢)].



(١) **صحيح:** أخرجه مسلم فى صحيحه (٦٦٠).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم. ومعنى قال فى بيتها: من القيلولة وهو النوم وقت الظهيرة.

٨ - زَيْنَب أم المؤمنين

«زَوَّجَها الله من فَوْق عَرْشه»

إنها أم المؤمنين، زينب بنت جحش بن رياب، وابنةُ عمة رسول الله ﷺ، من المهاجرات الأوائل.

أمها: أميمة بنتُ عبد المطلب بن هاشم.

كانت من سادة النساء، دينًا وورعًا وجودًا ومعروفًا رضى الله عنها.

زواجها بزيد بن حارثة:

«لما جاء الإسلام كان مِنْ مقاصده أن يزيل الفوارق بين الناس.. فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.. وأراد النبى ﷺ أن يحقق هذا عمليًا... وذلك بتزويج زينب بنت جحش وهى قريبته، لمولاه زيد بن حارثة، حتى تسقط تلك الفوارق الطبقية الواهية.. وعرض عليه الصلاة والسلام ذلك على زينب وخطبها لزيد.. ولكنَّ زينب دارتْ بذهنها خواطر مضطربة، وتساؤلات متضاربة، كيف ستقبل هذا الزواج غير المتكافئ من أحد الموالى وهى السيدة الشريفة؟! وقالت للنبى ﷺ: يا رسول الله، لا أرضاه لنفسى وأنا أَيِّم قريش[(١)]، قال ﷺ:

«فإنى قد رضيته لك». ونزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهنا لم يَسَعْ زينب أن تخالف أمر الله ورسوله، فامتثلَتْ، وتزوجها زيد ابن حارثة[(٢)].

---

(١) الأيم: من لا زوج لها بكرًا أو ثيبًا، وانظر نساء مبشرات بالجنة الجزء الأول.

(٢) هو الأمير، شهيد مؤتة، تقدمت ترجمته فى رجال حول الرسول.

وبدأ الخلاف يتفاقم بين الزوجين.. وتعذرت الحياة وتعسرت المعيشة.. وكان زيد يأتى النبى ﷺ يشكو من زينب.. فيقول له النبى ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله».

ولكن الحياة لم يكتب لها الصفاء والوفاق، ونزلت آيات إبطال عادة التبنى.

«وكان جبريل قد أخبر رسول الله بأن زينب ستكون زوجة له، ولكن النبى ﷺ وجد في نفسه غضاضة أن يأمر زيدًا بطلاقها، ويتزوجها من بعد، فتشيع المقالةُ بين الناس: أن محمدًا تزوج حليلة ابنه[1].. فهذا المقدار من خشية الناس، حتى أخفى ما أخبره الله به - وهو نكاحها[2] - وهو ما عاتبه الله عليه - أى فى قوله تعالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧] - وقد صرح الله تعالى فى كلامه بالسبب الباعث على هذا الزواج فقال: ﴿**لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

.. فلما جاء زيد يشكو السيدة زينب.. أذن النبى ﷺ له بطلاقها..

زواج النبى ﷺ بزينب:

وبعد أن طلق زيد زينب رضى الله عنها.. تزوجها النبى ﷺ بأمر من الله.

---

(١) وكانوا يحرمون زوجة الابن المتبنى.

(٢) أما ما يروى: أن رسول الله ذهب إلى بيت زيد فى غيبته فرأى زينب فى زينتها، فوقع حُبُّها فى قلبه فرجع وهو يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب.. إلخ» فهذا من الباطل المدسوس، ومن وضع أعداء الدين. وقد نسج أعداء الدين، من تلك الروايات المختلقة الواهية ثوبًا من الكذب والخيال.. ولو أراد النبى الزواج منها قبل ذلك ما كان يمنعه شيء، فهى ابنة عمه، وما كان يخفى عليه شيء من أمرها.. راجع الموضوعات فى كتب التفسير للإمام محمد أبو شهبة (٣٢٣ - ٣٢٨).

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه، لا ولىّ ولا شاهد.. فكانت زينب تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: «زوَّجَكُنَّ أهالكُين، وزوجنى الله من فوق عرشه».

عن أنس، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبى ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات»(١).

وانضمت زينب رضى الله عنها، إلى قائمة إمهات المؤمنين بهذا الزواج الميمون، ولعل هذا من بركات الإمتثال لأمر الله تعالى عندما تزوجت زيدًا.

الحجاب:

كان من بركات زينب رضى الله عنها، أن نزلت آية الحجاب بسببها!!.

عن أنس، قال: «بُنى على النبى ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعيًا، فيجىءُ قومٌ فيأكلون ويخرجون، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوتُ حتى ما أجدُ أحدًا أدعو.

فقلت: يا نبى الله، ما أجدُ أحدًا أدعوه، قال: «فارفعوا طعامكم».

وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت، فخرج النبىُّ ﷺ إلى حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله».

فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٣/٣٤٧، ٣٤٨) فى التوحيد.

فتقرَّى حُجَرَ نسائه كلّهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة.

ثم رجع النبيُّ ﷺ، فإذا ثلاثة مِنْ رهط فى البيت يتحدَّثون، وكان النبيُّ شديد الحياء، فخرج مِنطَلقًا نحو حجرة عائشة، فما أدرى آخْبرته أو أُخْبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله فى أُسْكُفَّةَ الباب داخلةً وأخرى خارجةً أرخى السِّتر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب»(١).

وآية الحجاب، هى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِن إِذَا دُعِيتُم فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُم فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٣].

«والآية تضمن آدابًا لم تكن تعرفها الجاهلية فى دخول البيوت، فقد كان الناس يدخلون البيوت بلا إذن من أصحابها، وكان بعضهم يدخل حين يرى طعامًا يوقد عليه يجلس فى انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام، وكان بعضهم يجلس بعد الطعام، سواء كان قد دُعى إليه أو هجم عليه دون دعوة، ويأخذ فى الحديث والسَّمر غير شاعر بما يسببه هذا من إزعاج.

وجاءت هذه الآية تعلم الناس ألا يدخلوا بيوت النبى بغير إذن. فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا. فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه ثم إذا طعموا خرجوا، ولم يبقوا بعد الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى تفسير سورة الأحزاب (٦/١٤٩).

وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذى يجافيه الكثيرون. فإن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده، بل إنهم يتخلفون على المائدة، ويطول بهم الحديث، وأهل البيت، الذين يحتفظون ببقية من أمر الإسلام بالإحتجاب، متأذون محتبسون، والأضياف ماضون فى حديثهم وفى سمرهم لا يشعرون، وفى الأدب الإسلامى غناء وكفاء لكل حالة، لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهى القويم.

ثم تقرر الآية الحجاب بين نساء النبى، ﷺ، والرجال: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾.

وتقرر أن هذا الحجاب أطهر لقلوب الجميع: ﴿**ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾.

فلا يقل أحد غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الإختلاط، وإزالة الحُجُب، والترخص فى الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعف للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، على إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك... إلى آخر ما يقوله نَفَرٌ من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين.

لا يقل أحد شيئًا من هذا والله يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾.

والواقع العملى الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقول الله. والتجارب المعروضة اليوم فى العالم مصدقة لما نقول. وهى فى البلاد التى بلغ الإختلاط الحُرّ فيها أقصاه أظهر فى هذا وأقطع من كل دليل. «وأمريكا أول هذه البلاد التى أتى الإختلاط فيها أبشع الثمار»(١).

---

(١) فى ظلال القرآن (٥/٢٨٧٧، ٢٨٧٨) بتصرف.

جودها وكرمها رضى الله عنها:

عن عائشة، قالت: قال النبى ﷺ لأزواجه: «يَتْبَعُنى أطولُكُنَّ يَدًا» فكنا إذا اجتمعنا بعده نمدُّ أيدينا فى الجدار، نتطاولُ، فلم نزل نفعلُه حتى تُوفيت زينب، وكانت امرأة قصيرةً، لم تكن، رحمها الله، أطولنا، فعرفْنا أنما أراد الصَّدَقة وكانت صناعَ اليد، فكانت تَدبُغُ، وتَخْرُزُ، وتَصَّدق»(١).

فعرفت زينب رضى الله عنها، أن المراد طول اليد بالمعروف، فكانت تعمل وتتصدق.. فكانت أسرع نسائه لحوقًا به ﷺ.

وكان يقال لها: «أم المساكين».

إلى الرفيق الأعلى:

عن برزة بنت رافع، قالت: «أرسل عمر، أى بن الخطاب، إلى زينب بعطائها، فقالت: غفر الله لعمر، غيرى كان أقوى على قسم هذا. قالوا: كُلُّه لك.

قالت: سبحان الله! واستترتْ منه بثوب، وقالت: صُبُّوه واطرحوا عليه ثوبًا، وأخذت تُفرِّقُه فى رحمها، وأيتامها، وأعطتنى ما بقى، فوجدناه خمسة وثمانين درهمًا. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يُدْرِكْنى عطاءُ عمر بعد عامى هذا»(٢).

وعن القاسم، قال: قالت زينب بنتُ جحش حين حضرتها الوفاةُ: إنى قد أعددتُ كفنى، فإن بَعَثَ لى عمرُ بكفنٍ، فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذْ أدليتمونى أن تصدَّقوا بحَقْوَتى، فافعلوا(٣).

وفى سنة عشرين، انتقلت إلى جوار ربها وصلى عليها عمر بن الخطاب.

---

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح (٤/٢٥) ووافقه الذهبى.
(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٠٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٧).

وقبل أن يتوقف القلم عن الكتابة عنها نختم «ترجمتها» بقول السيدة عائشة عنها: «ما رأيتُ امرأةً خيرًا فى الدِّين من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، رضى الله عنها»(١).



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٢٢).

٩ – أم حبيبة أم المؤمنين

المهاجرة الصابرة

من هى؟.

هى السيدة المحَجَّبة: رَملةُ بنت أبى سفيان بن حرب.

وهى من بنات عمِّ الرسول ﷺ، ليس فى أزواجه مَنْ هى أقربُ نسبًا إليه منها، ولا فى نسائه من هى أكثر صداقًا منها، ولا مَنْ تزوَّج بها وهى نائيةٌ الدار أبعد منها.

عُقد له ﷺ عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحبُ الحبشة أربع مائة دينار، وجَّهزها بأشياء.

نزل فيها وفى أزواج النبى ﷺ خاصة قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

كما قال ابن عباس رضى الله عنهما(١).

وقال الإمام الذهبى: «وقد كان لأم حبيبة حُرمةٌ وجلالةٌ، ولاسيما فى دولة أخيها، ولمكانه منها قيل له: خالُ المؤمنين»(٢).

زواج النبى بها:

لما أسلمت رضى الله عنها، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فأرتدَّ هناك وتنصَّر، فعظم المصاب، واجتمع عليها بلاء الإغتراب،

(١) **إسناده حسن:** وقال الذهبى: إسناده صالح، وسياق الآيات دالٌّ عليه (سير ٢/٢٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٢). وأخوها هو: معاوية بن أبى سفيان.

وارتداد الزوج، ومفارقة الوطن، ولما علم النبى ﷺ بحالها أرسل إلى النجاشى يخطبها لنفسه وأصدقها هناك، رثاءً لحالها، ووفاءً لحسن ثباتها وجهادها، وقُتل الخرَّاصون الذين يقولون: «إن محمدًا تزوج من تزوج من النساء، إجابة لداعى الهوى، وإشباعًا للشهوة!».

أهذه شهوة يا سادة؟! إنها مواقف الأنبياء، التى تجعل المُنْصف يخر ساجدًا أمام عظمة هذا الدين.

والغريب أن أبا سفيان[١] عندما سمع بهذا الزواج، رغم العداء المستحكم لنبى الله وللمؤمنين، يقول مفتخرًا: «ذاك الفحل، لا يُقرعُ أنفُه»[٢].

وعن عروة، عن أم حبيبة: أنها كانت تحت عُبيد الله، وأن رسول الله ﷺ تزوَّجها بالحبشة، زوَّجها إياه النجاشى، وَمَهَرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شُرَحْبيل بن حسنة، وجهازها كلُه من عند النجاشى[٣].

موقف خالد:

عن الزهرى، قال: لما قدم أبو سفيان المدينة، والنبىُّ ﷺ يريد غَزْو مكة، فكلمه فى أن يزيد فى الهدنة، فلم يُقْبل عليه، فقام فدخل على ابنته أمِّ حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبى ﷺ، طوته دُونه، فقال: يا بُنَيَّة، أَرَغبتِ بهذا الفراش عنى، أم لى عنه؟.

قالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤٌ نجسٌ مُشرك، فقال: يا بُنية، لقد أصابك بعدى شر[٤].

(١) لم يكن يومها قد أسلم رضى الله عنه.
(٢) الحاكم (٢٢/٤). وقوله: ذاك الفحل الذى لا يقرع أنفه: أى أنه كفء كريم لا يُرد.
(٣) **إسناده صحيح:** أخرجه أبو داود (٢١٠٧) فى النكاح.
(٤) طبقات ابن سعد (٩٩/٨، ١٠٠)، صفة الصفوة (٣٣/٢).

قبل لقاء الله:

عن عوف بن الحارث: سمعت عائشة، رضى الله عنها، تقول: دعتنى أمُّ حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بَيْننا ما يكونُ بين الضرائر، فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك.

فقلتُ: غفر الله لك ذلك كُلَّه وحلَّلتكِ من ذلك، فقالت: سررتنى سَرَّك الله، وأرسلت إلى أمِّ سلمة، فقالت لها مثل ذلك.

قلت: وهذه سُنَّة نبوية قائمة.

فقد روى البيهقى أن رسول الله خطب فى مرض الموت فقال:

«أما بعد أيها الناس.. فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهرى فليستقد منه! ومن كنت شتمت له عِرْضًا، فهذا عِرْضى فليستقد منه! ألا وإن الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى، ألا وإن أحبكم إلىَّ من أخذ منى حقًا! إن كان له، أو أحلنى منه فلقيت الله وأنا طيب النفس...».

وتوفيت رضى الله عنها سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية.



١٠ – أم أيمن:
تبكى على انقطاع الوَحْى

الحبشية، مولاةُ رسول الله ﷺ، وحاضنته، ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة.

وكانت من المهاجرات الأُوَل.

اسمها: بركة.

وقد تزوجها عُبَيدُ بن الحارث الخزرجى، فولدت له: «أيمن» ولأيمن هجرةٌ وجهادٌ، استُشهد يوم حنين، ثم تزوجها زيد بن حارثة ليالى بُعث النبىُّ ﷺ، فولدتْ له أسامة بن زيد، حِبَّ رسول الله ﷺ.

مكانتها عند الله تعالى:

عن عثمان بن القاسم، قال:

لما هاجرت أُمُّ أيمن أمست بالمنصرف دون الرَّوْحاء، فعطشَتْ وليس معها ماء وهى صائمةٌ، وجَهدت، فَدُلِّى عليها من السماء دَلْوٌ من ماء برشاء أبيض، فشربت، وكانت تقول:

«ما أصابنى بعد ذلك عَطَشٌ، ولقد تَعَّرضتُ للعطش بالصَّوم فى الهواجر فما عطشت!!»[(١)].

تبكى لانقطاع الوحى من السماء:

عن أنس:

أن أم أيمن بكَتْ حين مات النبىُّ ﷺ، فقيل لها: أتبكين؟ قالت: والله،

(١) أخرجه ابن سعد (٨/٢٢٤) وعنه الحافظ فى «الإصابة» (١٣/١٧٨)، ورجاله ثقات لكنه منقطع، قلت: وقد حدث مثل هذا لأم شريك رضى الله عنها.

لقد علمتُ أنه سيموت؛ ولكني إنّما أبكي على الوحي إذ انقطع عنّا من السماء[١].

وبكت يوم قتل عمر بن الخطاب:

عن طارق قال: لما قتل عمر، بكت أمُّ أيمن وقالت: «اليوم وَهَى الإسلام»[٢].

وماتت رضي الله عنها في خلافة عثمان بن عفان.

ويَرْوي حرملة، مولى أسامة بن زيد: أنه بينا هو جالس مع ابن عمر، إذ دخل الحجاج بن أيمن، فصلى صلاةً لم يُتم ركوعَها، ولا سجودها، فدعاه ابنُ عمر، وقال: أتحسب أنك قد صليت؟ إنك لم تُصَلِّ، فَعُدْ لصلاتك، فلمَّا ولَّى! قال ابنُ عمر: من هذا؟ فقلتُ: الحجاج بن أيمن بن أم أيمن. فقال: لو رآه رسولُ الله ﷺ، لأحبَّه[٣].

فسلام عليكم أهل بيت ورحمة الله وبركاته.



---

(١) **إسناده صحيح**: ابن سعد (٨/٢٢٦). ورواه مسلم وغيره.

(٢) **إسناده صحيح**: ابن سعد (٨/٢٢٦). ومعنى: وهى الإسلام: أي ضَعُف.

(٣) **رجاله ثقات**: ابن سعد (٨/٢٢٥).

١١ - حفصة أم المؤمنين

زوجة النبى ﷺ فى الجنة

يا تُرى من هذه التى نعطر بذكرها هذه الصفحات؟

إنها السِّترُ الرفيع، بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

تزوجها النبى ﷺ بعد انقضاء عِدَّتها من خُنيس بن حذافة السهمى(١)، أحد المهاجرين، فى سنة ثلاث من الهجرة.

قالت عائشة: هى التى كانت تُساميني من أزواج النبيِّ ﷺ.

ورُوى أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين، فعلى هذا يكون دخول النبى ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة(٢).

وكانت لَمَّا تأيَّمت، عرضها أبوها على أبى بكر، فلم يُجبْه بشىء، وعرضها على عثمان، فقال: بدا لى ألاَّ أتزوج اليوم، فوَجَد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «تتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة» ثم خطبها، فزوَّجه عُمر(٣).

وزوَّج رسول الله عثمان بابنته رُقَيَّة بعد وفاة أختها.

ولما أن زوَّجها عُمَرُ، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: «لا تَجدْ علىَّ، فإن

(١) كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى أرض الحبشة، وعاد إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحُدًا، وأصابه بأُحد جراحة فمات رضى الله عنه.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٩/١٥٢، ١٥٣).

رسول الله ﷺ، كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأُفْشِى سِرَّه، ولو تركها، لتزوَّجْتُها»(١).

وثبت أن النبى ﷺ طلق حفصة تطليقةً، ثم راجَعَها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: «إنَّها صَوَّامةٌ، قَوَّامةٌ، وهى زوجتُك فى الجنَّة»(٢).

الأدب الإسلامى الرفيع:

التربية الإسلامية ذات أهمية لإقامة المجتمعات الفاضلة، والبيوت الربانية التى ترتكز على الإحترام المتبادل بين الزوجين، وتعليم البنت فى بيت أبيها كيف تحترم زوجها وتوقره من أهم عوامل العمار فى البيت الإسلامى، فيقف شامخًا أمام عوادى الزمن.

وكذلك تثقيف الشباب بأهمية صيانة حق الزوجة من أهم الأسس التى ينى عليها البيت المسلم، ولا ينقطع دور الوالدين بزواج البنت، ولكن لابد من التذكير بين الحين والحين بحقوق الزوج، والصبر معه فى السَّراء والضراء.. ولا يؤسس بيت على غير هذه المبادئ إلا كان عاقبة أمره خُسْرًا.

وإليكم هذه الرواية:

عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال: «كنا معشر قريش نغلبُ النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتى يومًا، فإذا هى تراجعنى فأنكرتُ أنْ تراجعنى، فقالتْ: ما تنكر مِنْ ذلك؟ فوالله إنَّ أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل!.

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلتُ: أتراجعين رسول الله ﷺ؟

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٩/١٥٢، ١٥٣).

(٢) **حديث صحيح**: رواه أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦).

قالت: نعم، قلت: وتهجرُهُ إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمنُ إحداكن أنْ يغضب الله لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت؟ لا تراجعى رسول الله ﷺ، وتسأليه شيئًا، وسلينى مابَدَا لكِ، ولا يغرنَّك إن كانت جارتك أَوْسَم - أَجْمَلَ - وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، يريُد عائشة، رضى الله عنها».

وهكذا كان عمر رضى الله عنه، نعم الأب الناصح لابنته(١).

فأين هذه التربية من تربية هذا الزمان!! إلى الله المشتكى.

الشموخ عند المصائب:

لما طُعن أبوها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تقدمت السيدة حفصة منه، ونظرت إليه، وقالت بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين: «يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لأحدٍ عندك، ومعى لك بشارة لا أذيع السِّرَ مرتين، ونَعْمَ الشفيع لك العدل، لم تَخْفَ على الله عز وجل خَشَنَةُ عيشتك، وعفافُ نهمتك، وأخذُك بأكظام المشركين والمفسدين»(٢).

وفى سنة إحدى وأربعين «عام الجماعة» وفى خلافة معاوية.. لبَّت نداء ربها راضية مرضية، وصلى عليها والى المدينة «مروان»، ودفنت بالبقيع، ونام جسُدها الطاهر، فى البقعة المباركة، فهنيئًا لكِ أمّ المؤمنين، وسلام عليك يوم أسلمت، ويوم هاجرت، ويوم مِتّ ويوم يقوم الناس لرب العالمين.



(١) نساء مبشرات بالجنة (٢/٢٢٦) وما بعدها.
(٢) نساء مبشرات بالجنة (٢/٢٦٦) وما بعدها.

١٢ - صَفِيَّة عمة رسول الله ﷺ

«قاتلة اليهودى»

هى: السيدة صفية بنت عبد المطلب، الهاشمية، وهى شقيقة حمزة، وأمُّ حوارىِّ النبى ﷺ: الزبير بن العوام.

تزوجها الحارث، أخو أبى سفيان بن حرب، فتُوفى عنها.

وتزوجها العوَّام. أخو سيدة النساء خديجة بنت خويلد، فولدت له: الزبير، والسائب، وعبد الكعبة.

قال الذهبى: «والصحيح: أنه ما أسلم من عَّمات النبىِّ ﷺ سواها».

ولقد وجدت على مصرع أخيها حمزة، وصبرت، واحتسبت.

وهى من المهاجرات الأُول(١).

عن عائشة، قالت: لما نزلت: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام النبى ﷺ، فقال: «يا فاطمةُ بنتَ محمد، يا صفيةُ بنت عبد المطلب، يا بنى عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سَلُونى من مالى ما شِئْتُم»(٢).

شجاعتها رضى الله عنها:

«كانت يوم الخندق فى حصن حسَّان بن ثابت، قالت: وكان حسان معنا فى الذُّرِيَّة، فمَرَّ بالحصن يهودىٌّ، فجعل يُطيفُ بالحصن والمسلمون فى نحور عدوِّهم.

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٥) وغيره.

ثم ساقت الحديث، وأنها نزلت، وقتلت اليهودىَّ بعمود[١].

قال ابن عساكر: «لما كان من أمر صفية وحسَّان واليهودىَّ ما كان، بلغنا أنهم ذكروا ذلك للنبى ﷺ، قالت صفية رضى الله عنها: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت أقصى نواجذه، وما رأيته ضحك من شىء قط ضحكه منه»[٢].

فانظر، عزيزى القارئ، إلى هذه العزائم الشداد التى لا يصنعها إلا الإسلام، وبهذا الإيمان العميق، والإتصال الوثيق، هَوَتْ قوى الكفر فى المشرق والمغرب تحت أقدام جنود الله.

يقول الشيخ الغزالى، رحمه الله: «إن حملة الصليب لم ينكسروا وينكسر معهم شعارُهم إلا بهذه المعادن الصلبة من الإيمان الصاحى فى قلوب الرجال والنساء على سواء.. أما النسوة الجاهلات فهن يحسن البكاء على مفقود أو الصياح لرغبة لم تُجب، وما يدرين عن قضايا الدين والدنيا شيئًا»[٣].

إى وربى، رحمك الله يا أستاذ.

الوفاة:

تُوفيت السيدة صفية رضى الله عنها فى سنة عشرين، وَدُفَنتْ بالبقيع، ولها بضع وسبعون سنة.



---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٨).

(٢) در السحابة للشوكانى (٥٣٨).

(٣) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ الغزالى (صـ٧٥).

١٣ - أسماء بنت عميس

للناس هجرةٌ واحدةٌ، ولكم هجرتان

من المهاجرات الأُول.

قيل: أسلمتْ قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم[(١)].

وهاجر بها زوجها جعفر الطَّيار إلى الحبشة، فولدت له هناك: عبد الله، ومحمدًا، وعَوْنًا.

فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستُشهد يومَ مُؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، فولدت له: محمدًا، ثم تُوفِّى الصِّدِّيق، فغسلته[(٢)].

وتزوج بها علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

وعن الشعبى، قال: قدمت أسماءُ من الحبشة، فقال لها عُمرُ: يا حبشيَّةُ، سبقناكم بالهجرة. فقالت: لعَمْرى، لقد صَدقْتَ، كُنتُم مع رسول الله ﷺ يُطْعِمُ جائعكم، ويُعَلِّم جاهِلكم، وكنا البُعداءَ الطُّرداء، أما والله لأذكرنَّ ذلك لرسول الله. فأتته، فقال: «للناس هجرةٌ واحدةٌ، ولكم هِجْرتان»[(٣)].

---

(١) هو: الأرقم بن أبى الأرقم، وكانت داره على «الصَّفَا» وهى الدار التى كان النبىُّ ﷺ يكون فيها فى الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير، كان ذلك فى مطلع الدعوة الإسلامية بمكة.

(٢) قال الشيخ الألبانى: «الزوجان فإنه يجوز لكل منهما أن يتولى غسل الآخر، إذ لا دليل يمنع منه، والأصل الجواز، ولاسيما وهو مؤيد بحديثين ١ - عن عائشة، قالت: «لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل النبى ﷺ غير نسائه» أخرجه ابن ماجه، وساق حفظه الله الحديث الثانى (أحكام الجنائز صـ٥٠).

(٣) ابن سعد (٢٨١/٨) وأخرجه البخارى بأطول مما هنا (٣٧١/٧) ومسلم.

طاعة الزوج بعد موته:

قال سعد بن إبراهيم قاضى المدينة: أوصى أبو بكر أن تُغسِّله أسماءُ. قال قتادة: فغسلته بنت عُمَيْس، امرأته[١].

وقيل: عزم عليها لما أفطرت، وقال: هو أقوى لك.

فذكرت يمينه فى آخر النهار، فدعت بماء، فشربت، وقالت: والله لا أتبعه اليوم حِنْثًا[٢].

إنها لا تريد مخالفة أمره، حتى بعد الموت!! هكذا يكون الوفاء، وهكذا تكون الطاعة.

قال الذهبى: «عاشت بعد علىٍّ رضى الله عنها، وذكر أنها توفيت سنة ٦٠ هـ»[٣].



(١) أخرجه مالك فى «الموطأ» (١/٢٢٣).
(٢) ابن سعد (٨/٢٨٤).
(٣) تاريخ الإسلام (٤/١٧٨).

١٤ - أسماء بنت أبى بكر

ذات النطاقين

هى: أسماء بنت أبى بكر الصديق. أم عبد الله بن الزبير القرشية، المكية، ثم المدنية.

والدة الخليفة عبد الله بن الزبير، وأخت أمِّ المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاةً.

وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة.

هاجرت حاملاً بعبد الله، وقيل: لم يسقط لها سنّ.

وشهدت اليرموك مع زوجها الزُّبير.

وهى، وأبوها، وجُدُّها، وابنها ابنُ الزبير، أربعتهم، صحابيون.

يوم الهجرة:

من الأيام المشهودة فى حياتها رضى الله عنها «يوم الهجرة» تحدثنا عنه فتقول: «صنعتُ صفرة النبيِّ ﷺ فى بيت أبى حين أراد أن يُهاجر، فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطُهُما، فقلت لأبى: ما أجد إلا نطاقى، قال: شُقِّيه باثنين، فاربطى بهما، قال: فلذلك سُمِّيتْ ذات النطاقين»[1].

وتقول رضى الله عنها: «لما توجه النبى ﷺ من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله، خمسة آلاف، أو ستة آلاف، فأتانى جدِّى أبو قحافة وقد عمى، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه، فقلتُ: كلا، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا

(١) **إسناده صحيح**: رواه البخارى (٧/١٩٣، ١٩٤) وغيره.

فعمدتُ إلى أحجار، فجعلْتُهن في كوَّة البيت، وغطيتُ عليها بثوب، ثم أخذتُ بيده، ووضعتُها على الثوب، فقلتُ: هذا تركه لنا، فقال: أما إذ ترك لكم هذا، فنعم[1].

القيام بأعباء الحياة الزوجية:

تعطينا السيدة أسماء درسًا في حُسْن تبعلها لزوجها، والقيام بشئونه.

تقول رضى الله عنها: تزوّجنى الزبير، وماله شيء غيرُ فرسه، فكنت أسوسه وأعلفه، وأدقُ لناضحه النَّوى، وأستقى، وأعجن، وكنتُ أنقل النَّوى من أرض الزبير، التي أقطعه رسول الله ﷺ، على رأسي، وهي ثلثى فرسخ، فجئت يومًا، والنَّوى على رأسى، فلقيتُ رسول الله ﷺ، ومعه نفر، فدعانى، فقال: «إخّ، إخّ»، ليحملنى خلفه؛ فاستحييتُ، وذكرتُ الزُّبير، وَغيْرَتَه. قالت: فمضى. فلما أتيتُ، أخبرت الزبير، فقال: والله، لَحمْلُك النَّوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبك معه! قالت: حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بعدُ خادم، فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى»[2].

تأمل أيها القارئ في هذا النص، وأطل النظر، تسوس الفرس.. تحمل النوى على رأسها.. يراها النبى ﷺ فيرق لها.. ولا ينكر صنيعها.. ورغم هذا الإجهاد إلا أنها لا تنسى شئون بيتها فتقول: «أستقى، وأعجن!!».. فماذا يراد بالمرأة فى عصورنا المتأخرة؟.

يقول الشيخ الغزالى، رحمه الله: «.. وأذكر أن بعض الحراس على تقاليد الجهل ناقشنى، وقال: الزوج أو الأب يعلم النساء فى البيت ويعودهن الصلاة داخله، ولا معنى لخروجهن والتعرض للفتنة!.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (١/٤٨٨).

١. (٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأخرجه أحمد (٦/٣٤٧).

قلت: إن صاحب الرسالة، ﷺ، لم يرسم هذه الخطة التى تقترحها.. فهى مرفوضة من هذه الناحية.

وناحية أخرى، أن هذا الذى ترجوه مُعلما لأهل بيته يحتاج مثلهن للتعليم، ضعف الطالب والمطلوب.

المرأة الروسية، غزت الفضاء، ويراد أن تعجز المسلمة عن معرفة الطريق إلى المسجد، كل دين فى عصرنا مهما بلغ بطلانه ربط النساء بمعابده، ويراد من الإسلام وحده أن ينفى النساء عن بيوت الله!.

والمعالم التى صان الإسلام بها الأعراض ينبغى ابرازها، فلا خلاعة ولا تبرج، ولا يؤذن بخلوة مع أجنبى، ولا يؤذن بعمل ما يؤدى إلى ذلك.

والأعمال الفنية والإدارية التى يقوم بها النساء، وكذلك جميع الثقافات اللاتى يحتجن إليها أو يرغبن فيها يمكن أن توضع لها الضوابط الإسلامية التى تحفظ حدود الله..»[1].

صلة الرحم:

عن ابن الزبير، قال: نزلت هذه الآية فى أسماء، وكانت أُمُّها يقال لها: قُتَيْلة، جاءتها بهدايا، فلم تقبلها، حتى سألت النبىَّ ﷺ.. فنزلت: ﴿**لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ [الممتحنة: ٨].

وفى «الصحيح» قالت أسماء: يا رسول الله، إنَّ أمِّى قِدَمتْ، وهى مشركة راغبةٌ، أَفأَصِلُها؟ قال: «نعم، صِلِى أُمَّك»[2].

عزائم لا تلين:

لما نشب القتال بين جنود عبد الله بن الزبير، وجنود الحجاج

---

(١) الدعوة الإسلامية للغزالى (صـ٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

الثقفي[١].. وأسفر عن قتل ابن الزبير.. أخذ الحجاج جثته وَصَلَبَهُ في المسجد الحرام!!.. ولم يستح الحجاج من فعله.. فدخل على السيدة أسماء وقال لها: «يا أمَّه، إن أمير المؤمنين وصّاني بك، فهل لك من حاجة؟ قالت: لستُ لك بأمّ، ولكني أُمُّ المصلوب على رأس الثَّنيَّة، وما لي من حاجة؛ لكن أحدثُك: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من ثقيف كذَّابٌ، ومُبير» فأمَّا الكذاب، فقد رأيناه، تعني المختار[٢]، وأما المُبيرُ، فأنت. فقال لها: مُبيرُ المنافقين، رواه الترمذي، والنسائي.

وعن منصور بن صفية، عن أمِّه، قالت: قيل لابن عمر: إن أسماءَ في ناحية المسجد، وذلك حين صُلب ابن الزبير، فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، إنما الأرواح عند الله، فاتقي الله واصبري. فقالت: وما يمنعني، وقد أُهدِيَ رأس يحيى بن زكريا، عليهما السلام، إلى بَغيٍّ من بغايا بني إسرائيل»[٣].

وعن ابن أبي مليكة، قال: دخلت على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير، فقالت: بلغني أن هذا صلب عبد الله؛ اللهم لا تُمتني حتى أُوتى به، فأحنّطه وأَكفّنه، فأُتيتْ به بعدُ، فجعلت تُحنّطُه بيدها، وتكفّنه، بعدما ذهب بَصَرُها.

ومن وجه آخر، عن ابن أبي مليكة: وصَلَّتْ عليه؛ وما أتت عليه جُمعةٌ إلا ماتت.

---

(١) كان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، الكذاب، كان من ذوي الفصاحة، والشجاعة وقلة الدين، «سير أعلام النبلاء» (٣/٥٣٨) وما بعدها.

(٣) **رجاله ثقات:** الأرنؤوط (سير ٢/٢٩٥). وقولها: «وقد أهدى رأس يحيى...» تشير إلى ما كان من «هيروديان» ابن أخ «هيردوس» حاكم فلسطين، حين أراد عَمّها أن يتزوجها، وكان هذا الزواج محرمًا، وكان يحيى لا يرضاه، وكانت البنت وأمها ترضيانه، فطلبت البنت برأس يحيى في طبق. ففعل العَمّ ذلك لها».

قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها بليال، وكان قتله لسبع عشرة خَلَت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

قال الذهبى: «كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات».

رضى الله عنها.



١٥ - عائشة أم المؤمنين

المبرأة من فوق سبع سماوات

بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة، القرشية.. أم المؤمنين، زوجة النبى ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

وأمها هى أمُّ رُومان بنت عامر بن عويمر..

هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبىُّ الله قبل مُهاجرِهِ بعد وفاة الصدِّيقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين.

ودخل بها فى شوال سنة اثنتين، مُنصَرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهى ابنةُ تسع.

فَرَوت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

صُورتها تنزل من السماء:

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُريُتكِ فى المنام ثلاث ليال، جاء بك المَلَك فى سَرَقة من حرير، فيقول: هذه امْرأتُك، فأكشفُ عن وَجهك فإذا أنْتِ فيه، فأقول: إنْ يكُ هذا من عند الله يُمْضِهِ»(١).

وفى رواية: عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبىِّ ﷺ فقال: «هذه زوجُتك فى الدنيا والآخرة»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، والبخارى (٧/١٧٥)، ومسلم (٢٤٣٨).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٨٨٠)، والحديث صحيح: صحيح سنن الترمذى (٣٠٤١).

فضائلها:

١ – عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفَضْل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام»(١).

٢ – وعن عبد الله بن زياد الأسدى، قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علىٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علىّ فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علىّ فوق المنبر فى أعلاه، وقام عمارًا أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول: والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هى؟(٢).

٣ – وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه، قال: بعثنى رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل قال: فأتيتُه فقلت: أىُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ فعد رجالاً فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم(٣).

٤ – وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل فى مرضه الذى مات فيه، يقول: «**أين أنا غدًا أين أنا غدًا؟**» يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها.

فقالت: عائشة: فمات فى اليوم الذى كان يدور علىَّ فيه فى بيتى

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخارى، وقال الشيخ العدوى: صحيح. «فضائل صحابة النبى» (ص٧٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.

فقبضه الله وإن رأسه لَبْين نحرى وسَحْرى وخالط ريقهُ ريقى[١].

وإذا تتبعنا فضلها رضى الله عنها.. ضاق المقام.. وفيما تقدم الكفاية.. ولقد أجملت هى رضى الله عنها ما تميزت به عن النساء، فقالت: «لقد أعطيتُ تسعًا ما أُعطيتْها امرأةٌ بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى. ولقد تزوجنى بكرًا، وما تزوج بكرًا غيرى، ولقد قبض ورأسه فى حجرى، ولقد قبرتُه فى بيتى، ولقد حَفَّت الملائكة بيتى، وإنى لابنةُ خليفته وصدّيقه، ولقد نزل عُذرى من السماء، ولقد خُلقْتُ طيبةً عند طيب، ولقد وُعِدتُ معُفرةً ورزقًا كريمًا[٢].

زواجها بالمصطفى ﷺ:

عن عائشة، قالت: تزوجنى رسولُ الله ﷺ مُتوفَّى خديجة، وأنا ابنةُ ستٍّ، وأدْخِلتُ عليه وأنا ابنةُ تسع، جاءنى نسوة وأنا ألعبُ على أُرجوحة مَجَممَّة، فهيَّأننى وصنعننى، ثم أتين بى إليه ﷺ[٣].

قال عروة: فمكثت عنده تسع سنين.

الزوج الرحيم:

الناظر إلى حال النبى ﷺ فى بيته، ومع زوجاته.. يتعلم رحمة الإسلام، وبساطته، وأخلاقه الحسنى.

اقرأ:

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة، قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهواتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه أبو بكر الآجرى، قال الذهبى: إسناده جيد: (سير أعلام النبلاء ٢/٢٤١).
(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٩٤٣٥) فى الأدب.

الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: «ما هذا يا عائشة»؟ قالت: بناتى، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذى أرى وسطهن»؟ قالت: فرس. قال: «وما هذا الذى عليه»؟ قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قال: فضحك حتى رأيتُ نواجذه(١).

وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يقومُ على باب حُجرتيـ والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد، وإنه ليسترُنى بردائه لكى أنظُر إلى لعبهم، ثم يقفُ من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرفُ، فاقدرُوا قدْر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو(٢).

أرأيتم الأخلاق النبوية كيف كانت تتعامل مع الزوجة؟! ﴿**إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى**﴾.

ولم تظفر عائشة رضى الله عنها، بهذا الحنان وحدها بل شاركتها كل أزواج النبى ﷺ ولئن تفردت ببعض الشىء فلأجل عمرها كما أوضحت هى رضى الله عنها.

حديث الإفك:

«فى الحروب الفاجرة تستخدم جميع الوسائل التى تصيب العدو، وإن كان بعضها يستحى من استخدامه الرجل الشريف!.

وقد لجأ المنافقون فى المدينة إلى مناوأة النبى ﷺ ودعوته بأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عندما يستبد بها الحقد، ويغلب عليها الضعف، أسلوب اللمز والتعريض حينًا، والإفك والإفتراء حينًا آخر.

وكلما توطدت سلطة المسلمين ورسخت مكانتهم إزداد خصومُهم

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٣٢) فى الأدب.

(٢) **صحيح**: فى «الصحيحين».

المنافقون ضغنًا عليهم وتربصًا بهم.

وظهر ذلك جليًا فى غزوة «بنى المصطلق» فإن الأنباء أتت الرسول ﷺ بأن هذه القبيلة تجمع له وتستعد لقتاله وأن سيدها الحارث بن أبى ضرار قد استكمل عدته لهذا المسير فسارع رسول الله ﷺ بالمسلمين ليطفئ الفتنة قبل اندلاعها.

وخرج مع الرسول هذه المرة جمع من المنافقين لم يعتادوا الخروج قبلا.

ولعل ثقتهم بانتصار محمد ﷺ أغرتهم بالذهاب معه، ابتغاءً لدنيا لا انتصارًا لدين.

وانتهى المسلمون إلى ماء يسمى «المريسع» اجتمع لديه بنو المصطلق، فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يعرض الإسلام على القوم.

فنادى عمر فيهم: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم! فأبوا وترامى الفريقان بالنبل.

ثم أمر النبى ﷺ صحابته فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فلم يفلت من المشركين أحد، إذ وقعوا جميعًا أسرى بعدما قتل منهم عشرة أشخاص ولم يستشهد من المسلمين إلا رجل واحد قتل خطأ، وسقطت القبيلة، بما تملك، فى أيدى المسلمين[1]، على أن هذا النصر الميسر شابه من أعمال المنافقين ما عكر صفوه، وأنسى المسلمين حلاوته»[2].

ومن هذه الأعمال الشائنة ما قالوه عن عائشة، وصفوان بن المعطل، فعند «عودة الرسول ﷺ من غزوة بنى المصطلق إلى المدينة، نبت حديث الإفك

(١) رواه ابن جرير بنحوه فى تاريخه (٢/٢٦٠ – ٢٦٢) من طريق ابن إسحاق بسنده مرسلاً، قال الألبانى: وهذا الإسناد مع ضعفه ليس فيه أمر عمر بعرض الإسلام. «تعليق فضيلته على فقه السيرة للغزالى» (٣٠٥).

(٢) فقه السيرة للغزالى بتصرف (٣٠٤ – ٣٠٨).

وشاع، واجتهد خصوم الله ورسوله أن ينقلوا شرره فى كل مكان قاصدين أن يدمروا الرسول فى بيته، وأن يسقطوا مكانة أقرب الرجال لديه.

وللوصول إلى هذه الغاية، استباح ابن أُبىّ لنفسه أن يرمى بالفحشاء سيدة لم تجاوز مرحلة الطفولة البريئة، لا تعرف الشر، ولا تهم بمنكر، ولا تحسن الحياة إلا فى فلك النبوة العالى.

واختفى ابن أُبىّ كالعقرب الخائنة، ثم شرع يلسع الغافلين.. قبع هذا المنافق فى جنح الظلام، وبدأ ينفث الإشاعات المريبة[١].

وإليك سردًا لهذا الحديث المفتعل على لسان السيدة عائشة نفسها:

زوابع المنافقين:

قالت السيدة عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرجت معه، فلما كانت غزوة «بنى المصطلق» خرج سهمى عليهن، فارتحلت معه.

قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق، لم يهيجن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحِّل بعيرى جلست فى هودجى، ثم يأتى القوم فيحملوننى، يأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه، ثم يضعونه على ظهر البعير ويشدُّونه بالحبال وبعدئذ ينطلقون.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذاك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا فبات فيه بعض الليل، ثم أذَّن مؤذن فى الناس بالرحيل، فتهيئوا لذلك وخرجت لبعض حاجتى، وفى عنقى عِقْد لى، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى، ورجعت إلى الرَّحل فالتمست عقدى فلم أجْده! وقد أخذ الناس فى الرحيل، فعدت إلى مكانى الذى ذهبتُ إليه فالتمسته حتى وجدته.

(١) فقه السيرة للغزالى بتصرف (٣٠٤ – ٣٠٨).

وجاء القوم الذين كانوا يُرحِّلون لى البعير، وقد كانوا فرغوا من إعداده، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوّا أنى به؛ ثم أخذوا برأس البعير وانطلقوا!. ورجعت إلى المعسكر وما فيه داع ولا مجيب، لقد انطلق الناس!.

قالت: فتلففت بجلبابى ثم اضجعت فى مكانى وعرفتُ أنى لو افتقدت لرجع الناس إلىَّ فوالله إنى لمضجعة، إذ مر بى «صفوان بن المعطل السلمى» وكان قد تخلف لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىَّ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآنى قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ظعينة رسول الله؟ وأنا متلففة فى ثيابى، ما خلفك يرحمك الله. قالت: فما كلمته، ثم قرَّب إلىَّ البعير، فقال: اركبى، واستأخر عنى.

قالت: فركبتُ وأخذ برأس البعير منطلقًا يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افُتقَدتُ حتى أصبحت ونزلوا، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى البعير، فقال أهل الإفك ما قالوا. وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشىء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، وليس يبلغنى من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله وإلى أبوىّ، وهم لا يذكرون لى منه كثيرًا ولا قليلاً.

إلا أنى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى فى شكوى هذه، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علىَّ وعندى أمى تُمرَّضنى قال: «كيف تيكم؟» لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت فى نفسى، غضبت، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت من جفائه لى: لو أذنت لى فانتقلت إلى أمِّى؟ قال: «لا عليك».

قالت: فانقلبتُ إلى أمى ولا عِلْم لى بشىء مما كان، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربًا، لا نتخذ فى بيوتنا الكنف[١] التى تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج فى فسح المدينة، وكانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن.

فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أُم مِسْطَح، فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها، فقالت: تعس مسطح؟ فقلت: بئس، لعمر الله، ما قلت لرجل من المهاجرين شهد بدرًا!! قالت: أَوَ - ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من أهل الإفك. قلت: أَوَ - قد كان هذا؟! قالت: نعم، والله لقد كان.

قالت عائشة: فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى، ورجعت، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى، وقلت لأمى: يغفر الله لك، يحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا؟ قالت: أى بنية، خفّفى عنك فوالله لقلَّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، ولا ضرائر، إلا أكثرن وكثر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم، ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يُؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت عليهم إلا خيرًا، ويقولون ذلك لرجل[٢] والله ما علمتُ منه إلا خيرًا ولا يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى!».

قالت: وكان كِبَر ذلك عند «عبد الله بن أبىّ» فى رجال من الخزرج. مع الذى قال «مسطح» و«حمنة بنت جحش» وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصبنى فى

(١) الكنف: دورات المياه.

(٢) يقصد: صفوان بن المعطل رضى الله عنه.

المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما «حمنة» فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى بأختها. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من «الأوس» نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا «الخزرج» فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، فقام سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحًا، قال: كذبت لعمر الله، ما تُضرب أعناقهم، إنك ما قلت هذه المقالة إلا وقد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا.

فقال أُسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين شر، ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليَّ ودعا «على بن أبى طالب» و«أسامة بن زيد» فاستشارهما فأما «أسامة» فأثنى خيرًا، ثم قال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل!.

وأمَّا «عليٌّ» فقال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية فإنها تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ «بريرة» يسألها، وقام إليها عليٌّ فضربها ضربًا شديدًا وهو يقول: أصدقى رسول الله، فتقول: والله ما أعلم إلا خيرًا وما كنت أعيب على عائشة، إلا أنى كنت أعجن عجينى، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله!.

قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله وعندى أبواى، وعندى امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقى الله، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس، فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده».

قالت: فوالله، إن هو إلا أن قال لى ذلك حتى قلص دمعى، فما أحس

منه شيئًا، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى فلم يتكلما!.

قالت عائشة: وأيم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأنا من أن يُنزل الله فيَّ قرآنًا، لكنى كنت أرجو أن يرى النبى عليه الصلاة والسلام، فى نومه شيئًا يُكذبُ الله به عنى، لما يعلم من براءتى، أما قرآنًا ينزل فىَّ، فوالله، لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك.

قالت: فلما لم أر أبواى يتكلمان!! قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله، فقالا: والله لا ندرى بم نجيبه، قالت: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام.

ثم قالت: فلما استعجما علىَّ استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله إنى لأعلم لئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى.

قلت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: أقول ما قال أبو يوسف: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨].

فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجِّى بثوبه ووضعت وسادة تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، وقد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى، وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سُرِىَ عن رسول الله حتى ظننتُ لتخرجن أنفسُهما فرقًا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس، ثم سُرى عن رسول الله فجلس، وإنه لينحدر من وجهه مثل الجُمان فى يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «أبشرى يا عائشة، قد أنزل الله عز وجل براءتك».

فقلت: الحمد لله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم الآيات: ﴿**إِنَّ**

الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

والغريب أن الحدَّ أقيم على من ثبتت عليهم تهمة القذف.. أما عبد الله بن أبيّ مدبر الحملة وجرثومتها الخفية، فإنه كان أحذر من أن يقع تحت طائلة العقاب، لقد أوقع غيره ثم أفلت بنفسه.

عِلْمها رضى الله عنها:

عن عروة بن الزبير، رضى الله عنه، قال: «لقد صحبت عائشة - وكانت خالته - فما رأيتُ أحدًا كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنَّة، ولا بشِعْر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طبٍّ، منها. فقلت لها: يا خالة، الطبُّ، من أين عُلِّمْتهِ؟ فقالت: كنتُ أمرضُ فيُنعتُ لى الشىء، ويمرضُ المريضُ فيُنعتُ له، وأسمع الناس يَنعَتُ بعضُهم لبعض، فأحفظه»[(١)].

جودها:

عن أم ذَرَّة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال فى غرارتين، يكون مائة ألف، فدعتْ بطبق، فجعلت تقسم فى الناس، فلما أَمَستْ، قالت: هاتى يا جارية فطورى: فقالت أمُّ ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشترى لنا لحمًا بدرهم؟ قالت: لا تعنفينى، لو أذكرتينى لفعلت»[(٢)].

وعن عروة، عن عائشة: أنها تصدقت بسبعين ألفًا، وإنها لترقعُ جانب درعها رضى الله عنها.

وفاتها رضى الله عنها:

لما حضرتها الوفاة رضى الله عنها قالت، وكانت تحدث نفسها أن تدفن

(١) **رجاله ثقات:** أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢/٤٩).
(٢) **رجاله ثقات:** أخرجه ابن سعد (٨/٦٧) الأرنؤوط (سير ٢/١٨٧).

فى بيتها، فقالت: «إنى أحدثتُ بعد رسول الله ﷺ حَدَثًا، ادفنونى مع أزواجه» فدفنت بالبقيع رضى الله عنها(١).

قال الإمام الذهبى: قلت: «وتعنى بالحدث: مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامةً كُلّية، وتابت من ذلك: على أنها ما فعلت ذلك إلا متأوِّلة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحةُ بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضى الله عن الجميع»(٢).

وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه.



(١) أخرجه الحاكم (٤/٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٩٣).

١٦ – أم شريك

تُسقى من السماء

أم شريك هى: السيدة غُزيَّة بنت جابر بن حكيم الدوسية.

قال الأكثرون: هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

قال ابن عباس: «وقع فى قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهى بمكة وكانت تحت أبى العسكر الدوسى.

ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنا سنردك إليهم.

قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى شيء، ثم تركونى ثلاثًا لا يطعمونى ولا يسقونى، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقونى فى الشمس واستظلوا هم منها، وحبسونى عن الطعام والشراب.

فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقونى فى الشمس إذا أنا ببرد شيء على صدرى، فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نُزع منى فَرُفع.. ثم عاد فتناولته فشربتُ منه ثم رُفع.. ثم عاد فتناولته ثم رفع مرارًا، ثم تُركت فشربت حتى رويت ثم أفضتُ سائره على جسدى وثيابى.

فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة فقالوا لى: انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ولكنه كان من الأمر كذا

وكذا. قالوا: لئن كنت صادقةً لدينكُ خيرٌ من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك»[1].



(١) صفة الصفوة (٣٧/٢، ٣٨).

١٧ - صفية أم المؤمنين

[والله إنها لصادقة] حديث شريف

بنت حُيىّ بن أخطب ... من ذرية رسول الله هارون عليه السلام ...

تزوجها قبل إسلامها: سَلامُ بن أبى الحقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وكانا من شعراء اليهود، فقتل كنانة يوم خيبر عنها، وسُبيت، وصارت فى سهم دِحْيَة الكلبى(١)؛ فقيل للنبى ﷺ عنها، وأنها لا ينبغى أن تكون إلا لك فأخذها من دحية، وعوَّضه عنها سَبْعَةَ أرؤس(٢).

ثم إن النبى ﷺ لما طهرت، تزوجها، وجعل عتقها صداقها.

عن أنس، قال: أخذ النبى ﷺ صَفيَّة من دحية بسبعة أرؤس، ودفعها إلى أم سليم، حتى تهيئها، وتصفها، وتعتدَّ عندها. فكانت وليمته: السَّمْن، والأقط، والتمر»(٣).

وكانت رضى الله عنها شريفة عاقلة، ذات حسب، وجمال، ودين، وذات حِلْمٍ، ووقار.

شدة حبها للنبى ﷺ:

عن زيد بن أسلم، قال: أن نبى الله فى وجعه الذى تُوفِّى فيه، قالت صفية بنت حيى: والله يا نبى الله لودِدْتُ أن الذى بك بى. فغمزها أزواجه؛ فأبصرهُنَّ فقال: «مَضْمِضْنَ». قُلن: من أى شيء؟ قال: «من

---

(١) صحابى جليل، كان جميل الصورة، وكان جبريل ينزل على هيئته.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٦٥) (٨٧). والأقط: قطع الجبن.

تغامزكنَّ بها، والله إنها لصادقةٌ»[1].

حِرْص النبى ﷺ عليها:

يقول أنس: أقبلنا مع رسول ﷺ، أنا وأبو طلحة، وصفية رديفته، ﷺ، فَعَثَرت الناقة، فصرع، وصرعت، فاقتحم أبو طلحة عن راحلته، فأتى النبى ﷺ؛ فقال: يا نبى الله، هل ضَرَّك شىء؟

قال: «لا، عليك بالمرأة» فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه، وقصد نحوها، فنبذ الثوب عليها، فقامت، فشدَّها على راحلته؛ فركبت، وركب النبى ﷺ »[2].

فانظر إلى هذا الأدب العالى، أبو طلحة يغطى وجهه . . ويلقى الثوب عليها حتى لا يمسَّها بيده ! ! ما أحوجنا اليوم إلى هذا الأدب فى عصر مات فيه الأدب . . وظهر العفن الأخلاقى فى أحط صوره وأشكاله.

الوفاة:

توفيت رضى الله عنها سنة خمسين، وقيل: اثنتين وخمسين وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع.



---

(١) أخرجه ابن سعد (١٢٨/٨)، ورجاله ثقات، لكنه مرسل.

(٢) إسناده صحيح: رواه البخارى (١٣٤/٦) ومسلم (١٣٦٥).

١٨ – رقية بنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وأمُّها خديجة رضى الله عنهما.

تزوجها عتبةُ بن أبى لهب قبل الهجرة.

فلمَّا أُنزلت: ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب**﴾ [المسد: ١] قال أبوه: رأسى من رأسك حرام، إن لم تُطلِّق بنْتَه ففارقها قبل الدخول وأسلمت مع أمها، وأخواتها ثم تزوجها عثمان.

قال ابن سعد: هاجرت معه، أى مع عثمان، إلى الحبشة، الهجرتين جميعًا قال ﷺ: «**إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط**»(١). وولدت من عثمان «عبد الله»، وبه يُكنى، وبلغ ست سنين، فنقره ديك فى وجهه، فطَمِرَ وجهه، فمات.

ثم هاجرت إلى المدينة بعد عثمان، ومرضت قبيل بدر، فَخَلَّف النبى ﷺ عليها عثمان، فتوفيت، والمسلمون ببدر(٢). رضى الله عنها وأرضاها.



(١) ذكره الحافظ فى «الإصابة» (١٢/٢٥٨) بلفظ: «والذى نفسى بيده إنه أول من هاجر بعد إبراهيم ولوط» ونسبه لابن منده، وقال: سنده واهٍ.

(٢) ابن سعد (٨/٣٦) وطمر وجهه: ورم.

١٩ - أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

البَضْعة الرابعة النبوية.

يقال: تزوجها عُتيبةُ بن أبى لهب، ثم فارقها.

وأسلمت، وهاجرت بعد النبى ﷺ.

فلما توفيت أختها رقية تزوج بها عثمان، وهى بكرٌ، فى ربيع الأول سنة ثلاث، فلم تَلِدْ له.

وتوفيت فى شعبان سنة تسع. فقال النبى ﷺ: «لو كُنَّ عَشرًا لزوجَهُنَّ عثمان» حكاه ابن سعد.

عن أنس، قال: رأيت النبى ﷺ جالسًا على قبرها، يعنى أم كلثوم، وعيناه تدمعان»[١].

فائدة:

هذه الرواية لا تتعارض مع قوله ﷺ: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»[٢].

يقول الشيخ الألبانى معلقا على هذا الحديث: «ليس المراد به مطلق البكاء، بل بكاء خاص وهو النياحة»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٢٦/٣، ١٢٧) بنحوه، وغيره.

(٢) **صحيح**: متفق عليه.

(٣) أحكام الجنائز (٢٨).

قلت: والأحاديث الواردة فى بكاء النبى ﷺ وبكاء أصحابه كثيرة متضافرة[١].



(١) راجع كتابنا «الرسول يبكى» ط. دار الفجر للتراث.

٢٠ - سُمَيَّة بنت خُبَّاط

أول شهيدة فى الإسلام

السيدة سمية بنت خباط، مولاة أبى حذيفة بن المغيرة، وهى أم عمار بن ياسر(١)، وزوجها ياسر بن عامر(٢)، أسلمت بمكة قديمًا وكانت ممن يعذب فى الله لترجع عن دينها فلم تفعل فمر بها يومًا أبو جهل فطعنها فى قُبُلها فماتت، وكانت عجوزًا كبيرة فهى أول شهيدة فى الإسلام «رحمها الله»(٣).

قال مجاهد: «أول شهيد كان فى أول الإسلام أم عمار «سمية» طعنها أبو جهل بحربة فى «قَلْبها».

يقول الدكتور/ محمود عمارة حفظه الله: «ولعلنا ندرك عمق المأساة فى عين «عمار بن ياسر» رضى الله عنه يرى أمه تقتل وهو لا يملك لها من الأمر شيئًا . . ولئن مات أبوه «ياسر» تحت وطأة العذاب . . فقد كان مصير أمه جارحًا كعربى وكمسلم . . لكنها المبادىء العليا تكلف أربابها أن يعيشوا لها ويموتوا فى سبيلها. ولك أن تتصور عمق البلاء هنا:

إن إنسانًا يسمع اليوم كلمة تخدش حياءه ليهب دفاعًا عن كرامته ومن ورائه رأى عام يسانده ... فإن لم يكن فالقانون ينتقم له.

أما «عمار» فإنه يرى بعينه يد الغدر تطعنها . . ويسمع بأذنيه أنينها . . ثم لا يملك لها شيئا.

---

(١) تقدمت ترجمته فى «رجال حول الرسول».

(٢) استشهد تحت وطأة التعذيب بمكة.

(٣) البداية والنهاية (٥٩/٣) وذكر أنه طعنها فى «قلبها» وفى صفة الصفوة (قُبُلها).

بل ولا يملك الرسول الله ﷺ إلاَّ الدعاء . . إن البلاء حينئذ أكبر من أن يتحمله إنسان . . ولكن «عمارًا» يغالب المحنة . . ويخرج منها بعقيدته .. ولئن ودَّعَ أباه . . وودَّع أمَّه . . فإن فى بقاء عقيدته عزاء وسلوى[1].



(١) تأملات فى السيرة النبوية صـ٧٦.

٢١ - جويرية بنت الحارث

أعظم امرأة بركة على قومها

هى أم المؤمنين: جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية.

سُبيت يوم غزوة المُريسيع فى السنة الخامسة وكان اسمُها: «بَرَّة».

فحَّول النبى ﷺ اسمها إلى «جويرية».

وكانت من أجل النساء.

عن عائشة، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى، قال: «فهل لك خير من ذلك؟». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضى عنك كتابتك وأتزوجك». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «قد فعلت».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم.

قالت: فلقد أعتق تزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم

امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[١].

«ولما رأى بنو المصطلق هذا السمو، وهذا العفو والكرم أسلموا جميعا، وآمنوا بالله ورسوله.

فكانت «جويرية» أيمن امرأة على قومها.

وهذا ما كان يرجوه النبى ﷺ من نجاح دعوته بين الناس فهل تجد النفوس الحكيمة رأيًا أسمى من هذا الذى رآه الرسول العظيم؟ بثاقب رأيه وعظيم حكمته . . وحاشا ثم حاشا أن يرى غير الرسول مثل هذا الرأى الذى تخر الجباه ساجدة لله الذى علم الرسول ما لم يكن يعلم[٢].

وقال ابن حجر فى «الإصابة» (٢/١٦٠): أن أباها الحارث قدم على النبى ﷺ، فأسلم.

الرسول يعلمها كلمات جوامع:

عن جويرية قالت: أتى على رسول الله ﷺ غُدوةً وأنا أُسبِّح، ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريبًا من نصف النهار، فقال: «أما زلت قاعدة؟». قلت: نعم.

قال: «ألا أعلمك كلماتٍ لو عُدِلْن بهنَّ عَدَلَتْهُنَّ، أَوْ وزنَّ بهنَّ وزنتهن، يعنى جميع ما سبَّحت، سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات».

الوفاة:

وبعد رحلة طيبة، وحياة كريمة تحت لواء الإسلام .. تُوفيت رضى الله

(١) **صحيح:** رواه البخارى ومسلم.
(٢) زوجات النبى الطاهرات وحكمه تعددهن للأستاذ/محمد محمود الصواف (٧٤، ٧٥).

عنها في سنة «خمسين» . . لتصعد روحها الطاهرة آمنة مطمئنة بجوار ربها سبحانه وتعالى.



٢٢ - سودة بنت زمعة
ولكنى أُحِبُّ أن أُبْعَثَ فى نسائك

من هى؟

إنها أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشيَّة العامرَّية.

وهى أول من تزوج بها النبى ﷺ بعد خديجة.

وكانت سيدةً جليلةً نبيلة. وكانت أولاً عند السكران بن عمرو وهاجرت معه إلى الحبشة، فأغضبت أهلها بهذه الهجرة.

ولما عادت من هجرتها، تُوفِّى زوجها إلى رحمة الله وكان من أنصار الرسول الأبرار.

ولما توفى خلف زوجته «سودة» من غير ناصر، ولا عائل . . فتزوجها النبى ﷺ، وكانت فى «الخامسة والخمسين» من عمرها.

ماذا تريد؟

مرت الأيام . . وسودة ترافق النبى ﷺ . . وبَدَا له ﷺ أن يطلقها . . . فماذا حدث؟

يقول القاسم بن أبى بَزَّة:

أن النبى ﷺ بعث إلى سودة بطلاقها. فَجَلَستْ على طريقه، فقالت: أنشُدُكَ بالذى أنزل عليك كتابه، لِمَ طَلَّقْتنى؟ ألَمْوْجِدة؟

قال: «لا».

قالت: فأنشُدُك الله لِمَا راجعتنى؛ فلا حاجة لى فى الرجال، ولكنى أُحبُّ أن أُبعثَ فى نسائك فراجعها.

قالت: فإنى قد جعلتُ يومى لعائشة[١].

نعم يا أم المؤمنين . . . وهل هنـاك شـرف يدانـى هـذا الشـرف . . أن تحشرى يوم القيامة وأنت زوجة لخاتم النبيين هنيئًا لك.

وكانت السيدة عائشة لا تنسى لها هذا الصنيع.

فعن عائشة، قالت: «ما رأيت امرأة أحبَّ إلىَّ أن أكون فى مِسْلاخِها من سودة، من امـرأة، فيهـا حِـدَّة، فَلمَّـا كَبِرتْ جعلـت يومَهـا مـن النبـى ﷺ لعائشة[٢].

وتوفيت رضى الله عنها فى زمن عمر بن الخطاب[٣].



(١) **إسناده صحيح**: لكنه مرسل، ابن سعد (٨/٥٤).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٦٣).
(٣) أخرجه البخارى فى «تاريخه» (١/٤٩، ٥٠).

٢٣ - ميمونة بنت الحارث

«أتقانا لله، وأوصلنا للرحم» السيدة عائشة

هي:

ميمونة بنت الحارث بن حَزنٍ . . . الهلالية.

زوجِ النبي ﷺ، وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالةُ ابن عباس رضي الله عنهم. وكانت رضي الله عنها من سادات النساء.

قال مجاهد: كان اسمُها «بَرَّة»، فسماها رسول الله: «ميمونة»[(١)]. تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها.

وتزوجها أبو رُهم بن عبد العُزَّى، فمات.

فتزوج بها النبي ﷺ في وقت فراغه من «عمرة القضاء» سنة «سبع» في ذي القعدة.

فعن علي بن عبد الله بن عباس، قال: لمّا أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكة عام القضية. بعث أوس بن خَوليٍّ وأبا رافع إلى العباس؛ فزوجه بميمونة، فأضلا بعيريهما؛ فأقاما أيامًا ببطن رابغ، حتى أدركهما رسول الله ﷺ بقُديد، وقد ضما بعيرهما، فسارا معه، حتى قدم مكة. فأرسل إلى العباس، فذكر ذلك له، وجعلت ميمونة أمرها إلى العباس، فخطبها إلى النبي ﷺ فزوجها إياه[(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٠) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) طبقات ابن سعد (٨/١٣٢).

وهذه آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ، وكانت زاهدة عابدة.

قال الشيخ رشيد رضا، رحمه الله تعالى: «ورد أن عم النبى العباس رغَّبه فيها، وهو الذى عقد عليها بإذنها، ولولا أن العباس رأى فى ذلك مصلحة عظيمة، لما عنى به كل هذه العناية لإرضاء امرأته» ا.هـ.

وفعلا كانت المصلحة فى هذا النكاح المبارك، فقد تقرب النبى ﷺ إلى الهلاليين «قومها» فأكبروا فى رسول الله هذه المروءة، والحمية، والنجدة، ثم أقبلوا يدخلون فى دين الله أفواجًا، وآزروا الرسول ونصروه، وساروا معه ﷺ حيث سار.

وحينما تزوج النبى ﷺ بميمونة، كانت قد بَلَغتْ من الكِبرَ عتيًا.

فهَل تجد أيها القارئ الكريم أثرًا للهوى أو الشهوة فى مثل هذا الزواج؟

إنه الفضل والمروءة، والرحمة، والسياسة، والكياسة . . .

ولو أن للهوى والشهوة أثرًا فى زواجه ﷺ بمن تزوج بهن من النساء، وكلهن أرامل، غير عائشة، لا ستعاض عنهن بالكواعب والأتراب، وما أكثر الذين يودون مصاهرته ﷺ وهو الحبيب إلى كل قلب، المحترم من كل نفس، ولكنه أسمى من أن يتزوج استجابة لداعى الهوى، وأعلى، وأكبر، فحاشاه ثم حاشاه، ألف ألف مرة مما يقول المرجفون - قطع الله حبال أصواتهم، وخيب آمالهم - فهو النبى المعصوم»[1].

السيدة ميمونة على جبهة القتال!!:

شاركت رضى الله عنها فى القتال، لتنال حظها من الجهاد فى سبيل الله، وهى زوجة رسول الله ﷺ ! !.

ألم يقل الله تعالى: ﴿**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٥].

---

(١) زوجات النبى الطاهرات (٨١، ٨٢).

هى إذن فى حاجة إلى هذا الأجر العظيم!!

وفى غزوة تبوك كانت «ميمونة» رضى الله عنها فى صفوف المجاهدين، تسعف الجرحى، وتواسى المرضى، وتجاهد فى سبيل الله حق الجهاد.

ويقال بأنها رضى الله عنها أول امرأة ألفت فرقة نسائية لإسعاف الجرحى، والقيام بواجبات المجاهدين فى ساحة القتال، ولقد أصابها فى جهادها سهم من سهام الأعداء وهى تحمل الماء للمصابين، فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه.

الوفاة:

بعد أن قضت مناسك الحج رضى الله عنها «حَلَقَتْ رأسها فى إحرامها، فماتت ورأسها مُحَمَّمٌ»(١).

فعن يزيد بن الأصم، قال: دَفَنَّا ميمونة بسَرِف فى الظُّلَّةَ التى بنىَ بها فيها رسول الله ﷺ، وقد كانت حَلَقَتْ رأَسها فى الحج. نزلتُ قبرها، أنا وابن عباس(٢).

وعن عطاء، قال: توفيت ميمونة بِسرف، فخرجت مع ابن عباس إليها، فقال: «إذا رفعتم نَعْشَهَا، فلا تزلزلوها، ولا تزعزعُوها»(٣).

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن سعد (١٣٨/٨) عن يزيد بن الأصم.
ورأسها محمم: أى مُسْوَدٌّ بسبب نبات الشعر بعد الحلق.
قال الأرنؤوط: «لعل ميمونة، رضى الله عنها، لم يبلغها أن المرأة لا تحلق رأسها فى الحج بل تقصر..». أخرج أبو داود (١٩٤٨) من حديث ابن عباس مرفوعًا: «ليس على النساء الحلق، إنما على النساء التقصير»وَحسَّن إسناده الحافظ فى «التلخيص» (٢٦١/٤). سير أعلام النبلاء (٢٤٣/٢) الهامش.
(٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى (٣١/٤).
(٣) أخرجه الحاكم، وقال: صَحيح الإسناد (٣٣/٤)، ووافقه الذهبى.

وفى رواية، أنه قال: «أرفقوا بها، فإنها أُمُّكُم».

رثاء:

قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عنها بعد موتها: «ذهبت والله ميمونة . . أَما إنها كانت من أتقانا لله، وأوْصَلِنا للرَّحم!»[1].



(١) **إسناده حسن:** أخرجه الحاكم (٤/٣٢) وحسنه الأرنؤوط (سير ٢/٢٤٤).

٢٤ – أم ورقة بنت الحارث

«**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**» حديث شريف

من هذه؟

إنها الصحابية الجليلة: أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية.

أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

قال ابن الجوزى: أخبرنا ابن الحصين بالإسناد عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية وكانت قد جمعت القرآن، وكان النبى ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها «مؤذن»، وكانت تؤم أهل دارها[1].

وعنه عن جدته عن أمها أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارى: وكان رسول الله ﷺ يزورها يسِّميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن.

وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له: ائذن لى فأخرج معك فأداوى جرحاكم، وأمَّرض مْرضاكم، لعل الله عز وجل يُهدى إلىَّ الشهادة. قال: «**إن الله عز وجل مُهْدٍ لك الشهادة**».

وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى عدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبرتهما فقتلاها فى إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فقيل: إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها. فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»[2] رحمها الله.

---

(١) **حديث حسن:** صحيح سنن أبى داود (٥٥٣)، وقال الألباني: حسن.

(٢) صفة الصفوة (٢/٥١).

وفى سنن أبى داود: عن أم ورقة أن النبى ﷺ، لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله، ائذن لى فى الغزو معك، أُمرِّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقنى شهادة. قال: «قِرِّى فى بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة». قال: فكانت تسمى الشهيدة.

قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبى ﷺ أن تتخذ فى دارها مؤذنًا، فأذن لها، قال: وكانت دبرت غلامًا وجارية، فقاما إليها فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عمر فقام فى الناس فقال: من كان عنده من هذين عِلْم، أو من رآهما، فليجئ بهما، فأمر بهما فَصُلِبَا، فكان أول مصلوب بالمدينة[1].



(١) حديث حسن: صحيح سنن أبى داود (٥٥٢)، وقال الألبانى: حسن.

٢٥ - أم خلاد

كل مصيبة بعدك يا رسول الله هينة

أُم خلاد: هى زوجة الصحابى الجليل: عمرو بن الجموح(١).

«شهدت أم خلاد رضى الله عنها غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها، ولما اسْتُشهد الثلاثة، حملتهم الصحابية الجليلة على بعيرها ومضت بهم عائدة إلى المدينة، ولقيتها فى بعض الطريق عائشة رضى الله عنها، فقالت لأم خلاد: عندك الخبر، فما وراءك؟ قالت أم خلاد: أمَّا رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل - هينة - واتخذ الله من المؤمنين شهداء، وقالت عائشة: من هؤلاء؟ (تسأل عن الشهداء). فقالت: أخى، وابنى خلاد، وزوجى عمرو بن الجموح، قالت عائشة: فأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أقبرهم فيها، أدفنهم، ثم زجرت بعيرها ليتابع سيره، فما استطاع، فلما وجّهته إلى ميدان القتال أسرع، ومكث الرسول ﷺ حتى قبرهم، ثم قال: «ترافقوا فى الجنة: عمرو بن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبد الله»، قالت أم خلاد: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى معهم، فدعا لها.

«وبهذا المقياس، مقياس المسئولية واحتمال التبعة، تحملت المرأة المجاهدة المحتسبة هذا الموقف العصيب بكل مضاعفاته، فكانت رمزًا من رموز القوة، حين ارتفعت فوق هواتف الضعف فى كيانها كامرأة، وكانت على مستوى المسئولية، مسئولية الإيمان الذى صاغ منها سلاحًا من أسلحة القدر، فكانت بصبرها وبيانها صورة التحدى الإسلامى الذى صار شوكة

---

(١) تقدمت ترجمته فى القسم الأول (رجال حول الرسول).

فى حلق عدو ظن أنه بالنصر الخاطف فى أُحد قد قضى على المسلمين، فإذا بالصفعة تأتيه من أم خلاد، ومن حيث لا يحتسب.

وها هى عائشة رضى الله عنها، مشغولة بالمعركة التى هى قضية الأمة الأولى ضاربة المثل الأعلى لكل امرأة أن تكون ساعة الخطر عند حسن الظن بها.

لا تتلفع بفضل مئزرها رفاهية، ولا تشرب فى العلب، بينما الرجال يسقطون، ولا تحول البيت إلى مشتجر من الآراء الفلسفية الجانبية، بينما السيوف تتكلم هناك.

وتأمّل معى قوة الأعصاب، وسلامة المنطق، منطق أم خلاد.

«أما رسول الله فصالح»

معه قلبه المؤمن، وإرادته الماضية، وهل هناك صلاح للأمة إلا بعد وجود قائد مؤمن قوى، وأمة تقف من ورائه فى ساعة العسرة على هذا النحو الفريد.

وحين يبشرها الرسول الصالح ﷺ بأن شهداءها فى الجنة تثور أشواقها إلى صحبتهم فى الجنة كما صحبتهم على ساحات الجهاد.

ألا إن أمةً تملك هذا الإيمان، وهذا التصميم لن تموت أبدًا[١].

«وبترجمة هذه الصالحة، يتم الكتاب،
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات».



(١) نحو أسرة بلا مشاكل. د/محمود عمارة (١٩٥ - ١٩٩) بتصرف.

الخاتمة

وبعد هذا الشوط المبارك.. مع سلف الأمة الأبرار.. والمصطفين الأخيار.. رأينا:

«أن الله تعالى اختار المبلغين عنه من أكرم البشر عرقًا، وآلقهم فكرًا، وأزكاهم معدنًا، وأرحبهم طاقة، واستنبتهم فى بيئات تحفهم بالإكبار، وترمقهم بالإجلال.

وصدور الدعوة الدينية عن رجال تلك مكانتهم الشخصية وَضْعٌ للأمور فى مواضعها فإن العظائم كفؤها العظماء.

وتعريف الناس بالله وسياستهم بهداه، وفك أصارهم النفسية والاجتماعية بشرعه، ذلك كله يُنْتقى له السادة من البشر، السادة بمواهبهم وكفايتهم لا بالزعم والدعوى..

ولذلك قال ابن مسعود: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا».

والأكابر ليسوا أصحاب الجثث الضخمة، ولا الأسنان المتأخرة، ولا الثروات العريضة، ولا الوظائف المهيبة.

إن الأكابر فى فهم ابن مسعود هم أصحاب الهمم البعيدة والمروءات العالية، والعفة الظاهرة، والأبصار السديدة، والأفئدة الزاكية، وقد يكونون أمراء أو لا يكونون، وقد يكونون أغنياء أو لا يكونون. فتلك أعراض لا تمس قيمهم الخاصة ولا تؤثر فيها علوًا أو هبوطًا..[١]».

---

(١) معركة المصحف فى العالم الإسلامى (١٢١، ١٢٢).

هكذا كان أصحاب النبى ﷺ، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.. وفقنا الله جميعًا للاتباع ووقانا شر الابتداع. وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

سعد يوسف محمود أبو عزيز

ذو القعدة ١٤١٩هـ، مارس ١٩٩٩م.



أهم المراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - الدُّر المنثور فى التفسير بالمأثور، للإمام السيوطى.

٣ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبى.

٤ - تفسير الإمام الطبرى.

٥ - فى ظلال القرآن، للأستاذ/ سيد قطب.

٦ - فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، للإمام ابن حجر العسقلانى.

٧ - صحيح الإمام مسلم.

٨ - مسند الإمام أحمد.

٩ - بغية الرائد فى تحقيق «مجمع الزوائد» للإمام الهيثمى.

١٠ - الترغيب والترهيب، للإمام المنذرى، تحقيق/ أيمن صالح.

١١ - صحيح سنن الترمذى، للشيخ الألبانى.

١٢ - صحيح سنن أبى داود، للشيخ الألبانى.

١٣ - صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ الألبانى.

١٤ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ الألبانى.

١٥ - مشكاة المصابيح، للتبريزى، تحقيق/ الألبانى.

١٦ - السلسلة الصحيحة، للألبانى.

١٧ - منهاج السنة النبوية، للإمام ابن تيمية، تحقيق/محمد رشاد سالم.

١٨ - البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير.

١٩ - حلية الأولياء، للحافظ أبى نعيم.

٢٠ - سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبى، تحقيق/الأرنؤوط.

٢١ - صفة الصفوة، للإمام ابن الجوزى.

٢٢ - الاستيعاب، للإمام ابن عبد البر.

٢٣ - الإصابة فى تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر.

٢٤ - تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطى.

٢٥ - طبقات ابن سعد.

٢٦ - تاريخ الإسلام، للإمام الذهبى.

٢٧ - محمد رسول الله والذين معه، للأستاذ/عبد الحميد جودة السحار.

٢٨ - حياة الصحابة، للكاندهلوى.

٢٩ - الرياض النضرة فى مناقب العشرة، للإمام محب الدين الطبرى.

٣٠ - السيرة النبوية، لابن هشام.

٣١ - حياة الصالحين، للأستاذ عبد المنعم قنديل.

٣٢ - الفتنة الكبرى، د/طه حسين.

٣٣ - السيرة النبوية دارسة موثقة، د/عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى.

٣٤ - إحياء علوم الدين، للإمام الغزالى.

٣٥ – تهذيب مدارج السالكين، للإمام ابن القيم، تحقيق/محمد بيومى.

٣٦ – در السحابة فى مناقب القرابة والصحابة، للإمام الشوكانى.

٣٧ – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للإمام ابن القيم.

٣٨ – المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، للإمام ابن الجوزى. تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا.

٣٩ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، للإمام ابن تيمية.

٤٠ – الكبار، للإمام الذهبى.

٤١ – العواصم من القواصم، لأبى بكر بن العربى، تحقيق/محب الدين الخطيب.

٤٢ – جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلى.

٤٣ – لطائف المعارف، للإمام ابن رجب الحنبلى.

٤٤ – تخريج العقيدة الطحاوية، للإمام الطحاوى، تحقيق/الأرنؤوط.

٤٥ – عمر بن الخطاب، للإمام ابن الجوزى، تحقيق د/النشرتى.

٤٦ – روضة المحبين فى فضائل صحابة النبى الأمين، للشيخ/مصطفى العدوى.

٤٧ – سيرة عمر بن الخطاب، للأستاذ/أحمد البلتاجى.

٤٨ – التبيان فى آداب حملة القرآن، للإمام النووى.

٤٩ – عثمان الخليفة المفترى عليه، للشيخ/محمد الصادق عرجون.

٥٠ – صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزى.

٥١ – إنصاف الخليفة عثمان من افتراءات صاحب الكشف والبيان، د/عبد الله محمد جمال الدين.

٥٢ – الرحيق المختوم، لصفى الرحمن المباركفورى.

٥٣ – تهذيب السنن، للإمام ابن القيم.

٥٤ – مواقف بطولية من صنع الإسلام، للأستاذ/زياد أبو غنيمة.

٥٥ – نساء مبشرات بالجنة (١، ٢)، للأستاذ/أحمد خليل جمعة.

٥٦ – تأملات في السيرة النبوية، د/محمود محمد عمارة.

٥٧ – نحو أسرة بلا مشاكل، د/محمود محمد عمارة.

٥٨ – من فقه عمر، د/محمود محمد عمارة.

٥٩ – الحدود فى الإسلام، د/محمود محمد عمارة.

٦٠ – هذا ديننا، للشيخ/محمد الغزالى.

٦١ – الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، للشيخ/محمد الغزالى.

٦٢ – فقه السيرة، للشيخ/محمد الغزالى. تحقيق/الألبانى.

٦٣ – حقوق الإنسان، للشيخ/محمد الغزالى.

٦٤ – خلق المسلم، للشيخ/محمد الغزالى.

٦٥ – معركة المصحف فى العالم الإسلامى، للشيخ/محمد الغزالى.

٦٦ – أحكام الجنائز، للشيخ/الألبانى.

٦٧ – زوجات النبى الطاهرات وحكمة تعددهن، للشيخ/محمد محمود الصواف.

٦٨ – الموضوعات والإسرائيليات فى كتب التفسير، للشيخ/محمد أبو شهبة.

٦٩ - الأدب المفرد، للإمام البخارى.

٧٠ - الحق المر، للشيخ/محمد الغزالى.

٧١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٧٢ - زاد المعاد، للإمام ابن القيم.

٧٣ - الموطأ، للإمام مالك بن أنس.



فهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٧٣٩ / ٩٩

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com